من روائع التفاسير

النكت والعيون
تفسير الماوردي

تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الثاني

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية
الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب :
ص. ب ٥١١٥ / ١١٤ - برقيا : الكتبكو .
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النُّكَتُ والعُيُونُ
تَفْسِيرُ المَاوَرْدِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ فيها خمسة أقاويل :

أحدها : أنها عهود الله ، التي أخذ بها الإيمان ، على عباده فيما أحله لهم ، وحرمه عليهم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أنها العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب أن يعملوا بما في التوراة ، والإنجيل من تصديق محمد ﷺ ، وهذا قول ابن جريج .

والثالث : أنها عهود الجاهلية وهي الحلف الذي كان بينهم ، وهذا قول قتادة .

الرابع : عهود الدين كلها[1] ، وهذا قول الحسن .

والخامس : أنها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم من بيع ، أو نكاح ، أو يعقدها المرء على نفسه من نذر ، أو يمين ، وهذا قول ابن زيد .

﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الأنعام كلها ، وهي الإبل ، والبقر ، والغنم ، وهذا قول قتادة ، والسدي .

والثاني : أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها ، إذا نحرت أو ذبحت ، وهذا قول ابن عباس ، وابن عمر .

والثالث : أن بهيمة الأنعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش ، ولا يدخل فيها الحافر ، لأنه مأخوذ من نعمة الوطء(*) .

قوله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ أي معالم الله ، مأخوذ من الإشعار وهو الإعلام .

وفي شعائر الله خمسة تأويلات :

أحدها : أنها مناسك الحج ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنها ما حرمه الله في حال الإحرام ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أنها حرم الله ، وهو قول السدي .

والرابع : أنها حدود الله فيما أحل وحرَّم وأباح وحظَّر ، وهو قول عطاء .

والخامس : هي دين الله كله ، وهو قول الحسن ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج : ٢٢] أي دين الله .

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ أي لا تستحلوا القتال فيه ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدَها : أنه رَجَبُ مُضَر .

(١) والصحيح ما قاله القرطبي وجمهور المفسرين أن المراد بالعقود ما يشمل عقود المعاملة وعقود الشريعة وهي التكاليف والواجبات الشرعية التي فرضها الله على عباده وما أُحل وحُرم عليهم .

(*) هكذا في الأصول ولعل العبارة « لأن اسم الأنعام مأخوذ من نعومة الوطء » .

والثاني : أنه ذو القعدة ، وهو قول عكرمة .

والثالث : أنها الأشهر الحرم ، وهو قول قتادة .

﴿ وَلَا ٱلْهَدْيَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ أما الهدي ففيه قولان :

أحدهما : أنه كل ما أهداه من شيء إلى بيت الله تعالى .

والثاني : أنه ما لم يقلّد من النعم ، وقد جعل على نفسه ، أن يُهديه ويقلده ، وهو قول ابن عباس .

فأما القلائد ففيها ثلاثة أقاويل :

أنها قلائد الهدْي ، وهو قول ابن عباس ، وكان يرى أنه إذا قلد هديه صار مُحْرِماً .

والثاني : أنها قلائد من لحاء الشجر ، كان المشركون إذا أرادوا الحج قلدوها في ذهابهم إلى مكة ، وعَوْدهم ليأمنوا ، وهذا قول قتادة .

والثالث : أن المشركين كانوا يأخذون لحاء الشجر من الحرم إذا أرادوا الخروج منه ، فيتقلدونه ليأمنوا ، فنُهوا أن ينزعوا شجر الحرم فيتقلدوه ، وهذا قول عطاء .

﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ يعني ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام ، يقال أممت كذا إذا قصدته ، وبعضهم يقول يممته ، كقول الشاعر :

إني لذاك إذا ما ساءني بلد ... يممت صدر بعيري غيره بلداً[٢]

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الربح في التجارة ، وهو قول ابن عمر .

والثاني : الأجر ، وهو قول مجاهد . ﴿ وَرِضْوَٰنًا ﴾ يعني رضي الله عنهم بنسكهم .

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ وهذا وإن خرج مخرج الأمر ، فهو بعد حظر ،

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٦/١) وفيه : إني كذاك بدلاً من : إني لذاك والتصحيح من الطبري (٤٧١/٩).

فاقتضى إباحة[٣] الاصطياد بعد الإحلال دون الوجوب .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ[٤] قَوْمٍ ﴾ في يجرمنكم تأويلان·

أحدهما : لا يحملنكم ، وهو قول ابن عباس ، والكسائي ، وأبي العباس المبرد يقال : جرمني فلان على بغضك ، أي حملني ، قال الشاعر :

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا[٥]

والثاني : معناه ولا يكسبنكم ، يقال جرمت على أهلي ، أي كسبت لهم ، وهذا قول الفراء .

وفي ﴿ شَنَئَانُ قَوْمٍ ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه بغض قوم ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : عداوة قوم ، وهو قول قتادة .

وقال السدي : نزلت هذه الآية في الحُطَم بن هند البكري أتى رسول الله ﷺ ، فقال : إلامَ تَدعو ؟ فأخبره ، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه : « يَدْخُلُ اليَوْمَ عَلَيكُم رَجُلٌ مِن رَّبِيعةَ يَتكَلَّمُ بِلِسَانِ شَيْطَانٍ » ، فلما أخبره النبي ﷺ قال : أنظرني حتى أشاور ، فخرج من عنده ، فقال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ ، وَخَرَجَ بِقَفَا غَادِرٍ »[٦] فمر بسرح من سرح المدينة ، فاستاقه وانطلق وهو يرتجز ويقول :

---

(٣) وهذه مسألة أصولية مختلف فيها قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية (٢/ ٥) وهذا أمر بعد الحظر والصحيح الذي يثبت على السير أن يُرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي فإن كان واجباً رده واجباً وإن كان مستحباً فمستحب أو مباحاً فمباح ا هـ. وهذا القول اختاره الزركشي ونصره الشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٤) .

(٤) وقرأ ابن عامر بسكون النون أنظر السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص ٢٤٢) . وعلى قراءة سكون النون يكون [الشنآن] وصفاً كالغضبان .
وقيل : الشنآن على هذه القراءة أيضاً البغض .

(٥) أنظر اللسان مادة [جرم] ، والخزانة (٤/ ٣١٠) ، ومجاز القرآن (١/ ١٤٧) ومشكل القرآن (٤١٨) .

(٦) رواه الطبري (٩/ ٤٧٣) عن السدي قال أقبل الحُطم بن هند البكري ثم أحد بن قيس بن ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ وحده وخلّف خيله خارجة من المدينة فدعاه فقال إلام تدعونا فأخبره. . . . الحديث فيه فقال رسول الله ﷺ « لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر » . . . الحديث . . وهو =

لقد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلد الهدي ، فاستأذن أصحاب النبي ﷺ أن يقتلوه ، فنزلت هذه الآية حتى بلغ ﴿ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ فقال له ناس من أصحابه : يا رسول الله خلّ بيننا وبينه ، فإنه صاحبنا ، فقال : « **إنه قد قلد** » .

ثم اختلفوا فيما نسخ من هذه الآية بعد إجماعهم على أن منها منسوخاً على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن جميعها منسوخ ، وهذا قول الشعبي ، قال : لم ينسخ من المائدة إلا هذه الآية .

والثاني : أن الذي نسخ منها ﴿ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

والثالث : أن الذي نسخ منها ما كانت الجاهلية تتقلده من لحاء الشجر ، وهذا قول مجاهد .

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

= معضل كما ترى وقد روى الطبري رحمه الله نحوه (٤٧٣/٩) من حديث عكرمة لكن فيه قال قدم الحُطم أخو بني ضبيعة بن ثعلبة البكري المدينة في عير له تحمل طعاماً فباعه ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم فلما ولى خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل عليّ بوجه فاجر وولى بقفا غادر . . . الحديث . . وهذا مرسل من مراسيل عكرمة .
وروى الطبري نحوه عن ابن جريج (٤٧٤/٩) .

قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ فيها تأويلان :

أحدهما : أنه كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره .

والثاني : أنه كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير ذكاة .

﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الحرام منه ما كان مسفوحاً كقوله تعالى : ﴿ أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾ .

الثاني : أنه كل دم مسفوح وغير مسفوح ، إلا ما خصته السنة من الكبد والطحال[٧] . فعلى القول الأول لا يحرم السمك ، وعلى الثاني يحرم .

﴿ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن التحريم يختص بلحم الخنزير دون شحمه ، وهذا قول داود .

والثاني : أنه يعم اللحم وما خالطه من شحم وغيره ، وهو قول الجمهور ، ولا فرق بين الأهلي منه والوحشي .

﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ ﴾ يعني ما ذبح لغير الله من الأصنام والأوثان[٨] ، وأصله من استهلال الصبي إذا صاح حين يسقط من بطن أمه ، ومنه إهلال المُحْرِم بالحج والعمرة ، قال ابن أحمر :

---

(٧) وذلك لحديث أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال وقد اختلف في رفعه ووقفه فرواه الشافعي (٢/٤٢٥) وأحمد (٢/٩٧) وابن ماجة (٣٣١٤) من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً . . وعبد الرحمن ضعيف وأخرجه الدارقطني (ص ٥٣٩ ، ٥٤٠) من طريق علي بن مسلم عن عبد الرحمن ومن طريق مطرف عن عبد الله عن أبيهما زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً . . ورواه البيهقي (١/٢٥٤) من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر موقوفاً ثم قال وهذا إسناد صحيح ثم رجحه على المرفوع وتعقبه ابن التركماني في الجوهر النقي بأن الرفع زيادة ثقة . وعلى كل حال فهذا الحديث وإن كان موقوفاً لفظاً فهو مرفوع حكماً لأن قول الصحابي أحل لنا كذا أو حرم علينا كذا من قبيل المرفوع سواء أسنده إلى النبي أو لم يسنده على القول المختار عند أهل الحديث .

(٨) اعلم أن الذبح لغير الله تعالى مع تعظيم الذي ذبح إليه كجلب نفع أو دفع ضر فهذا شرك وضلال، أو نَذْرٌ لهم بشخصهم فالنذر لا يكون إلا لله تعالى وتقرباً إليه أو عن روح فلان .

واعلم أنه لا ضار ولا نافع على الحقيقة إلا الله ومن اعتقد أنه ينتفع بنبي أو ولي من دون مشيئة الله فقد كفر.

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر(٩)

﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها تخنق بحبل الصائد وغيره حتى تموت ، وهو قول السدي ، والضحاك .

والثاني : أنها التي توثق ، فيقتلها خناقها .

﴿ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾ هي التي تضرب بالخشب حتى تموت ، يقال : (وقذتها أقذها وقذاً ، وأوقذها إيقاذاً ، إذا أثخنتها ضرباً)(*)، ومنه قول الفرزدق :

شغارة تقذ الفصيل برجلها فطَّارة لقوادم الأبكار(١٠)

﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ هي التي تسقط من رأس جبل ، أو بئر حتى تموت .

﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ هي الشاة التي تنطحها أخرىٰ حتى تموت .

﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني من المنخنقة وما بعدها ، وهو قول علي رضي الله عنه ، وابن عباس ، وقتادة ، والحسن ، والجمهور .

والثاني : أنه عائد إلى ما أكل السبع خاصة ، وهو محكي عن الظاهرية .

وفي مأكولة السبع التي تحل بالذكاة قولان :

أحدهما : أن تكون لها عين تطرف أو ذنب يتحرك .

والثاني : أن تكون فيها حركة(*) قوية لا كحركة المذبوح ، وهو قول الشافعي ، ومالك .

﴿ . . . وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَامِ ﴾ معناه أن تطلبوا علم ما قُسِّمَ أو لم يُقَسَّم من رزق أو حاجة بالأزلام ، وهي قداح ثلاثة مكتوب على أحدها : أمرني ربي ، والآخر : نهاني ربي ، والثالث : غفل لا شيء عليه ، فكانوا إذا أرادوا سفراً ، أو

---

(٩) مجاز القرآن (١ / ١٥٠) واللسان مادة [هلل]

(*) جاء في نسخة أخرى مكان هذه العبارة « وقذه يقذه وقذاً إذا ضربه حتى أشفى على الهلاك .

(١٠) ديوانه (٤٥٤)، النقائض (٣٣٢).

(*) جاء في نسخة للمخطوطة : حياة بدلاً من حركة .

غزواً ، ضربـوا بها واستسقسمـوا ، فإن خـرج أمرني ربي فعلوه ، وإن خـرج نهاني ربي تركوه ، وإن خـرج الأبيض أعادوه ، فنهىٰ الله عنـه ، فَسُمِّي ذلك استقسـاماً ، لأنهم طلبوا به علم ما قُسِمَ لهم .

وقال أبو العباس المبرد: بل هو مشتق من قَسَم اليمين، لأنهم التزموا ما يلتزمونه باليمين.

﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ أي خروج عن أمر الله وطاعته ، وفعل ماتقدم نهيه عنه .

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن ترتدوا عنه راجعين إلى دينهم .

والثاني : أن يقدروا على إبطاله ويقدحوا في صحته .

قـال مجاهـد : كان ذلـك يوم عـرفة حين حـج النبي ﷺ حجة الـوداع ، بعد دخول العرب الإسلام حتى لم ير النبي ﷺ مشركاً .

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ أي لا تخشوهم أن يظهروا عليكم ، واخشـونِ ، أن تخالفوا أمري .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يوم عرفة في حجة الوداع ولم يعش [الـرسول ﷺ] بعـد ذلك إلاَّ إحدى وثمانين ليلة ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : أنه زمان النبي ﷺ كله إلى أنْ نَزَل ذلك عليه في يوم عرفـة ، وهذا قول الحسن .

وفي إكمال الدين قولان :

أحدهما : يعني أكملت فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي(١١) . ولم ينـزل على النبي ﷺ بعـدها شيء من الفـرائض من تحليل ولا تحـريم ، وهـذا قـول ابن عباس والسدي .

(١١) هذه الآية حجة على كل مبتدع فلا مجال لأحد كائناً من كـان أن يزيـد في شرع الله أو ينقص فـإن الـدين قد تم والشـريعة قـد كملت فليت الذين يسمـون أنفسهم بالسلطة التشـريعية عقلوا هـذه الآيـة ورجعوا إلى كتاب ربهم وعلموا أن التشريع حق لله وحده .

والثـاني : يعني اليوم أكملت لكم حجتكم ، أن تحجـوا البيت الحـرام ، ولا يحج معكم مشرك ، وهذا قول قتادة ، وسعيد بن جبير .

﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ بإكمال دينكم .

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلَامَ دِيناً ﴾ أي رضيت لكم الاستسلام لأمري دينـاً ، أي طاعة .

روىٰ قبيصة قال : قـال كعب لو أن غيـر هذه الأمـة نزلت عليهم هـذه الآية ، لعظموا اليوم ، الذي أُنْزِلت فيه عليهم ، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ، فقال عمـر : قد علمت اليوم الذي أُنزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت في يـوم الجمعة ويوم عرفة ، وكلاهما ـ بحمد الله ـ لنا عيد .

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ أي أصابه ضر الجوع .

﴿ فِي مَخْمَصَـةٍ ﴾ أي في مجاعـة ، وهي مَفْعَلة مثـل مجهلة ومبخلة ومجبنـة ومخزية من خمص البطن ، وهو اصطباره(*) من الجوع ، قال الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرقى يبتن خماصا[١٢]

﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ فيه قولان :

أحـدهما : غيـر متعمد لإثم ، وهـذا قول ابن عبـاس ، والحسن ، وقتـادة ، ومجاهد .

والثاني : غير مائل إلى إثم ، وأصله من جنف القـوم إذا مالـوا ، وكل أعـوج عند العرب أجنف .

وقد روىٰ الأوزاعي عن حسان عن عطية عن أبي واقد الليثي[١٣] قال : قلنـا

(*) هكذا في الأصول وفي اللسان أن الخمص دقة البطن أي ضموره فلعل الصواب اضطماره .

(١٢) ديوانه (١٠٩) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٥٣) .
وقع هنا تصحيف في الشطر الثاني من البيت وصوابه :
« وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً » ويروى أيضاً : جوعى بدلاً من غرثى .

(١٣) رواه ابن جرير (٩/٥٣٨) وأحمد (٥/٢٨٥) والحاكم (٤/١٢٥) وقـال صحيح على شرط الشيخين فتعقبه الذهبي بقوله : فيه انقطاع اهـ. قلت : يعني بين حسان بن عطية وأبي واقد الليثي كما قال أبو الحجاج المزي ونقله الهيثمي في المجمع (٤/١٦٥) . =

يا رسول الله إنا بأرض يصيبنا فيها مخمصة ، فما يصلح لنا من الميتة ؟ قال : « إِذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا أَوْ تَغْتَبِقُوا أَوْ تَجْنِفُوا بها ، فَشَأْنُكُم بِهَا » .

واختلف في وقت نزول هذه السورة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في يوم عرفة ، روىٰ شهر بن حوشب[١٤] عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت سورة المائدة جميعاً وأنا آخذة بزمام ناقة رسول الله ﷺ العضباء وهو واقف بعرفة فكادت من ثقلها أن تدق عضد الناقة .

والثاني : أنها نزلت في مسيره ﷺ في حجة الوداع ، وهو راكب ، فبركت به راحلته من ثقلها .

والثالث : أنها نزلت يوم الإثنين بالمدينة ، وهو قول ابن عباس ، وقد حُكِيَ عنه القول الأول .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٤)

قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ ﴾ يعني بالطيبات الحلال ، وإنما سمي الحلال طيباً ، وإن لم يكن مستلذاً تشبيهاً بما يستلذ .

= وقد رواه الطبري برقم ١١٣٢ ، ١١٣٣ عن حسان بن عطية عن رجل .

فلعل المبهم هنا هو أبو واقد الليثي .

وقد رواه بعضهم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن مسلم بن يزيد عن أبي واقد به ومنهم من رواه عن الأوزاعي عن حسان عن مرثد أو أبي مرثد عن أبي واقد به ورواه ابن جرير أيضاً عن هناد عن ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان مرسلاً والله أعلم . راجع تفسير ابن كثير (٢/ ١٤) وقد وردت ألفاظ في هذا الحديث فانظرها في الطبري وفيها غريب الحديث . وقد فسر الشيخ أحمد شاكر حفظه الله هذه الألفاظ وأسهب فيها وزاد على ما أورده الطبري عندها فانظره هناك .

(١٤) رواه أحمد في مسنده (٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨) والطبري برقم (١١١٠٧) وذكره الهيثمي في الزوائد (٧/ ١٣) وقال رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثقه .

﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ يعني وصيد ما علمتم من الجوارح ، وهي الكواسب من سباع البهائم والطير ، سميت جوارح لكسب أهلها بها من قولهم : فلان جارحة أهله أي كاسبهم ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

ذا جبار منضجاً ميسمه يذكر الجارح ما كان اجترح[١٥]

أي ما اكتسب .

وفي قوله : ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني من الكلاب دون غيرها ، وأنه لا يحل إلا صيد الكلاب وحدها ، وهذا قول ابن عمر ، والضحاك ، والسدي .

والثاني : أن التكليب من صفات الجوارح من كلب وغيره ، ومعناه مُضْرِين على الصيد كما تَضْرِي الكلاب ، وهو قول ابن عباس ، وعلي بن الحسين ، والحسن ، ومجاهد .

والثالث : أن معنى التكليب من صفات الجارح : التعليم .

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي تعلمونهن من طلب الصيد لكم مما علمكم الله من التأديب الذي أدبكم وصفات التعليم التي بيَّن حكمها لكم .

فأما صفة التعليم ، فهو أن يُشلَى إذا أُشلي ، ويجيب إذا دعي ويمسك إذا أخذ .

وهل يكون إمساكه عن الأكل شرطاً في صحة التعليم أم لا ؟ على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه شرط في كل الجوارح ، فإن أكلت لم تؤكل ، وهذا قول ابن عباس ، وعطاء .

والثاني : أنه ليس بشرط في كل الجوارح ويؤكل وإن أكلت ، وهذا قول ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وسلمان .

(١٥) ديوانه : ١٦٤ ووقع في تفسير الطبري .

ذات حد فيضجٍ ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح

(٥٤٣/٩).

والثالث : أنه شرط في جوارح البهائم فلا يؤكل ما أكلت ، وليس بشرط في جوارح الطير ، فيؤكل وإن أكلت ، وهذا قول الشعبي ، والنخعي ، والسدي .

واختلف في سبب نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : ما روىٰ القعقاع بن حكيم عن سليمان بن أبي رافع[١٦] عن أبي رافع قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ليستأذن عليه ، فقال أذنًا لك ، فقال أجل ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ، قال أبو رافع : فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأمرني بقتله ، فرجعت إلى الكلب فقتلته ، فجاؤوا ، فقالوا : يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ، قال فسكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ الآية .

والثاني : ما حكي أن زيد الخيل لَمَّا وفد على النبي ﷺ قال فيه من الخير ما قال فسماه زيد الخير ، فقال : يا رسول الله فينا رجلان ، يقال لأحدهما دريح ، والآخر يكنى أبا دجانة ، لهما أكْلُب خمسة تصيد الظباء ، فما ترىٰ في صيدها ؟

وحكىٰ هشام عن ابن عباس أن أسماء هذه الكلاب الخمسة التي لدريح وأبي دجانة : المختلس وغلاب والغنيم وسهلب والمتعاطي ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ الآية .

ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

(١٦) رواه ابن جرير (٩/٥٤٥) وفي سنده عنده موسى بن عبيدة وهو منكر الحديث لا تحل الرواية عنه كما قال الإمام أحمد ورواه الحاكم (٢/٣١١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي لكن في سنده عنده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن الحديث وزاد السيوطي في الدر (٣/٢١) نسبته للفريابي وابن المنذر والبيهقي وابن أبي حاتم والطبراني .

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ يعني ذبائحهم .

﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ يعني ذبائحنا .

﴿ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني نكاح المحصنات ، وفيهن قولان :

أحدهما : أنهن الحرائر من الفريقين ، سواء كن عفيفات أو فاجرات ، فعلى هذا ، لا يجوز نكاح إمائهن ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي ، وبه قال الشافعي .

والثاني : أنهن العفائف ، سواءٌ كن حرائر أم إماءً ، فعلى هذا ، يجوز نكاح إمائِهن ، وهذا قول مجاهد ، والشعبي أيضاً ، وبه قال أبو حنيفة .

وفي المحصنات من الذين أوتوا الكتاب قولان :

أحدهما : المعاهدات دون الحربيات ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : عامة أهل الكتاب من معاهدات وحربيات ، وهذا قول الفقهاء وجمهور السلف .

﴿ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ يعني صداقهن .

﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ يعني أعفّاء غير زُناة .

﴿ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ ﴾ هي ذات الخليل الواحد تقيم معه على السفاح .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، فاغسلوا وجوهكم ، فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إذا قمتم إلى الصلاة محدثين ، فاغسلوا ، فصار الحدث مُضْمَراً ، وفي وجوب الوضوء شرطاً ، وهو قول عبد الله بن عباس ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى الأشعري ، والفقهاء .

والثاني : أنه واجب على كل من أراد القيام إلى الصلاة ، أن يتوضأ ، ولا يجوز أن يجمع بوضوء واحد بين فرضين ، وهذا مروي عن علي وعمر .

والثالث : أنه كان واجباً على كل قائمٍ الى الصلاة، ثم نسخ إلّا على المحدث.

روى سليمان بن بريدة عن أبيه [(١٧)] قال : كان رسول الله ﷺ يتوضأ لكل صلاة ، فلما كان عام الفتح ، صلى الصلوات كلها بوضوء واحد ، ومسح على خفيه ، فقال عمر : إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله ، قال : « **عمداً فعلته يا عمر** » .

وروى عبد الله بن حنظلة بن عامر الغسيل [(١٨)] : أن النبي ﷺ أمر بالوضوء عند كل صلاة فشق عليه ، فأمر بالسواك ، ورفع عنه الوضوء .

وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا

(١٧) رواه مسلم (١٧٦/٣ ، ١٧٧) وأبو داود (برقم ١٧٢) والترمذي (٨٩/١ ، ٩٠) والنسائي (٨٦/١) والبيهقي (١٦٢/١ ، ٢٧١) وأحمد (٣٥٠/٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥١) وابن جرير (١٦/١٠ برقم ١١٣٣٠ ، ١١٣٣٣).

(١٨) رواه أبو داود (برقم ٤٨) وابن جرير (١٤/١٠) والبيهقي (٣٧/١، ٣٨) وأحمد (٢٢٥:٥) والحاكم (١٥٦/١).

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وما كان من تدليس محمد بن إسحاق فقد صرح بالتحديث في رواية الطبري والحاكم وصححه ابن كثير في التفسير (٢٢/٢) وزاد السيوطي في الدر (٢٧/٣) نسبته لابن خزيمة.

تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ ﴾ يعني بالحق فيما يلزم من طاعته .

﴿ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل . وفي هذه الشهادة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الشهادة بحقوق الناس ، وهذا قول الحسن .

والثاني : الشهادة بما يكون من معاصي العباد ، وهذا قول بعض البصريين .

الثالث : الشهادة لأمر الله تعالى بأنه حق .

وهذه الآية نزلت في النبي ﷺ ، واختلف المفسرون في سبب نزولها فيه على قولين :

أحدهما : أن النبي خرج إلى يهود بني النضير ، يستعين بهم في دية ، فهمّوا أن يقتلوه ، فنزل ذلك فيه ، وهذا قول قتادة ، ومجاهد .

ثم إن الله تعالى ذكرهم نِعَمَهُ عليهم بخلاص نبيهم بقوله تعالى : ﴿ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ آللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَومٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ .

والقول الثاني : أن قريشاً بعثت رجلاً ، ليقتل رسول الله ﷺ ، فَأَطْلَعَ الله نَبِيَّهُ على ذلك ، فنزلت فيها هاتان الآيتان ، وهذا قول الحسن .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِيّ إِسْرَآئِيلَ ﴾ يعني بإخلاص العبادة لله ولزوم طاعته .

﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ آثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ أخذ من كل سبط منهم نقيباً ، وفي النقيب ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الضمين ، وهو قول الحسن .

الثاني : الأمين ، وهو قول الربيع .

والثالث : الشهيد على قومه ، وهو قول قتادة .

وأصله في اللغة : النقيب الواسع ، فنقيب القوم هو الذي ينقب أحوالهم .

وفيما بعث فيه هؤلاء النقباء قولان :

أحدهما : أنهم بُعِثُوا إلى الجبارين ، ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك إلى موسىٰ ، فرجعوا عن قتالهم ، لمَّا رأوا من شدة بـأسهم ، وعظم خلقهم ، إلا اثنين منهم ، وهذا قول مجاهد ، والسدي .

والثاني : أنهم بعثوا لقومهم بما أخذ به ميثاقهم منهم ، وهذا قول الحسن .

۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ
نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ
وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن
كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم
مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن
مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟
بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعني نصرتموهم ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد .

الثاني : عظمتموهم ، وهذا قول أبي عبيدة .

وأصله المنع ، قال الفراء : عزرته عزراً إذا رددته عن الظلم ، ومنه التعزير لأنه يمنع من معاودة القبح .

قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ وتقديره : فبنقضهم ميثاقهم لعنَّاهم ، و « ما » صلة زائدة .

﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ من القسوة وهي الصلابة .

وقرأ حمزة والكسائي ﴿ قَسِيَّةً ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : أنها أبلغ من قاسية .

والثاني : أنها بمعنى قاسية .

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ يعني بالتغيير والتبديل ، وسوء التأويل .

﴿ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾ يعني نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم .

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني خيانة منهم .

والثاني : يعني فرقة خائنة .

﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أن حكمها ثابت في الصفح والعفو إذا رآه .

والثاني : أنه منسوخ ، وفي الذي نسخه قولان :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ﴾ [التوبة : ٢٩] وهذا قول قتادة .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِم عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم

مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَابِ ﴾ يعني : نبوة محمد ﷺ ، ورجم الزانين .

﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ مما سواه .

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ في النور تأويلان :

أحدهما : محمد ﷺ ، وهو قول الزجاج .

الثاني : القرآن وهو قول بعض المتأخرين .

قوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : سبيل الله ، لأن الله هو السلام ، ومعناه دين الله ، وهذا قول الحسن .

والثاني : طريق السلامة من المخافة ، وهو قول الزجاج .

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ يعني : من الكفر إلى الإيمان بلطفه .

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : طريق الحق وهو دين الله(*)، وهذا قول الحسن .

والثاني : طريق الجنة في الآخرة ، وهو قول بعض المتكلمين .

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ
مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن
فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ

(*) وفي نسخة : الحق .

مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ
ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ
أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَآءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ ﴾ في قولهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قول جماعة من اليهود حذرهم النبي ﷺ عقاب الله ، وخوفهم به ، فقالوا لا تخوفنا : ﴿ نَحنُ أَبْنَآءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ ﴾ ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : أن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحىٰ إلى إسرائيل أن ولدك بِكْري من الولد ، فقالوا : ﴿ نَحنُ أَبْنَآءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّآؤُهُ ﴾ وهذا قول السدي .

وقال الحسن : أنهم قالوا ذلك على معنى قرب الولد من والده ، وهو القول الثالث .

وأما النصارىٰ ، ففي قولهم لذلك قولان :

أحدهما : لتأويلهم ما في الإِنجيل من قوله : اذهب إلى أبي وأبيكم ، فقالوا لأجل ذلك ﴿ نَحنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ .

الثاني : لأجل قولهم في المسيح : ابن الله ، وهم يرجعون إليه ، فجعلوا نفوسهم أبناء الله وأحباءه ، فرد الله منطقهم ذلك بقوله :

﴿ . . . فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ لأن الأب لإشفاقه لا يعذب ابنه ، ولا المحب حبيبه .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ

وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ
﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟
فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ
أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا
مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَا قَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ** ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم الأنبياء الذين جاءوا بعد موسىٰ .

والثاني : أنهم السبعون الذين اختارهم موسىٰ .

﴿ **وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً** ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : لأنهم مَلَكوا أنفسهم بأن خلصهم من استعباد القبط لهم ، وهذا قول الحسن .

والثاني : لأن كل واحد ملك نفسه وأهله وماله ، وهذا قول السدي .

والثالث : لأنهم كانوا أول من ملك الخدم من بني آدم(*)، وهو قول قتادة .

والرابع : أنهم جُعِلُوا ملوكاً بالمَنِّ والسَّلْوَىٰ والحَجَر ، وهذا قول ابن عباس .

(*) وفي نسخة : من بني آدم بن إسرائيل وفي أخرى من بني إسرائيل ا هـ . وتعقب ابن عطية هذا القول .

والخامس : أن كل من ملك داراً وزوجة وخادماً ، فهو ملك من سائر الناس ، وهذا قول عبد الله بن عمرو بن العاص ، والحسن ، وزيد بن أسلم .

وقد روىٰ زيد بن أسلم(١٩) قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كان له بيت [يأوي إليه وزوجة] وخادم ، فهو ملك** ».

﴿ وءَاتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : المن والسلوىٰ والغمام والحجر ، وهو قول مجاهد .

الثاني : كثرة الأنبياء فيهم والآيات التي جاءتهم .

قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ ٱدْخُلُواْ الأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أرض بيت المقدس ، وهذا قول ابن عباس ، والسدي .

والثاني : دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وهذا قول الزجاج .

والثالث : هي الشام ، وهذا قول قتادة ، ومعنى المقدسة : المطهرة .

وقوله : ﴿ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ وإن قال : ﴿ إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم ﴾ لأنها كانت هبة من الله تعالى لهم ثم حرَّمها عليهم بعد معصيتهم .

﴿ وَلاَ تَرْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا ترجعوا عن طاعة الله إلى معصيته .

والثاني : لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها .

قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ والجبار : هو الذي يَجْبُر الناس على ما يريد إكراههم عليه ، ومنه جَبْرُ العظم ، لأنه كالإكراه على

---

(١٩) وهذا حديث مرسل من مراسيل زيد قال الحافظ ابن كثير (٣٧/٢) مرسل غريب رواه الطبري (١٦١/١٠) وزاد السيوطي في الدر (٤٧/٣) نسبته للزبير بن بكار في الموقفيات ولأبي داود في مراسيله .

ويغني عن هذا الحديث ما رواه مسلم (١٨ : ١٠٩ ، ١١٠) والطبري (١٦١/١٠) والسياق له عن أبي هاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي إليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الأغنياء فقال إن لي خادماً قال فأنت من الملوك .

الصلاح ، ويقال [للأعواد التي] تحمله جُبَارة ، إذا قامت اليد طولاً ، لأنها امتنعت كامتناع الجبار من الناس .

وقيل : بلغ من جبروت هؤلاء القوم ، أن واحداً منهم ، أخذ الاثني عشر نقيباً ، الذين بعثهم موسىٰ ، ليخبروه بخبرهم ، فحملهم مع فاكهة حملها من بستانه ، وجاء فنشرهم بين يدي الملك ، وقال : هؤلاء يريدون أن يقاتلونا ، فقال الملك : ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا .

قوله تعالى : ﴿ **قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يخافون الله ، وهو قول قتادة .

الثاني : يخافون الجبارين ، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق .

﴿ **أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : بالتوفيق للطاعة .

والثاني : بالإسلام ، وهو قول الحسن .

وفي هذين الرجلين قولان :

أحدهما : أنهما من النقباء يوشع بن نون ، وكالب بن يوقنا ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنهما رجلان ، كانا في مدينة الجبارين أنعم الله عليهما بالإسلام ، وهذا مروي عن ابن عباس .

﴿ **ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : إنما قالوه لعلمهم بأن الله كتبها لهم .

والثاني : لعلمهم بأن الله ينصرهم على أعدائه ، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق ، وقد قال النبي ﷺ : « **لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُم مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ فَإِنَّهُ لَا يُبْعِدُ مِنْ رِزْقٍ وَلَا يُدْنِي مِنْ أَجَلٍ** »(٢٠) .

(٢٠) رواه أحمد (٣/ ٥٠) من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه وتابعه فإنه لا يقرِّب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم .
وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند وله ألفاظ أخرى بنحوه من حديث ابن سعيد أيضاً تراها في المسند (٣/ ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٢).

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ
بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ
جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ
الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ
أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ ﴾ فيهما قولان :

أحدهما : أنهما من بني إسرائيل ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنهما ابنا آدم لصلبه ، وهما هابيل وقابيل ، وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وقتادة .

﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ والقربان : هو البر الذي يقصد به القرب من رحمة الله ، وهو فعلان من القرب .

واختلف في السبب الذي قربا لأجله قرباناً على قولين :

أحدهما : أنهما فعلاه لغير سبب .

والثاني : وهو أشهر القولين (٢١) أن ذلك لسبب ، وهو أن حواء كانت تضع

---

(٢١) هذه القصة من القصص الإسرائيلية ليس لها أصل صحيح وقد ساق العلامة ابن كثير آثاراً كثيرة معظمها في الطبري وأجود ما فيها ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن خثيم قال أقبلت مع سعيد بن جبير فحدثني عن ابن عباس قال نهي أن تنكح المرأة أخاها توأمها وأقر أن ينكحها غيره من إخوتها وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة فبينما هم كذلك ولد له امرأة وضيئة وولد له أخرى قبيحة دميمة فقال أخو الدميمة أنكحني أختك وانكحك أختي فقال لا أنا أحق بأختي فقربا قرباناً فتقبل من صاحب الكبش ولم يتقبل من صاحب الزرع فقتله ، قال الحافظ ابن كثير بعد نقله للأثر (٢/٤٢) إسناده

في كل عام غلاماً وجارية ، فكان الغلام يتزوج من أحد البطنين بالجارية من البطن الآخر ، وكان لكل واحد من ابني آدم هابيل وقابيل توأمة ، فأراد هابيل أن يتزوج بتوأمة قابيل فمنعه ، وقال أنا أحق بها منك .

واختلف في سبب منعه على قولين :

أحدهما : أن قابيل قال لهابيل أنا أحق بتوأمتي منك ، لأننا من ولادة الجنة وأنت من ولادة الأرض .

الثاني : أنه منعه منها لأن توأمته كانت أحسن من هابيل ومن توأمته ، فقربا قرباناً ، وكان قابيل حراثاً ، وهابيل راعياً ، فقرب هابيل سخلة سمينة من خيار ماله ، وقرب قابيل حزمة سنبل من شر ماله ، فنزلت نار بيضاء فرفعت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وكان ذلك علامة القبول ولم يكن فيهم مسكين يتقرب بالصدقة عليه وإنما كانت قُرَبُهُم هكذا .

قال أبو جعفر الطبري(*) : وكانت سخلة هابيل المقبولة ترعىٰ في الجنة حتى فَدَىٰ الله تعالى بها إسحاق بن إبراهيم الذبيح .

واختلف في سبب قبول قربان هابيل على وجهين :

أحدهما : لأنه كان أتقى لله من قابيل لقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، والتقوى ها هنا الصلاة ، على ما ذكره المفسرون .

الثاني : لأن هابيل تقرب بخيار ماله فَتُقُبِّل منه ، وقابيل تقرب بشر ماله ، فلم يُتَقَبَّل منه ، وهذا قول عبد الله بن عمر ، وأكثر المفسرون .

واختلف في قربانهما هل كان بأمر آدم ، أو من قبل أنفسهما على قولين :

أحدهما : أنهما قربا بأمر آدم حين اختصما إليه .

والثاني : أنهما قربا من قِبَل أنفسهما .

جيد قلت ورواه الطبري مطولاً برقم ١١٧٥١ وجوّد إسناد الطبري الشيخ أحمد شاكر كما في العمدة (٢/١٢٤) وقال عن هذا الأثر « وهو خبر كما ترى ليس من السنة النبوية بل ظاهره يدل على أنه مما أخذه ابن عباس من كتب أهل الكتاب » .

(*) وما قاله الإمام الطبري هنا لم نعلم له أثراً مرفوعاً يدل عليه ولعله من الإسرائيليات والله أعلم .

وكان آدم قد توجه إلى مكة ، ليراها ويزور البيت بها عن أمر ربه ، وكان قد عرض الأمانة في حفظ أهله على السموات فأبت ، فعرضها على الأرض فأبت ، فعرضها على الجبال فأبت ، فعرضها على قابيل فقبلها ، ثم توجه وعاد فوجد قابيل قد قتل هابيل وشربت الأرض دمه ، فبكىٰ ولعن الأرض لشربها دمه ، فأنبتت الشوك ، ولم تشرب بعده دماً .

روى غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني (٢٢) عن علي قال : لما قتل قابيل بن آدم هابيل أخاه بكاه آدم عليه السلام فقال :

تَغَيَّـرَتِ البِـلادُ ومَنْ عليهـا فـوَجْـهُ الأرْضِ مُغْبَـرٌ قبيـحْ
تَـغَـيَّـرَ كـلُّ ذِي لَـوْنٍ وقَـلَّ بَشَاشَـةُ الوَجْـهِ المَلِيـحْ

قال فأجيب آدم :

أبـا هابيـلَ قـد قُتِـلَا جَمِيعـاً وصارَ الحَيُّ كالمَيِّتِ الـذَّبِيحْ
وجَـاءَ بِشَرٍّ مـا قَـدْ كـانَ منه على خَوْفٍ فَجَاءَ بهـا تَصِيحْ

واختلف في قابيل هل كان عند قتل أخيه كافراً أو فاسقاً ؟ فقال قوم كان كافراً ، وقال آخرون بل كان رجل سوء فاسقاً .

قال ابن جريج : لم يزل بنو آدم في نكاح الأخوات حتى مضي أربعة آباء ، فنكح ابنة عمه وذهب نكاح الأخوات .

قوله تعالى : **﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾** معناه لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك بمثله ، وفي امتناعه من دفعه قولان :

أحدهما : منعه منه التحرج مع قدرته عليه وجوازه له ، وهذا قول ابن عباس ، وعبد الله بن عمر .

والثاني : أنه لم يكن له الامتناع ممن أراد إذ ذاك ، وهذا قول مجاهد والحسن .

(٢٢) هذا الأثر عن علي لا يصح فقد رواه الطبري (١٠/٢٠٩) وفي سنده غياث بن إبراهيم وهو مشهور بالوضع ولم يشهد له أحدبخير راجع ترجمته في الميزان فقد أورد له الذهبي هذا الحديث (٣/٣٧٧ ، ٣٣٨) وجاء نحو هذا الحديث مع اختلاف في بعض ألفاظه عن ابن عباس موقوفاً رواه الخطيب وابن عساكر كما في الدر (٣/٦٣).

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوٓءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ معناه ترجع ، وفيه تأويلان :

أحدهما : أن تبوء بإثم قتلي وإثمك الذي عليك من معاصيك وذنوبك ، وهذا قول ابن عباس ، وابن مسعود .

والثاني : يعني أن تبوء بإثمي في خطاياي ، وإثمك بقتلك لي ، فتبوء بهما جميعاً ، وهذا قول مجاهد .

وروى الأعمش ، عند عبد الله بن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْماً إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لِأَنَّه أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » (٢٣) .

قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ معنى طوعت أي فعلت من الطاعة ، وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني شجعت ، وهو قول مجاهد .

والثاني : يعني زينت ، وهو قول قتادة .

والثالث : يعني فساعدته .

وكان هابيل أول من قُتِلَ في الأرض ، وقيل إن قابيل لم يدر كيف يقتله حتى ظهر له إبليس فعلمه ، وقيل إنه قتله غيلة ، بأن ألقىٰ عليه وهو نائم صخرة ، شدخه بها .

قوله تعالىٰ : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني عورة أخيه .

والثاني : جيفة أخيه لأنه تركه حتىٰ أنتن ، فقيل لجيفته سوأة .

وفي الغراب المبعوث قولان :

---

(٢٣) رواه البخاري (٢٦٢/٦ ، ١٦٩/١٢ ، ٢٥٦/١٣) ومسلم (١٣٠٣/٣) وأحمد (٢٢٦/٥) والترمذي (٩٢/١) والنسائي (٨٢/٧) وابن ماجه (٨٧٣/٢) وابن جرير (٢١٨/١٠) وزاد السيوطي في الدر (٦١/٣) نسبته لابن المنذر .

أحدهما : أنه كان ملكاً على صورة الغراب ، فبحث الأرض على سوأة أخيه حتى عرف كيف يدفنه .

والثاني : أنه كان غراباً بحث الأرض على غراب آخر .

﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ ﴾ قيل إنه ندم على غير الوجه الذي تصح منه التوبة ، فلذلك لم تقبل منه ، ولو ندم على الوجه الصحيح لقبلت توبته .

وروى معمر ، عن قتادة ، عن الحسن(٢٤) ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « **إنَّ ابْنَي آدمَ ضَرَبَا مَثَلاً لِهَذِهِ الأُمَّةِ ، فَخُذُوا مِنْ خَيرِهِمَا ، وَدَعُوا شَرَّهُمَا** » .

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ﴾ يعني من أجل أن ابن آدم قتل أخاه ظلماً .

﴿ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني من قتل نفساً ظلماً بغير نفس قتلت ، فيقتل قصاصاً ، أو فساد في الأرض استحقت به القتل ، والفساد في الأرض يكون بالحرب لله ولرسوله وإخافة السبيل .

---

(٢٤) رواه ابن جرير (١٠/ ٢٣٠) وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٥٩) نسبته لعبد الرزاق وهو حديث مرسل وقد ورد نحوه عن السدي قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال « **أيها الناس ألا إن ابني آدم ضربا لكم مثلاً** » . . . الحديث وهذا بلاغ كما ترى ونسبه السيوطي في الدر (٣/ ٥٩) لعبد بن حميد .

﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : يعني من قتل نبياً أو إمام عدل ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شد على يد نبي أو إمام عدل ، فكأنما أحيا الناس جميعاً ، وهذا قول ابن عباس .

والثاني : معناه فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول ، ومن أحياها فاستنقذها من هلكة ، فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ ، وهذا قول ابن مسعود .

والثالث : معناه أن قاتل النفس المحرمة يجب عليه من القود والقصاص مثل ما يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها بالعفو عن القاتل ، أعطاه الله من الأجر مثل ما لو أحيا الناس جميعاً ، وهذا قول ابن زيد وأبيه .

والرابع : معناه أن قاتل النفس المحرمة يَصْلَىٰ النار كما يَصْلاها لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها ، يعني سلم من قتلها ، [فكأنما] سلم من قتل الناس جميعاً ، وهذا قول مجاهد .

والخامس: أن على جميع الناس (جناية القتل) كما لو قتلهم جميعاً، ومن أحياها بإنجائها من غرق أو حرق أو هلكة، فعليهم شكره كما لو أحياهم جميعاً.

والسادس : أن الله تعالى عظم أجرها ووزرها فإحياؤها [يكون] بمالك أو عفوك ، وهذا قول الحسن ، وقتادة .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَآءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾ اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض ، فعرف الله نبيه الحكم فيهم ، وهذا قول ابن عباس .

الثاني : أنها نزلت في العُرَنِيِّينَ ارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا إبله ، وهذا قول أنس بن مالك ، وقتادة .

والثالث : أنها نزلت إخباراً من الله تعالى بحكم من حارب الله ورسوله ،وسعىٰ في الأرض فساداً .

واختلف في المستحق اسم المحارب لله ورسوله الذي يلزمه حكم هذه الآيـة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الزنى والقتل والسرقة ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أنه المجاهر بقطع الطريق والمكابر باللصوصية في المِصْر وغيـره ، وهذا قول الشافعي ، ومالك ، والأوزاعي .

والثالث : أنه المجاهر بقطع الطريق دون المكابر في المِصْر ، وهذا قول أبي حنيفة ، وعطاء الخراساني .

﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ جعل الله هذا حكم المحارب ، وفيه قولان :

أحدهما : أنها على التخيير وأن الإمام فيهم بالخيار بين أن يقتل أو يصلب أو يقطع أو ينفي ، وهذا قول سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم .

والثاني : أنها مرتبة تختلف على قدر اختلاف الأفعال : أن يقتلوا إذا قتلوا ، أو يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي .

وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب[٢٥] أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك العرنيين وهم من بجيلة ، فسأل رسول الله ﷺ جبريل عن القصاص فيمن حارب ، فقال : من سرق وأخاف السبيل فاقطع يده لسرقته ورجله لإخافته ، ومن قتل فاقتله ، ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج فاصلبه .

أما قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ ﴾ فقد اختلف أهل التأويل فيه على أربعة أوجه :

(٢٥) رواه الطبري (١٠/٢٦٧) مطولاً ومختصراً برقم ١١٨١٦ وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف إلا في رواية العبادلة عنه وهذه ليست منها وفيه الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعن وفيه انقطاع بين يزيد ابن أبي حبيب وأنس فإنه لم يدرك أنساً ولم يُذكر أنه سمع منه وعلى هذا فالحديث ضعيف بهذه العلل الثلاث أما قصة العرنيين فهي صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه .

أحـدها : أنـه نفيهم وإبعادهم من بـلاد الإسلام إلى بـلاد الشرك ، وهـو قول أنس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والزهري ، والضحاك ، والربيع .

والثاني : أنه إخراجهم من مدينة إلى مدينـة أخرىٰ، وهـو قول عمـر بن عبد العزيز، وسعيد بن جبير.

والثالث : أنه الحبس ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه .

والرابع : هو أن يطلبوا لتقام الحدود عليهم فيُبْعَدُوا ، وهذا قول ابن عباس ، والشافعي ، والليث بن سعد .

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : إلا الذين تابـوا من شركهم وسعيهم في الأرض فسـاداً بإسـلامهم ، فأما المسلمون فلا تسقط التـوبة عنهم حـداً وجب عليهم ، وهذا قـول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : إلا الذين تابوا من المسلمين المحاربين بأمـان من الإمام قبـل القدرة عليهم ، فـأما التـائب بغير أمـان فلا ، وهـذا قول عليّ عليـه السـلام ، والشعبي ، وروى الشعبي أن خارجة بن زيد خرج محـارباً فـأخاف السبيـل ، وسفك الـدماء ، وأخذ الأموال ، وجاء تائبـاً من قبل القـدرة عليه ، فقبـل عليّ توبتـه وجعل لـه أمانـاً منشوراً على ما كان أصاب من دم ومال .

والثالث : إلا الذين تابوا بعد أن لحقوا بدار الحرب وإن كـان مسلماً ثم جـاء تائباً قبل القدرة عليه ، وهذا قول عروة بن الزبير .

والرابع : إن كان في دار الإسلام في منعة وله فئة يلجأ إليها وتاب قبل القدرة عليه قبلت توبته، وإن لم يكن له فئة يمتنع بها [وتاب] لم [تسقط] عنه توبته شيئاً من عقوبته، وهذا قول ابن عمر، وربيعة، والحكم بن عيينة.

والخامس : أن توبته قبل القدرة عليه تضع عنه حـدود الله تعالى دون حقـوق الآدميين ، وهذا قول الشافعي .

والسادس : أن توبتـه قبل القـدرة عليه تضـع عنه سـائر الحقـوق والحدود إلا الدماء ، وهذا مذهب مالك .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى
سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ
مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم
بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ
بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ وهي في قراءة عبد الله ابن مسعود: والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما .

إنما بدأ الله تعالى في السرقة بالسارق قبل السارقة ، وفي الزنىٰ بالزانية قبل الزاني ، لأن حب المال على الرجال أغلب ، وشهوة الاستمتاع على النساء أغلب ، ثم جعل حد السرقة قطع اليد لتناول المال بها ، ولم يجعل حد الزنىٰ قطع الذكر مع مواقعة الفاحشة به ، لثلاثة معانٍ :

أحدها : أن للسارق مثل يده التي قطعت فإن انزجر بها اعتاض بالثانية ، وليس للزاني مثل ذكره إذا قطع فلم يعتض بغيره لو انزجر بقطعه .

والثاني : أن الحد زجر للمحدود وغيره ، وقطع اليد في السرقة ظاهر ، وقطع الذكر في الزنىٰ باطن .

والثالث : أن في قطع الذكر إبطال النسل وليس في قطع اليد إبطاله .

وقد قطع السارق في الجاهلية ، وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد ابن المغيرة ، فأمر الله تعالى بقطعه في الإسلام ، فكان أول سارق قطعه رسول الله

ﷺ في الإسلام الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم ، وقال : « **لَو كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ** » (٢٦) .

وقطع عمر ابن سمرة أخا عبد الرحمن بن سمرة .

والقطع في السرقة حق لله تعالى لا يجوز العفو عنه بعد علم الإمام به ، لقول رسول الله ﷺ في سارق رداء صفوان حين أمر بقطعه ، فقال صفوان : قد عفوت عنه ، فقال النبي ﷺ : « **هَلاَّ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ ؟ لاَ عَفَا اللَّهُ عَنِّي إِنْ عَفَوتُ** » (٢٧) .

وروي أن معاوية بن أبي سفيان أُتِيَ بلصوص فقطعهم حتى بقي واحد منهم فقدم ليقطع فقال :

يميني أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقىٰ مكاناً يشينها
يدي كانت الحسناء لو تم سبرها ... ولا تعدمُ الحسناءُ عابا يعيبها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة ... إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فقال معاوية : كيف أصنع وقد قطعت أصحابك ، فقالت أم السارق : يا أمير المؤمنين اجعلها من ذنوبك التي تتوب منها ، فَخَلَّىٰ سبيله ، فكان أول حد ترك في الإسلام .

ولوجوب القطع مع ارتفاع الشبهة شرطان هما : الحرز والقدر ، وقد اختلف الفقهاء في قدر ما تقطع فيه اليد خلافاً ، كُتُبُ الفقه أولى .

واختلف أهل التأويل حينئذ لأجل استثناء القطع وشروطه عمن سرق من غير حرز أو سرق من القدر الذي تقطع فيه اليد في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾ هل هو عام خُصّ ؟ أو مجمل فُسِّر على وجهين :

أحدهما : أنه العموم الذي خُصّ .

والثاني : أنه المجمل الذي فُسِّر .

---

(٢٦) جزء من حديث رواه البخاري (١٢/٧٦) ومسلم (١١٠/١٨٦ ـ ١٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها واسم المرأة المخزومية التي سرقت فاطمة بنت الأسود راجع ترجمتها في الإصابة .

(٢٧) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/٢٢٥) مختصراً عن الزهري أن صفوان أتى النبي ﷺ ورواه مطولاً أيضاً (١٠/٢٣٠) عن طاووس قال قيل لصفوان بن أمية . . . الحديث ورواه أيضاً (١٠/٢٢٩) عن عمرو بن دينار مطولاً بنحو حديث طاووس .

ثم قال تعالى : ﴿ جَزَآءً بِمَا كَسَبَا ﴾ فاختلفوا هل يجب مع القطع غُرْم المسروق إذا استهلك على مذهبين :

أحدهما : أنه لا غرم ، وهذا قول أبي حنيفة .

والثاني : يجب فيه الغرم ، وهو مذهب الشافعي .

وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع .

قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ آللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ في التوبة ها هنا قولان :

أحدهما : أنها كالتوبة من سائر المعاصي والندم على ما مضىٰ والعزم على ترك المعاودة .

والثاني : أنها الحد ، وهو قول مجاهد .

وقد روى عبد الله بن عمرو قال [٢٨] : سرقت امرأة حلياً فجاء الذين سرقتهم فقالوا : يا رسول الله سرقتنا هذه المرأة ، فقال رسول الله ﷺ : « آقْطَعُوا يَدَهَا الْيُمْنَىٰ » فقالت المرأة : هل لي من توبة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ » فأنزل الله تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ آللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يغفر لمن تاب من كفره ، ويعذب من مات على كفره ، وهذا قول الكلبي .

الثاني : يعذب من يشاء في الدنيا على معاصيهم بالقتل والخسف والمسخ والآلام وغير ذلك من صنوف عذابه ، ويغفر لمن يشاء منهم في الدنيا بالتوبة واستنقاذهم بها من الهلكة وخلاصهم من العقوبة .

(٢٨) رواه الطبري (١٠/٢٩٩) وأحمد مطولاً ومفصلاً برقم ٦٦٥٧ من حديث ابن لهيعة عن حيّ بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو . . . الحديث وهذا السند فيه ضعف من أجل ابن لهيعة وقد تقدم الكلام عليه وكذا حيّ بن عبد الله تكلم فيه البخاري وقال فيه نظر وقال أحمد عنده مناكير ومشاه ابن معين وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به إذا روى عن ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقد صحح الحديث الشيخ شاكر على قاعدته في توثيق ابن لهيعة ولم يلتفت إلى تضعيف من ضعف حيّ بن عبد الله . وزاد السيوطي في الدر (٣/٧٣) نسبته لابن أبي حاتم .

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ
مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن
يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ
ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم
بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ
حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ
يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ
بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا
ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ يعني به المنافقين المظهرين للإيمان المبطنين للكفر .

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ يعني اليهود .

﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ ليكذبوا عليك عندهم إذا أتوا من بعدهم ، وهذا قول الحسن ، والزجاج .

والثاني : أن معنى قوله : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ أي قائلون للكذب عليك . و ﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ يعني في قصة الزاني المحصن من اليهود الذي حكم رسول الله ﷺ برجمه فأنكروه ، وهذا قول ابن عباس .

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنهم إذا سمعوا كلام النبي ﷺ غيروه بالكذب عليه ، وهذا قول الحسن .

والثاني : هو تغيير حكم الله تعالى في جَلْد الزاني بدلاً من رجمه ، وقيل في إسقاط القود عند استحقاقه .

﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يريد بذلك حين زنى رجل منهم بامرأة فأنفذوه إلى النبي ﷺ ليحكم بينهم وقالوا : إن حكم عليكم بالجلد فاقبلوه وإن حكم عليكم بالرجم فلا تقبلوه ، فقام النبي ﷺ إلى مدارس توراتهم وفيها أحبارهم يتلون التوراة ، فأتىٰ عبد الله بن صوريا ، وكان أعور ، وهو من أعلمهم فقال له أسألك بالذي أنزل التوراة بطور سيناء على موسىٰ بن عمران هل في التوراة الرجم ؟ فأمسك ، فلم يزل به حتىٰ اعترف ، فأمر بهما النبي ﷺ فَرُجِمَا، قال عبد الله : وكنت فيمن رجمه وأنه ليقيها الأحجار بنفسه حتى ماتت ، ثم إن ابن صوريا أنكر وفيه أنزل الله تعالى هذه الآية وهذا قول ابن عباس ، وجابر ، وسعيد بن المسيب ، والسدي ، وابن زيد .

والقول الثاني : أن ذلك في قتيل منهم ، قال الكلبي : قتلت بنو النضير رجلاً من بني قريظة وكانوا يمتنعون بالاستطالة عليهم من القود بالدية ، وإذا قتلت بنو قريظة منهم رجلاً لم يقنعوا إلا بالقود دون الدية ، قالوا : إن أفتاكم بالدية فاقبلوه ، وإن أفتاكم بالقود فردوه ، وهذا قول قتادة .

﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : عذابه ، وهذا قول الحسن .

والثاني : إضلاله ، وهو قول السدي .

والثالث : فضيحته ، وهو قول الزجاج .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لم يطهرها من الضيق والحرج عقوبة لهم .

والثاني : لم يطهرها من الكفر .

قوله تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن السحت الرشوة (٢٩) ، وهو مروي عن النبي ﷺ .

والثاني : أنه الرشوة في الحكم ، وهو قول علي .

والثالث : هو الاستعجال في القضية ، وهو قول أبي هريرة .

والرابع : ما فيه الغارّ من الأثمان المحرمة : كثمن الكلب ، والخنزير ، والخمر وعسب الفحل ، وحلوان الكاهن .

وأصل السحت الاستئصال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ أي يستأصلكم ، وقال الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مجلف (٣٠)

فسمي سحتاً لأنه يسحت الدين والمروءة .

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ فيمن أريد بذلك قولان :

أحدهما : اليهوديان اللذان زنيا خيّر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهما بالرجم أو يدع ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، والزهري .

والثاني : أنها في نفسين من بني قريظة وبني النضير قتل أحدهما صاحبه فخيّر رسول الله ﷺ عند احتكامهما إليه بين أن يحكم بالقود أو يدع ، وهذا قول قتادة .

---

(٢٩) رواه ابن جرير (٩/٣٢٣) لسيده عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « **كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به** » قيل يا رسول الله ما السحت قال الرشوة في الحكم وهذا حديث مرسل ونسبه السيوطي في الدر (٣/٨١) لابن مردويه وعبد بن حميد وابن جرير لعبد الله بن عمر والذي في الطبري كما تقدم عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر .

(٣٠) ديوانه ٥٥٦ والنقائض : الخزانة ٢ : ٢٤٧ واللسان مادة سحت .

واختلفوا في التخيير في الحكم بينهم ، هل هو ثابت أو منسوخ ؟ على قولين :

أحدهما : أنه ثابت وأن كل حاكم من حكام المسلمين مخير في الحكم بين أهل الذمة بين أن يحكم أو يدع ، وهذا قول الشعبي ، وقتادة ، وعطاء ، وإبراهيم .

والقول الثاني : أن ذلك منسوخ ، وأن الحكم بينهم واجب على من تحاكموا إليه من حكام المسلمين، وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعمر بن عبد العزيز ، وعكرمة ، وقد نسخه قوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّورَاةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : حكم الله بالرجم .

والثاني : حكم الله بالقود .

﴿ ثُمَّ يَتوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بعد حكم الله في التوراة .

والثاني : بعد تحكيمك .

﴿ وَمَآ أُوْلَـٰئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أي في تحكيمك أنه من عند الله مع جحودهم نبوتك .

والثاني : يعني في توليهم عن حكم الله غير راضين به .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ ﴾ يعني بالهدى الدليل ، وبالنور البيان .

﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم جماعة أنبياء منهم محمد ﷺ .

والثاني : المراد نبينا محمد ﷺ وحده وإن ذكر بلفظ الجمع .

وفي الذي يحكم به من التوراة قولان :

أحدهما : أنه أراد رجم الزاني المحصن ، والقود من القاتل العامد .

والقول الثاني : أنه الحكم بجميع ما فيها من غير تخصيص ما لم يرد به نسخ .

ثم قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ يعني على الذين هادوا ، وهم اليهود ، وفي جواز الحكم بها على غير اليهود وجهان : على اختلافهم في التزامنا شرائع من قبلنا إذا لم يرد به نص ينسخ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَالرَّبَانِيُّونَ والأَحْبَارُ ﴾ واحد الأحبار حَبْر بالفتح ، قال الفراء : أكثر ما سمعت حِبْر بالكسر ، وهو العالم ، سُمِّي بذلك اشتقاقاً من التحبير ، وهو التحسين لأن العالم يحسن الحسن ويقبح القبيح ، ويحتمل أن يكون ذلك لأن العلم في نفسه حسن .

ثم قال تعالى : ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه يحكمون بما استحفظوا من كتاب الله .

والثاني : معناه والعلماء بما استحفظوا من كتاب الله .

وفي ﴿ ٱسْتُحْفِظُواْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : استودعوا ، وهو قول الأخفش .

والثاني : العلم بما حفظوا ، وهو قول الكلبي .

﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ يعني على حكم النبي ﷺ أنه في التوراة .

﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : فلا تخشوهم في كتمان ما أنزلت ، وهذا قول السدي .

والثاني : في الحكم بما أنزلت .

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه لا تأخذوا على كتمانها أجراً .

والثاني : معناه لا تأخذوا على تعليمها أجراً .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾، ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾، ثم قال تعالىٰ : ﴿ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾ وفي اختلاف هذه الآي الثلاث أربعة أقاويل :

أحدها : أنها واردة في اليهود دون المسلمين ، وهذا قول ابن مسعود ، وحذيفة ، والبراء ، وعكرمة .

الثاني : أنها نزلت في أهل الكتاب ، وحكمها عام في جميع الناس ، وهذا قول الحسن ، وإبراهيم .

والثالث : أنه أراد بالكافرين أهل الإسلام ، وبالظالمين اليهود ، وبالفاسقين النصارىٰ ، وهذا قول الشعبي .

والرابع : أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به ، فهو كافر ، ومن لم يحكم مقراً به فهو ظالم فاسق ، وهذا قول ابن عباس .

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ
وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ
بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ
﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ
ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيهِم فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ الآية . نزلت في اليهود من بني قريظة والنضير ، وقد ذكرنا قصتهما .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كفارة للجروح ، وهو قول عبد الله بن عمر ، وإبراهيم ،

والحسن ، والشعبي ، روى الشعبي عن ابن الصامت (٣١) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ جُرِحَ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَتَصَدَّقَ بِهَا كَفَّرَ عَنْهُ ذُنُوبَهُ بِمِثْلِ مَا تَصَدَّقَ بِهِ** ».

والثاني : أنه كفارة للجارح (٣٢) ، لأنه يقوم مقام أخذ الحق منه ، وهذا قول ابن عباس ، ومجاهد ، وهذا محمول على من عفى عنه بعد توبته .

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)

قوله تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾ يعني القرآن .

﴿ **مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ يعني لما قبله من الكتاب وفيه وجهان :

أحدهما : مصدقاً بها ، وهو قول مقاتل .

(٣١) رواه ابن جرير (١٠/٣٦٤) وأحمد (٥ : ٣١٦) وصحح إسناداهما الشيخ شاكر في العمدة (٢/١٦١) وقد أعله البيهقي بالانقطاع بين الشعبي وعبادة بن الصامت وإن كان الإسناد إلى الشعبي صحيح فالله أعلم .

(٣٢) قال الشيخ أحمد شاكر في العمدة (٢/١٦٠) « هذا التشريع الثابت بنص القرآن الكريم والذي أخبرنا الله سبحانه في هذه الآية أنه ثابت في التوراة جعله الإفرنج الكفرة الفجرة مما يتندرون به في أقوالهم وكتاباتهم يسمونه شريعة الغاب » !! عن كفرهم بالأديان وإنكارهم للشرائع السماوية حتى سارت هذه الكلمة المنكرة مثلاً ثم يقلدهم الملحدون من المنتسبين للإسلام والجاهلون من المسلمين لا يدرون أنهم بذلك طعنوا في التشريع الإلهي الثابت في الشرائع السماوية الثلاثة، فليحذر المسلمون مواطن الزلق ، وليصونوا ألسنتهم وأقلامهم أما الملحدون فهم الملحدون .

والثاني : موافقاً لها ، وهو قول الكلبي .

﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني أميناً ، وهو قول ابن عباس .

والثاني : يعني شاهداً عليه ، وهو قول قتادة ، والسدي .

والثالث : حفيظاً عليه .

﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ هذا يدل على وجوب الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلينا ، وألا نحكم بينهم بتوراتهم ولا بإنجيلهم .

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم أمة نبينا محمد ﷺ .

والثاني : أمم جميع الأنبياء .

﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ أما الشرعة فهي الشريعة وهي الطريقة الظاهرة ، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ومن ذلك قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر طرقه إليه ، ومنه قولهم : أُشْرِعَتِ الأسنة إذا ظهرت .

وأما المنهاج فهو الطريق الواضح ، يقال طريق نهج ومنهج ، قال الراجز :

مَن يَكُ ذَا شَكٍّ فهذَا فَلْجُ   مَاءٌ رُوَاءٌ وطَرِيقٌ نَهْجُ (٣٣)

فيكون معنى قوله شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسنة ، وهذا قول ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة .

﴿ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لجعلكم على ملة واحدة .

الثاني : لجمعكم على الحق ، وهذا قول الحسن .

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

(٣٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٩٨ ، معجم ما استعجم ١٠٢٧ واللسان مادة روى .

مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ اختلف أهل التفسير فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في عُبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبي بن سلول ، حين تبرأ عُبادة من حِلْف اليهود وقال : أتولى الله ورسوله حين ظهرت عداوتهم لله ولرسوله . وقال عبد الله بن أبي : لا أتبرأ من حلفهم وأخاف الدوائر ، وهذا قول الزهري .

والثاني : أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بَعَثَه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما نقضوا العهد فلما أطاعوا بالنزول على حكم سعد أشار إلى حلقه إليهم أنه الذبح ، وهذا قول عكرمة .

والثالث : أنها نزلت في رجلين من الأنصار خافا من وقعة أحد فقال أحدهما لصاحبه : أَلْحَقُ باليهود وأتهود معهم ، وقال الآخر : ألحق بالنصارىٰ فأتنصر معهم ، ليكون ذلك لهما أماناً من إدالة الكفار على المسلمين ، وهذا قول السدي (٣٤) .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : موالاتهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر .

والثاني : موالاتهم في الدين فإنه منهم في حكم الكفر ، وهذا قول ابن عباس .

(٣٤) هذه الأقوال الثلاثة ما بين مرسل ومعضل وكلها في الطبري وقال الطبري لم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر ثبت بمثله حجة ا هـ (١٠/٣٩٩) .

قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن المرض الشك وهو قول مقاتل .

والثاني : النفاق ، وهو قول الكلبي .

وفيهم قولان :

أحدهما : المعنيّ به عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي سلول ، وهذا قول عطية بن سعد .

والثاني : أنهم قوم من المنافقين .

﴿ . . . . يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ والدائرة الدولة ترجع عمن انتقلت إليه إلى من كانت له ، سميت بذلك لأنها تدور إليه بعد زوالها عنه ، ومنه قول الشاعر :

يَـرُدُّ عَنَّـا الـقَـدَرَ الْـمَـقْـدُورَا ... وَدَائرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَـدُورَا(٣٥)

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يريد فتح مكة ، قاله السدي .

والثاني : فتح بلاد المشركين على المسلمين .

والثالث : أنه القضاء الفصل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، قاله قتادة.

﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : هو دون الفتح الأعظم .

الثاني : أنه موت من تقدم ذكره من المنافقين .

الثالث والرابع : أنه الجزية، قاله السدي.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ

(٣٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٦٩).

فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى : ﴿ **يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا معه أهل الردة ، قاله : علي ، والحسن ، وابن جريج ، والضحاك .

والثاني : أنهم قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن ، وقد روي أن النبي ﷺ حين نزلت هذه الآية إليه أَوْمَأَ إلى أبي موسى الأشعري بشيء كان في يده وقال : « **هُمْ قَومُ هَـٰذَا** »[٣٦] ، قاله : مجاهد وشريح .

﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ يعني أهل رقة عليهم .

﴿ **أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ** ﴾ يعني أهل غلظة عليهم ، يحكى ذلك عن علي ، وابن عباس .

وهي في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ غُلُظٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ** ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا . . .** ﴾ الآية . وفي هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه من أصحابه حين شكوا إلى رسول الله ﷺ ما أظهره اليهود من عداوتهم لهم ، قاله الكلبي .

---

(٣٦) رواه الطبري (١٠/٤١٤ برقم ١٢١٨٨ ، ١٢١٨٩ ، ١٢١٩٠ ، ١٢١٩١ ، ١٢١٩٢ وابن سعد في الطبقات (٤/١٠٧) والحاكم في المستدرك وصححه (٢/٣١٣) وزاد السيوطي في الدر (٣/١٠٢) نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٦) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

والثاني : أنها نزلت في عُبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود وقال : أتولى الله ورسوله .

وفي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ قولان :

أحدهما : أنه علي ، تصدق وهو راكع (٣٧) ، قاله مجاهد .

والثاني : أنها عامة في جميع المؤمنين ، قاله الحسن ، والسدي .

وفي قوله : ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم .

والثاني : أنها نزلت فيهم وهم في ركوعهم .

والثالث : أنه أراد بالركوع التنفل ، وبإقامة الصلاة الفرض من قولهم فلان يركع إذا انتفل بالصلاة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ
مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ
أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا
جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ

(٣٧) وقد ذكر الحافظ ابن كثير عن هذه الآية آثاراً كثيرة وضعفها وبان عن عوارها قال الشيخ أحمد شاكر (٢ / ١٨٠) . . هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن لينسبوا لعلي كرم الله وجهه مآثر وفضائل غير ثابتة ثم أعجب من ذلك أن يستدلوا بهذه الأكاذيب في هذا الموضع على وجوب إمامة علي، والزمخشري ـ على ذكائه ـ فاتت عليه هذه السخافات وحكاها كأنها حقيقة واقعة جهلاً منه بطرق الرواية وإثباتها والفخر الرازي على جهله بعلوم الحديث ـ رفضها رفضاً شديداً ونَدَّدَ بمخترعيها ومصدقيها .

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ ﴾ يريد بالإثم معصية الله تعالى .

﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أي ظلم الناس .

﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الرُّشا .

والثاني : الربا .

﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ أي لبئس صنيع الربانيين والأحبار إذ لم ينهوهم ، قال ابن عباس والضحاك : ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية . وكان ابن عباس يقرؤها : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ لَوْلَا ﴾ بمعنى هلا .

والربانيون : هم علماء الإنجيل ، والأحبار : هم علماء التوراة .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ

لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل ، قاله ابن عباس وقتادة .

والثاني : مقبوضة عن عذابهم ، قاله الحسن .

قال الكلبي ومقاتل : القائل لذلك فنحاس وأصحابه من يهود بني قينقاع .

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قال ذلك إلزاماً لهم البخل على مطابقة الكلام ، قاله الزجاج .

والثاني : أن معناه غلت أيديهم في جهنم على وجه الحقيقة ، قاله الحسن .

﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ قال الكلبي : يعني يعذبهم بالجزية .

ويحتمل أن يكون لَعْنُهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم .

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن اليدين ها هنا النعمة من قولهم لفلان عندي يد أي نعمة ، ومعناه بل نعمتاه مبسوطتان ، نعمة الدين ، ونعمة الدنيا .

والثاني : اليد ها هنا القوة كقوله تعالى : ﴿ أُولِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَارِ ﴾ [ص : ٤٥] ومعناه بل قوتاه بالثواب والعقاب .

والثالث : أن اليد ها هنا الملك من قولهم في مملوك الرجل هو : ملك يمينه ، ومعناه ملك الدنيا ولآخرة

والرابع : أن التثنية للمبالغة في صفة[٣٨] النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك ، وكقول الأعشى :

---

(٣٨) اعلم رحمني الله وإياك أن الإمام الماوردي رحمه الله قد نقل الأقوال التي أوردها الطبري كلها إلى تفسير اليدين وقد ذكر الطبري وليس في إيراد هذه الأقوال من مخالفةُ للتنزيه والتوحيد الموافق للكتاب والسنّة وقد نحى الإمام الماوردي في هذا الإتجاه اتجاهاً سليماً كما نحاه السلف من قبله كقول الشافعي : آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ وهذا هو الصواب في مثل هذه الآيات فعليك باتباع سلف هذه الأمة. =

يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف إذا ما ضنَّ بالزاد تنفق [٣٩]

﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بمعنى أنه يعطي من يشاء من عباده إذا علم أن في إعطائه مصلحة دينه .

والثاني : ينعم على من يشاء بما يصلحه في دينه .

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ يعني حسدهم إياه وعنادهم له .

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه عنى اليهود بما حصل منهم من الخلاف .

والثاني : أنه أراد بين اليهود والنصارى في تباين قولهم في المسيح ، قاله الحسن .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أقاموها نصب أعينهم حتى إذا نظروا ما فيها من أحكام الله تعالى وأوامره لم يزلوا .

والثاني : إن إقامتها العمل بما فيها من غير تحريف ولا تبديل .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني القرآن لأنهم لما خوطبوا به صار منزلاً عليهم .

﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه أراد التوسعة عليهم كما يقال هو في الخير من قرنه إلى قدمه .

والثاني : لأكلوا من فوقهم بإنزال المطر ، ومن تحت أرجلهم بإنبات الثمر ، قاله ابن عباس .

= نؤمن بما جاء عن الله على مراد الله ربما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ وهذاهو الصواب في مثل هذه الآيات فعليك باتباع سلف هذه الأمة.

وأما قول المعتزلة بأن اليد بمعنى القدرة فهو غير سائغ قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر ولا نقول يده قدرته.

(٣٩) ديوانه : ١٥٠ .

﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : مقتصدة على أمر الله تعالى ، قاله قتادة .

الثاني : عادلة ، قاله الكلبي .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أوجب الله تعالى بهذه الآية على رسوله تبليغ ما أنزل عليه من كتابه سواء كان حكماً ، أو حداً ، أو قصاصاً ، فأما تبليغ غيره من الوحي فتخصيص وجوبه : بما يتعلق بالأحكام دون غيرها .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني إن كتمت آية مما أنزل عليك فما بلغت رسالته لأنه [يكون]، غير ممتثل لجميع الأمر .

ويحتمل وجهين آخرين :

أحدهما : أن يكون معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك فيما وعدك من النصر ، فإن لم تفعل فما بلغت حق رسالته فيما كلفك من الأمر ، لأن استشعار النصر يبعث على امتثال الأمر .

والثاني : أن يكون معناه بلغ ما أنزل إليك من ربك بلاغاً يوجب الانقياد إليه بالجهاد عليه ، وإن لم تفعل ما يقود إليه من الجهاد عليه فما بلغت ما عليك من حق الرسالة إليك .

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يعني أن ينالوك بسوء من قتل أو غيره . واختلف أهل التفسير في سبب نزول ذلك على قولين :

أحدهما : أن النبي ﷺ نزل منزلاً في سفره واستظل بشجرة يقيل تحتها ، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله ، فرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، قاله محمد بن كعب القرظي (٤٠) .

والثاني : أن النبي ﷺ كان يهاب قريشاً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله ابن جريج .

وروت عائشة أن النبي (٤١) ﷺ كان يُحْرَس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : لا يعينهم على بلوغ غرضهم .

الثاني : لا يهديهم إلى الجنة .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ

---

(٤٠) رواه الطبري في التفسير (١٠/٤٧٠) وهو مرسل كما ترى وقد ورد الحديث من حديث جابر مرفوعاً في مسند أحمد (٣/٣١١) وبمعناه في المسند أيضاً (٣/٣٦٤) والبخاري في صحيحه (٧ : ٣٢٩ ـ ٣٣١) وبأسانيد في مسلم في صحيحه (١٥/٤٤ ، ٤٥) والطبري (١٠/١٠٦) .

(٤١) هذا حديث اختلف في وصله وإرساله.

فرواه موصولاً ابن جرير (١٠/٤٦٩) وفي سنده الحارث بن عبيد الأيادي أبو قدامة وهو ضعيف . ورواه الحاكم في المستدرك (٢ : ٣١٣) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . والترمذي برقم ٥٠٣٧ وقال حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق ولم يذكر فيه عائشة أ. هـ. قال الحافظ في الفتح : « إسناده حسن واختلف في وصله وإرساله ».

ورواه ابن جرير (١٠/٤٦٩) مرسلاً عن عبد الله في شقيق وزاد السيوطي في الدر (٣/١١٨) نسبة المرسل لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن مردويه وابن أبي حاتم .

إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟
وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن الميثاق آيات مبينة يقررها علم ذلك عندهم .

والثاني : أن الميثاق أيمان أخذها أنبياء بني إسرائيل عليهم أن يعملوا بها وأمروا بتصديق رسله .

﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً ﴾ يعني بعد أخذ الميثاق .

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ ﴾ هوى النفس مقصور ، وهواء الجو ممدود ، وهما يشتركان في معنى الاسم لأن النفس تستمتع بهواها كما تستمتع بهواء الجو .

﴿ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾ يعني أن الأنبياء إذا لم يحلوا لهم ما يَهْوُونه في الدين كذبوا فريقاً في الدين ، كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، وهم قد كذبوا من قتلوه ولكن تقدير الكلام أنهم اقتصروا على تكذيب فريق وتجاوزوا إلى قتل فريق .

﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العقوبة التي تنزل من السماء .

والثاني : ما ابتلوا به من قتل الأنبياء وتكذيبهم .

والثالث : ما بلوا به من جهة المتغلبين عليهم من الكفار .

﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّوا ﴾ يعني ، فعموا عن المرشد وصموا عن الموعظة حتى تسرعوا إلى قتل أنبيائهم حين حسبوا ألا تكون فتنة .

﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني أنهم تابوا بعد معاينة الفتنة فقبل الله توبتهم .

﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾ يعني أنهم عادوا بعد التوبة إلى ما كانوا عليه قبلها ، والعود إنما كان من أكثرهم لا من جميعهم .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا
يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ (٧٥)﴾

قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ رد الله بذلك على اليهود والنصارىٰ ، فرده على اليهود في تكذيبهم لنبوته ونسبتهم له إلى غير رِشْدة ، ورده على النصارىٰ في قولهم إنه ابن الله .

﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ رد على اليهود في نسبتها إلى الفاحشة .

وفي قوله : ﴿ صِدِّيقَةٌ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه مبالغة في صدقها ونفي الفاحشة عنها .

والثاني : أنها مصدقة بآيات ربها فهي بمنزلة ولدها ، قاله الحسن .

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه كنى بذلك عن الغائط لحدوثه منه ، وهذه صفة تُنْفَىٰ عن الإله .

والثاني : أنه أراد نفس الأكل لأن الحاجة إليه عجز والإله لا يكون عاجزاً .

﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ يعني الحجج والبراهين.

﴿ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني يصرفون ، من قولهم أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر .

والثاني : يعني يقلبون ، والمؤتفكات : المنقلبات من الرياح وغيرها .

والثالث : يكذبون ، من الإفك ، وهو الكذب .

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟
عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ
لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ
﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ
مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ
﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ
أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ
أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا

رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ يعني عبدة الأوثان من العرب ، تَمَالأَ الفريقان على عداوة النبي ﷺ .

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامنوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ﴾ ليس هذا على العموم ، وإنما هو خاص ، وفيه قولان :

أحدهما : عنى بذلك النجاشي وأصحابه لَمَّا أَسْلَمُوا ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

والثاني : أنهم قوم من النصارىٰ كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام ، فَلَمَّا بُعِثَ محمد ﷺ آمنوا به ، قاله قتادة .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾ واحد القسيسين قس ، من قس وهم العباد . وواحد الرهبان راهب ، وهم الزهاد .

﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ يعني عن الإذعان للحق إذا لزم ، وللحجة إذا قامت .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق ، كما قال تعالى : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[البقرة: ١٤٣] ، قاله ابن عباس ، وابن جريج .

والثاني : يعني الذين يشهدون بالإيمان ، قاله الحسن .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه اغتصاب الأموال المستطابة ، فتصير بالغصب حراماً ، وقد كان يمكنهم الوصول إليها بسبب مباح ، قاله بعض البصريين .

والثاني : أنه تحريم ما أبيح لهم من الطيبات ، وسبب ذلك أن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي ، وعثمان بن مظعون ، وابن مسعود ، وابن عمر ، هموا بصيام الدهر ، وقيام الليل ، واعتزال النساء ، وجَبِّ أنفسهم ، وتحريم الطيبات من الطعام عليهم ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُم ﴾ .

﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا تعتدوا بالغصب للأموال التي هي حرام عليكم .

والثاني : أنه أراد بالاعتداء ما هَمَّ به عثمان بن مظعون من جبِّ نفسه ، قاله السدي .

والثالث : أنه ما كانت الجماعة هَمَّت به من تحريم النساء والطعام ، واللباس ، والنوم ، قاله عكرمة .

والرابع : هو تجاوز الحلال إلى الحرام ، قاله الحسن .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ قد ذكرنا اختلاف المفسرين والفقهاء في لغو اليمين .

﴿ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ﴾ اختلف في سبب نزولها على قولين :

أحدهما : أنها نزلت في عثمان بن مظعون ، حين حرَّم على نفسه الطعام ، والنساء ، بيمين حَلَفَهَا ، فأمره النبي ﷺ بالحنث فيها ، قاله السدي .

والثاني : أنها نزلت في عبد الله بن رَوَاحة ، وكان عنده ضيف فأَخَّرَتْ زوجته قِرَاهُ فَحَلَفَ لا يأكل من الطعام شيئاً ، وَحَلَفَتِ الزوجة لا تأكل منه إن لم يأكل ، وحَلَفَ الضيف لا يأكل منه إن لم يأكلا ، فأكل عبد الله وأكلا معه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : « أَحْسَنْتَ »(٤٢) ، ونزلت فيه هذه الآية ، قاله ابن زيد .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾ وعقدها هو لفظ باللسان وقصد بالقلب ، لأن ما لم يقصده في أَيمَانِهِ ، فهو لغو لا يؤاخذ به .

ثم في عقدها قولان :

أحدهما : أن يكون على فعل مستقبل ، ولا يكون على خبر ماض . والفعل المستقبل نوعان : نفي وإثبات ، فالنفي أن يقول والله لا فعلت كذا ، والإثبات أن يقول : والله لأَفْعَلَنَّ كذا .

وأما الخبر الماضي فهو أن يقول : والله ما فعلت ، وقد فعل ، أو يقول : والله لقد فعلت كذا ، وما فعل ، فينعقد يمينه بالفعل المستقبل في نوعي إثباته ونفيه .

وفي انعقادها بالخبر الماضي قولان :

أحدهما : أنها لا تنعقد بالخبر الماضي ، قاله أبو حنيفة وأهل العراق .

والقول الثاني : أنها تنعقد على فعل مستقبل وخبر ماض يتعلق الحنث بهما ، قاله الشافعي ، وأهل الحجاز .

ثم قال تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾ فيه قولان : ـ

أحدهما : أنها كفارة ما عقدوه من الأيمان ، قالته عائشة ، والحسن ، والشعبي ، وقتادة .

والثاني : أنها كفارة الحنث فيما عقده منها ، وهذا يشبه أن يكون قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وإبراهيم .

(٤٢) رواه الطبري برقم ١٢٣٤٩ وسنده صحيح إلى ابن زيد لكن الحديث مرسل .

والأصح من إطلاق هـذين القولين أن يعتبـر حال اليمين في عقـدها وحلهـا ، فإنها لا تخلو من ثلاثة أحوال :

أحـدها : أن يكـون عقدهـا وحلها معصية كقـولـه : والله لا قَتَلْتُ نفسـاً ولا شربت خمراً ، فإذا حنث فقتل النفس ، وشرب الخمر ، كانت الكفارة لتكفيـر مأثم الحنث .

والحال الثالثة: أن يكون عقدها مباحاً، وحلها مباحاً كقوله: والله لا لبست هذا الثوب، فالكفارة تتعلق بهما وهي بالحنث أخص.

ثم قال تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والحسن، وابن سيرين.

والثاني: من أوسطه في القدر، قاله علي، وعمر، وابن عباس، ومجاهد.

وقرأ سعيد بن جبير ﴿مِن وَسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾

ثم اختلفوا في القدر على خمسة أقاويل:

أحدها : أنه مُدٌّ واحد من سائر الأجناس ، قاله ابن عمـر ، وزيد بن ثـابت ، وعطاء ، وقتادة ، وهو قول الشافعي .

والثـاني : أنه نصف صـاع من سائـر الأجناس ، قـالـه علي ، وعمـر ، وهـو مذهب أبي حنيفة .

والثـالث : أنه غـداء وعشاء ، قـاله علي في روايـة الحارث عنـه ، وهو قـول محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري .

والـرابع : أنـه ما جـرت به عـادة المكفر في عيـاله ، إن كـان يشبعهم أشبـع المسـاكين ، وإن كان لا يشبعهم فعلى قـدر ذلك ، قـالـه ابن عبـاس ، وسعيـد بن جبير .

والخامس : أنه أحد الأمرين من غداء أو عشاء ، قاله بعض البصريين .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ وفيها خمسة أقاويل :

أحـدها : كسـوة ثوب واحـد ، قالـه : ابن عبـاس ، ومجـاهـد ، وطاووس، وعطاء ، والشافعي .

والثـاني : كسـوة ثـوبين ، قـالـه أبـو مـوسى الأشعـري ، وابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين .

والثالث : كسوة ثوب جامع كالملحفة والكساء ، قاله إبراهيم .

والرابع : كسوة إزار ورداء وقميص ، قاله ابن عمر .

والخامس : كسوة ما تجزىء فيه الصلاة ، قاله بعض البصريين .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ يعني أو فك رقبة من أسر العبودية إلى حال الحرية والتحرير ، والفك : العتق ، قال الفرزدق :

أبني غـدانة إنني حـررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال[٤٣]

ويجـزىء صغيرهـا ، وكبيرهـا ، وذكرهـا ، وأنثاهـا ، وفي استحقاق أثمـانهـا قولان :

أحدهما : أنه مستحق ولا تجزىء الكفارة ، قاله الشافعي .

والثاني : أنه غير مستحق ، قاله أبو حنيفة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ﴾ فجعل الله الصـوم بدلاً من المـال عند العجـز عنه ، وجعله مـع اليسـار مخيـراً بين التكفيـر بـالإطعـام ، أو بالكسوة ، أو بالعتق ، وفيها قولان :

أحدهما : أن الواجب منها أحدها لا يعينه عند الجمهور من الفقهاء .

والثـاني : أن جميعهـا واجب ، ولـه الاقتصـار على أحـدهـا ، قـالـه بعض المتكلمين ، وشاذ من الفقهاء .

وهذا إذا حقق خلف في العبارة دون المعنى .

واختلف فيما إذا لم يجده صام على خمسة أقاويل :

أحدها : إذا لم يجد قوته وقوت من يقوت صام ، قاله الشافعي .

والثاني : إذا لم يجد ثلاثة دراهم صام ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : إذا لم يجد درهمين ، قاله الحسن .

(٤٣) ديوانه ٧٢٦ والنقائض ٢٧٥ ، طبقات فحول الشعراء ٤٢٤ .

والرابع : إذا لم يجد مائتي درهم صام ، قاله أبو حنيفة .

والخامس : إذا لم يجد فاضلاً عن رأس ماله الذي يتصرف فيه لمعاشه صام .

وفي تتابع صيامه قولان :

أحدهما : يلزمه ، قاله مجاهد ، وإبراهيم ، وكان أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود يقرآن : ﴿ **فصيام ثلاثة أيام متتابعات** ﴾ .

والثاني : إن صامها متفرقة جاز ، قاله مالك ، والشافعي في أحد قوليه :

﴿ **ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ** ﴾ يعني وحنثتم ، فإن قيل فلِمَ لَمْ يذكر مع الكفارة التوبة ؟ قيل : لأنه ليس كل يمين حنث فيها كانت مأثماً توجب التوبة ، فإن اقترن بها المأثم لزمت التوبة بالندم ، وترك العزم على المعاودة .

﴿ **وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَانَكُمْ** ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني احفظوها أن تحلفوا .

والثاني : احفظوها أن تحنثوا .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ
فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾
وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا
مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ .....** ﴾ الآية . اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل :

أحدها : ما روىٰ ابن اسحاق عن أبي ميسرة قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤٤] : اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ فَدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في سورة النساء : ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَىٰ ﴾ وكان منادي رسول الله ﷺ إذا حضرت الصلاة ينادي لا يقربن الصلاة سكران ، فَدُعِيَ عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت التي في المائدة ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فقال عمر : انتهينا ، انتهينا .

والثاني : أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وقد لاحى رجلاً على شراب ، فضربه الرجل بلحي جمل ، ففزر أنفه ، قاله مصعب بن سعد .

والثالث : أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار ثملوا من الشراب فعبث بعضهم ببعض ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، قاله ابن عباس .

فأما ﴿ ٱلْمَيْسِرُ ﴾ فهو القمار .

وأما ﴿ الأنصَابُ ﴾ ففيها وجهان :

أحدهما : أنها الأصنام تعبد ، قاله الجمهور .

والثاني : أنها أحجار حول الكعبة يذبحون لها ، قاله مقاتل .

وأما ﴿ الأزْلَامُ ﴾ فهي قداح من خشب يُسْتَقْسَمُ بها على ما قدمناه .

---

(٤٤) رواه الطبري برقم ١٢٥١٢ وأحمد برقم ٣٧٨ وأبو داود برقم ٣٦٧٠ والنسائي في سننه (٨/٢٨٦ ، ٢٨٧) والترمذي في كتاب التفسير (٨/٤١٥) تحفة . والحاكم ٢ : ٢٧٨ والبيهقي في السنن (٨/٢٨٥) وأبو جعفر النحاسي في الناسخ والمنسوخ ٣٩ والواحدي في أسباب النزول ص ١٥٤ وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في ابن كثير (٢/٩٢) من طرق عن ابن إسحق عن أبي ميسرة قال قال عمر . . . . . الحديث فذكره .

قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وقد رواه الترمذي من طريق أخرى عن إبن إسحق عن أبي ميسرة مرسلاً ثم قال وهذا أصح من حديث محمد بن يوسف . يعني أنه أصح مرسلاً . والصواب أن الحديث صحيح متصل السند لأن أبا ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمداني سمع من عمر ونقل الحافظ ابن كثير تصحيح علي بن المديني للحديث .

قوله تعالى : ﴿ رِجْسٌ ﴾ يعني حراماً ، وأصل الرجس المستقذر الممنوع منه ، فعبر به عن الحرام لكونه ممنوعاً منه .

ثم قال تعالى : ﴿ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ ﴾ أي مما يدعو إليه الشيطان ويأمر به لأنه لا يأمر إلا بالمعاصي ، ولا ينهىٰ إلا عن الطاعات .

فلما حُرِّمَتِ الخمر قال المسلمون (٤٥) : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين شربوها وماتوا قبل تحريمها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ ، يعني من الخمر قبل التحريم ، ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ يعني في أداء الفرائض ﴿ وَّءَامَنُواْ ﴾ يعني بالله ورسوله ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ : يعني البر والمعروف ، ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُم ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ﴾ يعني بعمل النوافل ، فالتقوى الأولى عمل الفرائض ، والتقوى الثانية عمل النوافل .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ في قوله ليبلونكم تأويلان :

أحدهما : معناه لَيُكَلِّفَنَّكُم .

الثاني : لَيَخْتَبِرَنَّكُم ، قاله قطرب ، والكلبي .

(٤٥) رواه الطبري مختصراً برقم ١٢٥٢٨ ومطولاً ١٢٥٢٩ والطيالسي برقم ٧١٥ والترمذي في كتاب التفسير وصححه وزاد السيوطي في الدر (١٧٢/٣) نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه كلهم من طريق أبي إسحق عن البراء . . . . . الحديث .

وفي قوله : ﴿ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ قولان :

أحدهما : أن ﴿ مِّنَ ﴾ للتبعيض في هذا الموضع لأن الحكم متعلق بصيد البَرِّ دون البحر ، وبصيد الحرم والإحرام دون الحل والإحلال .

والثاني : أن ﴿ مِّنَ ﴾ في هذا الموضع داخلة لبيان الجنس نحو قوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [الحج : ٣٠] قاله الزجاج.

﴿ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ما تناله أيدينا : البيض ، ورماحنا : الصيد ، قاله مجاهد .

والثاني : ما تناله أيدينا : الصغار ، ورماحنا : الكبار ، قاله ابن عباس .

﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أن معنى ليعلم الله : ليرى ، فعبر عن الرؤية بالعلم لأنها تؤول إليه ، قاله الكلبي .

والثاني : ليعلم أولياؤه من يخافه بالغيب .

والثالث : لتعلموا أن الله يعلم من يخافه بالغيب .

والرابع : معناه لتخافوا الله بالغيب ، والعلم مجاز ، وقوله : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ يعني بالسر كما تخافونه في العلانية .

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني فمن اعتدى في الصيد بعد ورود النهي .

﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي مؤلم ، قال الكلبي : نزلت يوم الحديبية وقد غشي الصيد الناس وهم محرمون .

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني الإحرام بحج أو عمرة ، قاله الأكثرون .

والثاني : يعني بالحرم الداخل إلى الحرم ، يقال أحرم إذا دخل في الحرم ، وأَتْهَمَ إذا دخل تهامة ، وأَنْجَدَ إذا دخل نجد ، ويقال أحرم لمن دخل في الأشهر الحرم . قاله بعض البصريين.

والثالث : أن اسم المحرم يتناول الأمرين معاً على وجه الحقيقة دون المجاز من أحرم بحج أو عمرة أو دخل الحرم ، وحكم قتل الصيد فيهما على سواء بظاهر الآية ، قاله علي بن أبي هريرة .

﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، قاله مجاهد ، وإبراهيم ، وابن جريج .

والثاني : متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه ، قاله ابن عباس ، وعطاء ، والزهري .

واختلفوا في الخاطىء في قتله الناسي لإحرامه على قولين :

أحدهما : لا جزاء عليه ، قاله داود .

الثاني : عليه الجزاء ، قاله مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة .

﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ يعني أن جزاء القتل في الحرم أو الإحرام مثل ما قتل من النعم .

وفي مثله قولان :

أحدهما : أن قيمة الصيد مصروفة في مثله من النعم ، قاله أبو حنيفة .

والثاني : أن عليه مثل الصيد من النعم في الصورة والشبه قاله الشافعي .

﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ يعني بالمثل من النعم ، فلا يستقر المثل فيه إلا بحكم عدلين فقيهين ، ويجوز أن يكون القاتل أحدهما .

﴿ هَدْياً بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ يريد أن مثل الصيد من النعم يلزم إيصاله إلى الكعبة ، وعنى بالكعبة جميع الحرم ، لأنها في الحرم .

واختلفوا هل يجوز أن يهدي في الحرم ما لا يجوز في الأضحية من صغار الغنم على قولين :

أحدهما : لا يجوز قاله : أبو حنيفة .

الثاني : يجوز ، قاله الشافعي .

﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه يُقَوِّم المثل من النعم ويشتري بالقيمة طعاماً ، قاله عطاء ، والشافعي .

الثاني : يقوِّم الصيد ويشتري بالغنيمة طعاماً ، قاله قتادة ، وأبو حنيفة .

﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً ﴾ يعني عدل الطعام صياماً ، وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه يصوم عن كل مد يوماً ، قاله عطاء ، والشافعي .

والثاني : يصوم عن كل مد ثلاثة أيام ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : يصوم عن كل صاع يومين ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في التكفير بهذه الثلاثة ، هل هو على الترتيب أو التخيير على قولين :

أحدهما : أنه على الترتيب ، إن لم يجد المثل فالإطعام ، فإن لم يجد الطعام فالصيام ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعامر ، وإبراهيم ، والسدي .

والثاني : أنه على التخيير في التكفير بأي الثلاثة شاء ، قاله عطاء ، وهو أحد قولي ابن عباس ، ومذهب الشافعي .

﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ يعني في التزام الكفارة ، ووجوب التوبة .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ يعني قبل نزول التحريم .

﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني ومن عاد بعد التحريم ، فينتقم الله منه بالجزاء عاجلاً ، وعقوبة المعصية آجلاً .

والثاني : ومن عاد بعد التحريم في قتل الصيد ثانية بعد أوله ، فينتقم الله منه .

وعلى هذا التأويل قولان :

أحدهما : فينتقم الله منه بالعقوبة في الآخرة دون الجزاء ، قاله ابن عباس ، وداود .

والثاني : بالجزاء مع العقوبة ، قاله الشافعي ، والجمهور .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ
مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ
ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ يعني صيد الماء سواء كان من بحر أو نهر أو عين أو بئر فصيده حلال للمحرم والحلال في الحرم والحل .

﴿ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ في طعامه قولان :

أحدهما : طافِيهِ وما لَفَظَه البحر ، قاله أبو بكر ، وعمر ، وقتادة .

والثاني : مملوحة ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب .

وقوله تعالى : ﴿ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ يعني منفعة للمسافر والمقيم . وحكىٰ الكلبي أن هذه الآية نزلت في بني مدلج ، وكانوا ينزلون بأسياف البحر ، سألوا عما نضب عنه الماء من السمك ، فنزلت هذه الآية فيهم .

قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ ﴾ في تسميتها كعبة قولان :

أحدهما : سميت بذلك لتربيعها ، قاله مجاهد .

والثاني : سميت بذلك لعلوها ونتوئها من قولهم : قد كعب ثدي المرأة إذا علا ونتأ ، وهو قول الجمهور .

وسميت الكعبة حراماً لتحريم الله تعالى لها أن يصاد صيدها ، أو يختلى خلاها ، أو يعضد شجرها(٤٦)

(٤٦) مضى تخريج الحديث في ذلك .

وفي قوله تعالى : ﴿ قِيَاماً لِّلنَّاسِ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني صلاحاً لهم ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : تقوم به أبدانهم لأمنهم به في التصرف لمعايشهم .

والثالث : قياماً في مناسكهم ومتعبداتهم .

قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : يعني الحلال والحرام ، قاله الحسن .

والثاني : المؤمن والكافر ، قاله السدي .

والثالث : الرديء والجيد.

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ يعني أن الحلال والجيد مع قلتهما خير وأنفع من الحرام والرديء مع كثرتهما .

قال مقاتل : نزلت هذه الآية في حُجَّاجِ اليمامة وقد هَمَّ المسلمون بأحدهم .

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال :

أحدها : ما روى أنس بن مالك قال(٤٧) : سأل الناس رسول الله ﷺ حتى

(٤٧) رواه الطبري مطولاً ومختصراً (١١/٩٩) والسياق له ورواه مسلم (١٥/١٤ ، ١٥) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣/٢٠٤) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه . وابن المنذر وعبد بن حميد وبنحوه عن أبي هريرة مرفوعاً رواه الطبري (١٠/١٠٣) وفي سنده عبد العزيز بن أبان الأموي وهو كذاب يضع .

الحفوه بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم فقال : « لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ » قال أنس : فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فأرى كل الناس لاق ثوبه في رأسه يبكي ، فسأل رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال : يارسول الله مَنْ أبي ؟ فقال : « أَبُوكَ حُذَافَةُ » ، فأنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه السلام رسولاً عائذاً بالله من سوء الفتن ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

والثاني : ما روى الحسن بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال[٤٨] : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيكُمُ الحَجَّ فَحِجُّوا » فقام محصن الأسدي وقال : في كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « أَمَا إِنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُم لَضَلَلْتُمْ ، اسْكُتُوا عَنِّي مَا سَكَتُّ عَنْكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ واخْتِلَافِهِم عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ » فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْأَلُوا .... ﴾ .

والثالث : أنها نزلت في قوم سألوا رسول الله ﷺ على البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قاله ابن عباس .

﴿ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ جعل نزول القرآن عند السؤال موجباً بتعجيل الجواب .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ فيها قولان :

أحدهما : عن المسألة .

والثاني : عن الأشياء التي سألوا عنها .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

(٤٨) رواه الطبري مطولاً (١١/١٠٥ برقم ١٢٨٠٥) ومختصراً (برقم ١٢٨٠٦) وفيه فقام عكاشة بن محصن الأسدي بدلاً من محصن الأسدي ورواه أحمد في مسنده (٢ : ٤٤٧ ، ٤٤٨) وليس فيه ذكر الحج ولا السؤال ولا ذكر السائل . ورواه في (٢ : ٤٥٦ ، ٤٥٧) (٢ : ٤٦٧)، (٢ : ٥٠٨) فيه ذكر الحج والسؤال والسائل رجل مبهم .

ومن طريق أحمد رواه مسلم (٩ : ١٠٠) والبخاري مختصراً (١٣ : ٢١٩ ـ ٢٢٤) فتح والبيهقي في السنن (٤ : ٣٢٥ ، ٤٢٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٣/٢٠٦) لأبي الشيخ وابن مردويه .

أحدها : قوم عيسى سألوه المائدة ، ثم كفروا بها ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهم قوم صالح سألوا الناقة ، ثم عقروها وكفروا به .

والثالث : أنهم قريش سألوا رسول الله ﷺ أن يحوِّل لهم الصفا ذهباً ، قاله السدي .

والرابع : أنهم القوم الذين سألوا رسول الله ﷺ مَنْ أبي ؟ ونحوه ، فلما أخبرهم به أنكروه وكفروا به ، قاله بعض المتأخرين .

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ يعني ما بحر الله من بحيرة ، ولا سيب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا حمى حامياً .

روىٰ أبو صالح عن أبي هريرة قال(٤٩) : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم ابن جون : « **يَا أَكْثَمُ رَأَيْتُ عَمْرو بْنَ لُحَيٍّ بْنَ قَمْعَةَ بْنَ خَنْدَف يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلَا بِهِ مِنْكَ** » فقال أكثم : أخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله ، فقال : « **لَا إِنَّكَ مُؤْمِنٌ ، وَهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَحَمَىٰ الحَامِي** » .

ومعنى قوله يجر قصبه في النار ، يعني أمعاءه ، والبحيرة : الفصلة من قول القائل ، بحرت أذن الناقة إذا شقها ، ومنه قول الأبيرد :

وأمسىٰ فيكم عمران يمشي ... كأنه جمل بحير

(٤٩) رواه الطبري (١١/١١٨) ونسبه الحافظ في الإصابة في ترجمة أكثم بن الجون لابن أبي عروبة وابن منده وما في الرواية من قوله « أخشى أن يضيرني شبه » تصحيف إنما هو « عسى أن يضيرني شبه » والتصحيح من الطبري (١١/١١٩) .

وقد روىٰ أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال[٥٠] : دخلت على رسول الله ﷺ فقال ﷺ : « **أَرَأَيْتَ إِبِلَكَ تَكُونُ مُسَلَّمَةً آذَانُهَا فَتَأْخُذَ المُوسَى فَتَجْدَعَهَا تَقُولُ هَذِهِ بَحِيْرَةٌ ، وَتَشُقُّونَ آذَانَهَا تَقُولُونَ هَـٰذِهِ بَحِيْرَةٌ** » . قال : فإن ساعِدَ الله أشدُّ ، وموسى الله أحد ، كل مالك لك حلال لا يحرم عليك منه شيء .

وفي البحيرة ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن البحيرة الناقة إذا ولدت خمسة أبطن ، فإن كان الخامس ذكراً أكلته الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى بحروا أذنها أي شقوها ، وتركت ، فلا يشرب لها لبن ، ولا تنحر ، ولا تركب ، وإن كان ميتة اشترك فيه الرجال والنساء ، قاله عكرمة .

والقول الثاني : البحيرة الناقة التي تنجب خمسة أبطن ، فكان آخرها ميتاً ذكراً شقوا أذن الناقة وخلوا عنها ، فلا تُحْلَب وَلاَ تُرْكَب تحرجاً ، قاله أبو عبيدة .

والقول الثالث : أن البحيرة بنت السائبة ، قاله أبو إسحاق ، وأما السائبة ، فإنها المسيبة المخلاة وكانت العرب تفعل ذلك ببعض مواشيها فتحرم الانتفاع بها على أنفسها تقرباً إلى الله تعالى ، قال الشاعر :

عقرتم ناقة كانت لربي وسائبة فقوموا للعقاب

وكذا كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة ، ولا ينتفع به ولا بولائه ، وكان أبو العالية سائبة ، فلما أُتِي مولاه بميراثه فقال : هو سائبة وأبىٰ أن يأخذه .

وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل في عيشة راضية يعني مرضية ، وفي السائبة قولان :

أحدهما : أنها الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سُيِّبَتْ فلم يُرْكَب ظهرها ولم يُجَزّ وبرها ولم يَشْرَب لبنَها إلا ضيفٌ ، وما نتجت بعد ذلك من انثىٰ شق أُذُنها ، وسميت بحيرة ، وخُلِّيَتْ مع أمها ، قاله محمد بن إسحاق .

والقول الثاني : أنهم كانوا ينذرون السائبة عند المرض فيسيب الرجل بعيره

(٥٠) رواه الطبري برقم ١٢٨٢٥ ، ١٢٨٢٦ والطيالسي مطولاً برقم ١٣٠٣ ، وأحمد ٣ : ٤٧٣ والبيهقي في السنن (١٠ : ١٠) كلهم من حديث عبد الله بن مسعود .

ولا يركب ، ولا يجلى عن ماء كالبحيرة ، قاله أبو عبيدة .

أما الوصيلة فأجمعوا على أنها من الغنم ، وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نُظِرَ في البطن السابع فإن كان جَدْياً ذبحوه ، فأكل الرجال دون النساء ، فقالوا هذا حلال لذكورنا ، حرام على أزواجنا ونسائنا ، وإن كان عناقاً سرحت في غنم الحي ، وإن كان جَدْياً وعناقاً ، قالوا وصلت أخاها فسميت وصيلة ، قاله عكرمة .

القول الثاني : أنها الشاة إذا أتأمت عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جعلت وصيلة ، فقالوا قد وصلت ، وكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث ، قاله محمد بن إسحاق .

والقول الثالث : أن العرب كانت إذا ولدت الشاة لهم ذكراً قالوا هذا لآلهتنا فيتقربون به ، وإذا ولدت أنثى قالوا هذه لنا ، وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوه لمكانها ، قاله أبو عبيدة .

وأما الحام ففيه قول واحد أجمعوا عليه وهو البعير ينتج من صلبه عشرة أبطن ، فيقال حمى ظهره ويخلّىٰ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ
مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا
مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا
فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ
لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ

أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ . . . ﴾ في قوله : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها الشهادة بالحقوق عند الحكام .

والثاني : أنها شهادة الحضور للوصية .

والثالث : أنها أيمان ، ومعنى ذلك أيمان بينكم ، فعبر عن اليمين بالشهادة كما قال في أيمان المتلاعنين : ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ . . . اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ تأويلان :

أحدهما : يعني من المسلمين ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : من حي المُوصِي ، قاله الحسن ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة .

وفيهما قولان :

أحدهما : أنهما شاهدان يشهدان على وصية المُوصِي .

والثاني : أنهما وصيان .

﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : من غير دينكم من أهل الكتاب ، قاله ابن عباس ، وأبو موسى ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم ، وشريح .

والثاني : من غير قبيلتكم وعشيرتكم ، قاله الحسن ، وعكرمة ، والزهري ، وعبيدة .

وفي ﴿ أَوْ ﴾ في هذا الموضع قولان :

أحدهما : أنها للتخيير في قبول اثنين منا أو آخرين من غيرنا .

والثاني : أنها لغير التخيير ، وإن معنى الكلام ، أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم ، قاله ابن عباس وشريح ، وسعيد بن جبير والسدي .

﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني سافرتم .

﴿ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ وفي الكلام محذوف تقديره : فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم الوصية إليهما .

ثم قال تعالى : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلاَةِ ﴾ يعني تستوقفونهما للأيمان وهذا خطاب للورثة ، وفي هذه الصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها : بعد صلاة العصر ، قاله شريح ، والشعبي ، وسعيد بن جبير وقتادة .

والثاني : من بعد صلاة الظهر ، والعصر ، قاله الحسن .

والثالث : من بعد صلاة أهل دينهما ومِلَّتِهِمَا من أهل الذمة ، قاله ابن عباس ، والسدي .

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً ﴾ معناه فيحلفان بالله إن ارتبتم بهما ، وفيهما قولان :

أحدهما : أنهما الوصيان إن ارتبتم بهما في الخيانة أَحْلَفَهُمَا الورثة .

والثاني : أنهما الشاهدان إن ارتبتم بهما ، ولم تُعْرَفْ عدالتهما ، ولا جرحهما ، أحلفهما الحاكم ليزول عنه الارتياب بهما ، وهذا إنما جوزه قائل هذا القول في السفر دون الحضر .

وفي قوله تعالى : ﴿ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً ﴾ تأويلان :

أحدهما : لا نأخذ عليه رشوة ، قاله ابن زيد .

والثاني : لا نعتاض عليه بحق .

﴿ وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ أي لا نميل مع ذي القربى في قول الزور ، والشهادة بغير حق .

﴿ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللَّهِ ﴾ يعني عندنا فيما أوجبه علينا .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً ﴾ يعني فإن ظهر على أنهما كَذَبَا وخَانَا ، فعبر عن الكذب بالخيانة والإثم لحدوثه عنهما .

وفي الذين : ﴿ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْماً ﴾ قولان :

أحدهما : أنهما الشاهدان ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهما الوصيان ، قاله سعيد بن جبير .

﴿ فَـَٔاخَرَانِ ﴾ يعني من الورثة .

﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ في اليمين ، حين ظهرت الخيانة .

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَانِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله ابن عباس وشريح .

وكان سبب نزول هذه الآية ما روى عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس[٥١] قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدّاء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جاماً من فضة مُخَوَّصاً بالذهب فأحلفهما رسول الله ﷺ ، ثم وجد الجام بمكة ، وقالوا اشتريناه من تميم الداري ، وعدي بن بدّاء ، فقام رجلان من أولياء السهمي فَحَلَفَا : ﴿ لَشَهَادَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾ وأن الجام لصاحبهم قال : وفيهم نزل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ .

ثم اختلفوا في حكم هاتين الآيتين هل هو منسوخ أو ثابت .

فقال ابن عباس حكمهما منسوخ . قال ابن زيد : لم يكن الإسلام إلا بالمدينة فجازت شهادة أهل الكتاب وهو اليوم طبق الأرض .

وقال الحسن : حكمهما ثابت غير منسوخ .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾

---

(٥١) رواه الطبري والسياق له (١١/١٨٥) والبخاري في صحيحه (٥ : ٣٠٧ ـ ٣٠٩) فتح وأبو داود برقم (٣٦٠٦) والبيهقي في السنن ١٠ : ١٦٥ وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ١٣٣ والترمذي في كتاب التفسير وقال حسن غريب . وزاد السيوطي في الدر (٣/٢٢١) نسبته للبخاري في التاريخ وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ .

في قوله : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : لم يكن ذلك إنكاراً لِمَا علموه ولكن ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعدما ثابت عقولهم ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قاله مجاهد .

والثالث : لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، قاله ابن عباس .

والرابع : لا علم لنا بما أجاب به أممنا ، لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء ، وهو مروي عن الحسن أيضاً .

والخامس : أن معنى قوله : ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ أي ماذا عملوا بعدكم ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ قاله ابن جريج .

وفي قوله : ﴿ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أنه مبالغة .

والثاني : أنه لتكثير المعلومات .

فإن قيل : فلم سألهم عما هو أعلم به منهم ؟ فعليهْ جوابان :

أحدهما : أنه إنما سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم .

والثاني : أنه أراد أن يفضحهم بذلك على الأشهاد ليكون ذلك نوعاً من العقوبة لهم .

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ
تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ
إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ . . . ﴾ وإنما ذكَّر الله عيسى عليه السلام نعمته عليه وعلى والدته ، وإن كان لهما ذاكراً لأمرين :

أحدهما : ليتلو على الأمم ما خصه به من الكرامة ومَيَّزه به من علو المنزلة .

والثاني : ليؤكد به حجته ويرد به جاحده .

ثم أخذ تعالى في تعديد نعمه فقال : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ يعني قويتك ، مأخوذ من الأيد وهو القوة ، وروح القدس جبريل ، والقدس هو الله تعالى تقدست أسماؤه .

وتأييده له من وجهين :

أحدهما : تقويته على أمر دينه .

والثاني : معونته على دفع ظلم اليهود والكافرين له .

﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ أما كلامه لهم في المهد إنما اختص بتعريفهم حال نبوته ، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَانِي ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيَّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً ﴾[مريم : ٣٠ ـ ٣١]

وكلامه لهم كهلاً دعاؤهم إلى ما أمر الله به من الصلاة والزكاة ، وذلك حين صار ابن ثلاثين سنة وإن كان مبعوثاً حين ولد ، فمكث فيهم ثلاثين سنة ثم رفعه الله ، ولم يبعث الله نبياً حين ولد غيره ولذلك خصه الله بالكلام في المهد صبياً .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ ﴾ وفيه تأويلان :

أحدهما : يريد الخط .

والثاني : يريد الكتب فعبر عنها بالكتاب إرادة للجنس .

ثم فصل فقال تعالى : ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ وفيها تأويلان :

أحدهما : أنها العلم بما في تلك الكتب .

والثاني : أنها جميع ما يحتاج إليه في دينه ودنياه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ يريد تلاوتهما وتأويلهما .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾ يعني بقوله : ﴿ تَخْلُقُ ﴾ أي تفعل وتصور من الطين مثل صورة الطير ، لأن الخلق فعل لكن على سبيل القصد والتقدير من غير سهو ولا مجازفة ولذلك وُصِفَتْ أفعال الله تعالى بأنها مخلوقة لأنها لا تكون إلا عن قصد وتقدير ووصفت بعض أفعال العباد بأنها مخلوقة إذا كانت مقدرة مقصودة ولم توصف جميعها بهذه الصفة لجواز كون بعضها سهواً أو مجازفة .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ يعني الروح ، والروح جسم .

وفي المُتَوَلِّي لنفخها وجهان :

أحدهما : أنه المسيح ينفخ الروح في الجسم الذي صوره من الطين كصورة الطير .

والثاني : أنه جبريل .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾ يعني أن الله تعالى يقلبها بعد نفخ الروح فيها لحماً ودماً ، ويخلق فيها الحياة ، فتصير طيراً بإذن الله تعالى وأمره ، لا بفعل المسيح .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَٱلأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ أي تدعوني أن أبرىء الأكمه والأبرص ، فأجيب دعاءك وأبرئهما ، وهو فعل الله تعالى ، وإنما نَسَبَهُ إلى المسيح مجازاً لأن فعله لأجل دعائه .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ يعني واذكر نعمتي عليك ، إذ تدعوني أن أحيي الموتىٰ ، فأجيب دعاءك ، حتى تخرجهم من القبور أحياء ، ونسب إليه ذلك توسعاً أيضاً لأجل دعائه ، ويجوز أن ينسب إخراجهم إليه حقيقة ، لأن إخراجهم من قبورهم بعد إحياء الله لهم يجوز أن يكون من فعل المسيح .

قال الكلبي : والذين أحياهم من الموتى رجلان وامرأة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي . . . ﴾ في وحيه إلى الحواريين وجهان :

أحدهما : معناه أَلْهَمْتُهُم أن يؤمنوا بي ، ويصدقوا أنك رسولي ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[النحل : ٦٨].

والثاني : يعني ألقيت إليهم بالآيات التي أريتهم أن يؤمنوا بي وبك .

وفي التذكير بهذه النعمة قولان :

أحدهما : أنها نعمة على الحواريين أن آمنوا ، فذكر الله تعالى به عيسى لأنهم أنصاره .

الثاني : أنها نعمة على عيسى ، لأنه جعل له أنصاراً من الحواريين قد آمنوا به .

والحواريون : هم خواص عيسى عليه السلام الذين استخلفهم من جملة الناس .

﴿ قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ يعني بالله تعالى ربك .

﴿ وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم بالله تعالى وبه .

والثاني : أنهم أشهدوا الله تعالى بذلك على أنفسهم .

إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا
مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ
مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا
لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، قرأ الكسائي وحده ﴿هل تَّستطيع ربَّك﴾ بالتاء والإدغام ، وربك بالنصب ، وفيها وجهان :

أحدهما : معناه هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله ، قاله الزجاج .

والثاني : هل تستطيع أن تسأل ربك ، قاله مجاهد ، وعائشة .

وقرأ الباقون ﴿ هل يستطيع ربك ﴾ بالياء والإظهار ، وفي ذلك التأويل ثلاثة أوجه :

أحدها : هل يقدر ربك ، فكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله تعالى .

والثاني : معناه هل يفعل ربك ، قاله الحسن ، لأنهم سموا بالحواريين بعد إيمانهم .

والثالث : معناه هل يستجيب لك ربك ويطيعك .

﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَينَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قاله السدي ، قال قطرب : والمائدة لا تكون مائدة حتى يكون عليها طعام ، فإن لم يكن قيل : خِوان ، وفي تسميتها مائدة وجهان :

أحدهما : لأنها تميد ما عليها أي تعطي ، قال رؤبة :

. . . .   إلى أمير المؤمنين الممتاد[٥٢]

أي المستعطي .

والثاني : لحركتها بما عليها من قولهم : مَادَ الشيء إذا مال وتحرك ، قال الشاعر :

لعلك باك إن تغنت حمامة   يميد بها غصن من الأيك مائل

﴿ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فيه قولان :

---

(٥٢) هذا عجز بيت أوله :

لهذي رؤوس المترفين الأنداد . . .

ديوان رؤبة ٤٠ ومجاز القرآن لابن عبيدة ١ : ١٨٣ واللسان مادة [ميد] .

أحدهما : يعني اتقوا معاصي الله إن كنتم مؤمنين به ، وإنما أمرهم بذلك لأنه أولى من سؤالهم .

والثاني : يعني اتقوا الله في سؤال الأنبياء إما طلباً لِعَنَتِهِم وإما استزادة للآيات منهم ، إن كنتم مؤمنين بهم ومصدقين لهم لأن ما قامت به دلائل صدقهم يغنيكم عن استزادة الآيات منهم .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ وهذا اعتذار منهم بَيَّنُوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه فقالوا : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ .

يحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم أرادوا الأكل منها للحاجة الداعية إليها .

والثاني : أنهم أرادوه تبركاً بها لا لحاجة دعتهم إليها ، وهذا أشبه لأنهم لو احتاجوا لم ينهوا عن السؤال .

﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : تطمئن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبياً .

والثاني : تطمئن إلى أن الله تعالى قد اختارنا لك أعواناً .

والثالث : تطمئن إلى أن الله قد أجابنا إلى ما سألنا .

﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ في أنك نبي إلينا ، وذلك على الوجه الأول .

وعلى الوجه الثاني : صدقتنا في أننا أعوان لك .

وعلى الوجه الثالث : أن الله قد أجابنا إلى ما سألنا .

وفي قولهم ﴿ وَنَعْلَمَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه علم مستحدث لهم بهذه الآية بعد أن لم يكن ، وهذا قول من زعم أن السؤال كان قبل استحكام المعرفة .

والثاني : أنهم استزادوا بذلك علماً إلى علمهم ويقيناً إلى يقينهم ، وهذا قول من زعم أن السؤال كان بعد التصديق والمعرفة .

﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : من الشاهدين لك عند الله بأنك قد أديت ما بعثك به إلينا .

والثاني : من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدناه من الآيات الدالة على أنك نبي إليهم وإلينا .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ إنما زيدت الميم في آخر اللهم مثقلة عوضاً عن حرف النداء ، فلم يجز أن يدخل عليه حرف النداء فلا يقال يا اللهم لأن الميم المُعَوِّضة منه أغنت عنه ، فأما قول الشاعر :

وما عليك أن تقولي كلما سبحت أو هللت يا اللهم ما
أردد علينا شيخنا مسلما فإننا من خيره لن نعْدَما(*)

فلأن ضرورة الشعر جوزته .

سأل عيسى ربه ، أن ينزل عليهم المائدة التي سألوه ، وفي سؤاله وجهان :

أحدهما : أنه تفضل عليهم بالسؤال ، وهذا قول من زعم أن السؤال بعد استحكام المعرفة .

والثاني : أنه رغبة منه إلى الله تعالى في إظهار صدقه لهم ، وهذا قول من زعم أن السؤال قبل استحكام المعرفة .

﴿ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا قاله قتادة والسدي .

وقيل : إن المائدة أنزلت عليهم في يوم الأحد غداة وعشية ، ولذلك جعلوا الأحد عيداً .

والثاني : معناه عائدة من الله تعالى علينا ، وبرهاناً لنا ولمن بعدنا .

والثالث : يعني نأكل منها جميعاً ، أولنا وآخرنا ، قاله ابن عباس .

﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ يعني علامة الإعجاز الدالة على توحيدك وقيل التي تدل على صدق أنبيائك .

(*) هذا الشطر الموضوع بين القوسين زدناه من خزانة الأدب (١ /٣٥٨) .

الشكر على ما أنعمت به علينا من إجابتك ، وقيل : أرزقنا ذلك من عندك .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وهذا وعد من الله تعالى أجاب به سؤال عيسى كما كان سؤال عيسى إجابة للحواريين .

واختلفوا في نزول المائدة على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مثل ضربه الله تعالى لخلقه ، ينهاهم به عن مسألة الآيات لأنبيائه ، قاله مجاهد .

والثاني : أنهم سألوا ووعدهم بالإجابة ، فلما قال لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَّآ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ استعفوا منها فلم تنزل عليهم ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم سألوا فأجابهم ، ولم يستعفوا ، لأنه ما حكىٰ الاستعفاء عنهم ، ثم أنزلها عليهم ، لأنه قد وعدهم ، ولا يجوز أن يخلف وعده .

ومن قال بهذا اختلفوا في الذي كان عليها حين نزلت على ستة أقاويل :

أحدها : أنه كان عليها ثمار الجنة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه كان عليها خبز ولحم ، قاله عمار بن ياسر .

والثالث : أنه كان عليها سبعة أرغفة ، قاله إسحاق بن عبد الله .

والرابع : كان عليها سمكة فيها طعم كل الطعام ، قاله عطاء ، وعطية .

والخامس : كان عليها كل طعام إلا اللحم ، قاله ميسرة .

والسادس : رغيفان وحوتان ، أكلو منها أربعين يوماً في سفرة(٥٣) ، وكانوا ومن معهم نحو خمسة آلاف ، قاله جويبر .

وأُمِرُوا أن يأكلوا منها ولا يخونوا ولا يدخروا ، فخانوا وادخروا فَرُفِعَتْ .

وفي قوله تعالى : ﴿ . . . عَذَاباً لَّآأُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ قولان :

أحدهما : يعني من عالمي زمانهم .

---

(٥٣) قال الإمام الطبري رحمه الله (١١/ ٢٣٢) .

« أما الصواب من القول فيما كان على المائدة أن يقال كان عليها مأكول وجائز أن يكون سمكاً أو خبزاً وجائز أن يكون كان ثمراً من ثمر الجنة وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل » .

والثاني : من سائر العالمين كلهم .

وفيهم قولان :

أحدهما : هو أن يمسخهم قردة ، قاله قتادة .

والثاني : أنه جنس من العذاب لا يعذب بـه غيرهم لأنهم كفـروا بعد أن رأوا من الآيات ما لم يره غيرهم ، فكانوا أعظم كفراً فصاروا أعظم عذاباً .

وهل هذا العذاب في الدنيا أو في الآخرة ؟ قولان(*) :

وفي الحواريين قولان :

أحدهما : أنهم خواص الأنبياء .

والثاني : أنهم المندوبون لحفظ شرائعهم إما بجهاد أو علم .

وفي تسميتهم بذلك ثلاثة أقاويل :

أحدها : لبياض ثيابهم ، وهذا قول ابن عباس ، تشبيهاً بما هم عليه من نقاء سرائرهم ، قاله الضحاك ، وهو بلغة القبط حواري .

والثاني : لنظافة ثيابهم وطهارتها تشبيهاً بطهارة قلوبهم .

والثالث : بجهادهم عن أنبيائهم ، قال الشاعر :

ونحن أناس نملأ البيد مأمنا ونحن حواريون حين نزاحف

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ
عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا
دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

(*) لاحظ أنه لم يذكر القولين ولعله يريد بالقولين العذاب في الدنيـا والعذاب في الآخـرة وعلى هذا فـلا إشكال .

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿١١٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ . . . ﴾ الآية . ﴿ إِذْ ﴾ ها هنا بمعنى (إذا) كما قال أبو النجم :

ثم جزاك الله عني إذ جزى جنات عدن في السموات العلا(٥٤)

يعني إذا جزىٰ ، فأقام الماضي مقام المستقبل وهـذا جائـز في اللغة كمـا قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .[الأعراف : ٤٤].

واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس بـاستفهام وإن خـرج مخرج الاستفهام على قولين :

أحدهما : أنـه تعالى سـأله عن ذلـك توبيخـاً لمن ادعى ذلك عليـه ، ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع .

والثاني : أنه قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غُيَّرُوا بعده وادعوا عليه مـا لم يقله .

فإن قيل : فالنصارى لم تتخذ مريم إلٰهاً ، فكيف قال تعالى فيهم ذلك ؟

قيل : لما كان من قولهم أنها لم تلد بشراً وإنما ولدت إلَـهـاً لزمهم أن يقـولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته ، فصاروا حين لزمهم ذلك كالقائلين له .

وفي زمان هذا السؤال قولان :

أحـدهما : أن الله تعـالى قال ذلـك لعيسى حين رفعه إليـه في الدنيـا ، قالـه السدي وميسرة .

والثاني : أن الله تعالى يقول له ذلك يوم القيامة ، قاله ابن جريج وقتـادة وهو أصح القولين .

﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَـا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ أي أدعي لنفسي ما ليس من شأنها ، يعني أنني مربوب ولست برب ، وعابد ولست بمعبود .

---

(٥٤) انظر الأضداد لابن الأنباري ١٠٢ ، والصاحبي ١١٢ والطبري (١١/ ٢٣٥) لكن البيت في المصادر
ثم جزاه الله عنا إذ جـزى . . . جنات عدن في العلاليِّ العلى

وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين :

أحدهما : تنزيهاً له عما أضيف إليه .

الثاني : خضوعاً لعزته وخوفاً من سطوته .

ثم قال : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ فرد ذلك إلى علمه تعالى ، وقد كان الله عالماً به أنه لم يقله ، ولكن قاله تقريعاً لمن اتخذ عيسى إلهاً .

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه .

والثاني : تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم .

وفي النفس قولان :

أحدهما : أنها عبارة عن الجملة كلها(٥٥) .

والثاني : أنها عبارة عن بعضه ، كقولهم قتل فلان نفسه .

﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : عالم السر والعلانية .

والثاني : عالم ما كان وما يكون .

وفي الفرق بين العالم والعلام وجهان :

أحدهما : أن العلام الذي تقدم علمه ، والعالم الذي حدث علمه .

والثاني : أن العلام الذي يعلم ما كان وما يكون ، والعالم الذي يعلم ما كان ولا يعلم ما يكون .

---

(٥٥) اعلم رحمك الله وإيانا أن النفس الثابتة لله عز وجل ومرت الآيات بها كما وردت بها الأخبار عن رسول الله ﷺ لكن الخلاف بين السلف في هل النفس صفة للذات أم أنها هي الذات فذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٥/٧٣) إلى أنها بمعنى الذات ورجح هذا القول وذهب ابن خزيمة الإمام رحمه الله إلى أنها صفة للذات وذلك في كتابه التوحيد قال « باب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله » ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك . وكذلك ذهب ابن حقيق مذهب ابن خزيمة كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عنه .

قوله عز وجل : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ لم يـذكر عيسى ذلـك على وجه الإخبار به لأن الله عالم به ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : تكذيباً لمن اتخذ إلهاً معبوداً .

والثاني : الشهادة بذلك على أمته فيما أمرهم به من عبادة ربه .

قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إعلامهم أن الله ربه وربهم واحد .

والثاني : أن عليه وعليهم أن يعبدوا رباً واحداً حتى لا يخالفوا فيما عبدوه .

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني شاهداً .

والثاني : شاهداً عليهم .

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه الموت .

والثاني : أنه رفعه إلى السماء .

﴿ . . . ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الحافظ عليهم .

والثاني : العالم بهم .

﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : شاهداً لما حضر وغاب .

والثاني : شاهداً على من عصىٰ ، وأطاع .

قوله عز وجل : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم كما يستعطف العبـد سيده .

والثاني : أنه قاله على وجه التسليم لأمر ربه والاستجارة من عذابه .

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ يعني يوم القيامة، وإنما نفعهم الصدق في ذلك اليوم لوقوع الجزاء فيه وإن كان في كلِّ الأيام نافعاً، وفي هذا الصدق قولان:

أحدهما: أن صدقهم الذي كان منهم في الدنيا نفعهم في الآخرة جُوزُوا عليه من الثواب، فعلى هذا المراد بهذا الصدق وجهان محتملان:

أحدهما: أنه صدقهم في عهودهم.

والثاني: أنه تصديقهم لرسل الله وكتبه.

والقول الثاني: أنه صدق يكون منهم في الآخرة ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله.

فعلى هذا في المراد بهذا الصدق وجهان محتملان:

أحدهما: أنه صدقهم في الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ.

والثاني: صدقهم فيما شهدوا به على أنفسهم عن أعمالهم، ويكون وجه النفع فيه أن يكفوا المؤاخذة بتركهم كتم الشهادة، فيغفر لهم بإقرارهم لأنبيائهم وعلى أنفسهم.

وهل هم مصروفون عنه قبل موقف العرض؟ على قولين.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.



مكية كلها في قول الأكثرين ، وقيل : إنها نزلت جملة واحدة .

وقال ابن عباس وقتادة : هي مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة : إحداهما : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] نزلت في مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف اليهوديين، والأخرى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] نزلت في ثابت بن قيس بن شماس.

وقال ابن جريج : نزلت في معاذ بن جبل ، وقيل : شَيَّعَ هذه السورة سبعون ألف مَلَك .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ. . . . ﴾ الآية قال وهب بن منبه : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام إلى قوله : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾، وخاتمة التوراة خاتمة هود .

وقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر ، وذلك أولى

من أن يجيء بلفظ الأمر فيقول احْمِدِ الله ، لأمرين :

أحدهما : أنه يتضمن تعليم اللفظ والمعنىٰ ، وفي الأمر المعنىٰ دون اللفظ .

والثاني : أن البرهان إنما يشهد بمعنىٰ الخبر دون الأمر .

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ لأن خلق السمٰوات والأرض نِعَمٌ تستوجب الحمد ، لأن الأرض تقل ، والسماء تظل ، وهي من أوائل نعمه على خلقه ، ولذلك استحمد بخلقها وأضاف خلقها إلى نفسه عند حمده ، على أن مستحق الحمد هو خالق السمٰوات والأرض ، ليكون باستحقاق الحمد منفرداً لانفراده بخلق السمٰوات والأرض .

وفي جمع السمٰوات وتوحيد الأرض وجهان :

أحدهما : لأن السموات أشرف من الأرض ، والجمع أبلغ في التفخيم من التوحيد كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩].

والثاني : لأن أوامره إلى الأرض تخترق جميع السموات السبع .

وفي تقديم السمٰوات على الأرض وجهان :

أحدهما : لتقدم خلقها على الأرض .

والثاني : لشرفها فقدمها على ذكر الأرض وإن كانت مخلوقة بعد الأرض .

وهذان الوجهان من اختلاف العلماء أيهما خُلِقَ أولاً .

﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ﴾ يعني وخلق ، فغاير بين اللفظ ليكون أحسن في النظم ، والمراد بالظلمات والنور هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : وهو المشهور من قول قتادة ، قدم الظلمة على النور لأنه قدم خلق الظلمة على خلق النور ، وجمع الظلمات ووحد النور لأن الظلمات أعم من النور .

والثاني : أن الظلمات : الليل ، والنور : النهار .

والثالث : أن الظلمات : الكفر ، والنور : الإيمان ، قاله السدي .

ولأصحاب الخواطر(٥٦) فيه ثلاثة أوجه أُخَر :

---

(٥٦) سبق الكلام عن مثل هذه الخواطر التي ذكر المؤلف منها الكثير وقد تحدثنا عن موقفه منها ومن ذلك ما ذكرناه في المقدمة لهذا التفسير .

أحدها : أن الظلمات : الأجسام ، والنور : الأرواح .

الثاني : أن الظلمات : أعمال الأبدان ، والنور : ضمائر القلوب .

والثالث : أن الظلمات : الجهل ، والنور : العلم .

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(٥٧) أي يجعلون له مع هذه النِّعَمِ عِدْلاً ، يعني مثلاً .

وفيه قولان :

أحدهما : أنهم يعدلون به الأصنام التي يعبدونها .

والثاني : أنهم يعدلون به إلٰهاً غيره لم يُخْلَق مثل خلقه .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ في هٰذين الأجلين أربعة أقاويل :

أحدها : أن الأجل الأول الذي قضاه أجل الحياة إلى الموت ، والأجل الثاني المسمىٰ عنده أجل الموت إلى البعث ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أن الأجل الأول الذي قضاه أجل الدنيا ، والأجل الثاني المسمىٰ عنده ابتداء الآخرة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثالث : أن الأجل الأول الذي قضاه هو حين أخذ الميثاق على خلقه في ظهر آدم ، والأجل الثاني المسمىٰ عنده الحياة في الدنيا ، قاله ابن زيد .

والرابع : أن الأجل الذي قضاه أجل من مات ، والأجل المسمىٰ عنده أجل من يموت بعد ، قاله ابن شجرة .

﴿ تَمْتَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تشكون ، والامتراء : الشك .

والثاني : تختلفون ، مأخوذ من المراء وهو الاختلاف .

(٥٧) قال مجاهد رحمه الله قوله « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض » فكان فيه رد على ثلاثة أديان منهم ، فكان فيه رد على الدهرية لأن الأشياء كلها دائمة ، ثم قال « وجعل الظلمات والنور » فكان فيه رد على المجوس الذين زعموا أن الظلمة والنور هما المدبران ، وقال « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» فكان فيه رد على مشركي العرب ، ومن دعا دون الله إلهاً أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٢٤٧/٣) .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن معنىٰ الكلام وهو الله المُدَبِّر في السمٰوات وفي الأرض .

﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ أي ما تخفون ، وما تعلنون .

والثاني : وهو الله المعبود في السمٰوات ، وفي الأرض(٥٨) .

والثالث : أن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السمٰوات وفي الأرض ، لأن في السمٰوات الملائكة ، وفي الأرض الإنس والجن ، قاله الزجاج .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ أي ما تعملون من بعد ، ولا يخفىٰ عليه ما كان منكم ، ولا ما سيكون ، ولا ما أنتم عليه في الحال من سر ، وجهر .

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ

(٥٨) ويدل على هذا الوجه قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ وقد تكلم الإمام الطبري حول هذه الآية بكلام طيب ورد على الجهمية الذين يزعمون أن الله في كل مكان بذاته تعالى ربنا وتقدس عن قولهم . . . وخير ما كتب في هذا الموضوع كتاب العلو للحافظ الذهبي .

مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

قوله عز وجل : ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ** ﴾ لأن مشركي قريش لما أنكروا نزول القرآن أخبر الله أنه لو أنزله عليهم من السماء لأنكروه وكفروا به لغلبة الفساد عليهم ، فقال : ﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ** ﴾ واسم القرطاس لا ينطلق إلا على ما فيه كتابة ، فإن لم يكن فيه كتابة قيل طرس ولم يقل قرطاس . قال زهير بن أبي سلمى :

بها أخاديد من آثار ساكنها ... كما تردد في قرطاسه القلم

﴿ **فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ** ﴾ قال ذلك تحقيقاً لنزوله عليهم .

ويحتمل بلمس اليد دون رؤية العين ثلاثة أوجه :

أحدها : أن نزوله مع الملائكة وهم لا يرون بالأبصار ، فلذلك عَبَّر عنه باللمس دون الرؤية .

والثاني : لأن الملموس أقرب من المرئي .

والثالث : لأن السحر يتخيل في المرئيات ، ولا يتخيل في الملموسات .

﴿ **لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ تكذيباً لليقين بالعناد ، والمبين : ما دل على بيان بنفسه ، والبيِّن : ما دل على بيانه ، فكان المبين أقوى من البيِّن .

قوله عز وجل : ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾ أي ملك يشهد بتصديقه ﴿ **وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ** ﴾ أي لو أنزلنا ملكاً فلم يؤمنوا لقضي الأمر وفيه تأويلان .

أحدهما : لقضي عليهم بعذاب الاستئصال ، قاله الحسن ، وقتادة ، لأن الأمم السالفة كانوا إذا اقترحوا على أنبيائهم الآيات فأجابهم الله تعالى إلى الإظهار فلم يؤمنوا استأصلهم بالعذاب .

والثاني : أن معنى لقضي الأمر أي لقامت الساعة ، قاله ابن عباس .

﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ أي لا يُمْهَلُون ولا يُؤَخَّرون ، يعني عن عذاب الاستئصال على التأويل الأول ، وعن قيام الساعة على التأويل الثاني .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ يعني ولو جعلنا معه ملكاً يدل على صدقه لجعلناه في صورة رجل .

وفي وجوب جعله رجلاً وجهان :

أحدهما : لأن الملائكة أجسامهم رقيقة لا تُرَىٰ ، فاقتضىٰ أن يُجْعَل رجلاً لكثافة جسمه حتىٰ يرى .

والثاني : أنهم لا يستطيعون أن يروا الملائكة على صورهم ، وإذا كان في صورة الرجل لم يعلموا ملك هو أو غير ملك .

﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : معناه ولخلطنا عليهم ما يخلطون ، قاله الكلبي .

والثاني : لشبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم ، قال الزجاج : كما يشبهون على ضعفائهم واللبس في كلامهم هو الشك ومنه قول الخنساء :

أصدق مقالته واحذر عداوته والبس عليه بشك مثل ما لبسا

والثالث : وللبسنا على الملائكة من الثياب ما يلبسه الناس من ثيابهم ، ليكونوا على صورهم وعلى زِيِّهم ، قاله جويبر .

قوله تعالى : ﴿ . . . كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ أي أوجبها ربكم على نفسه(٥٩) ، وفيها أربعة أوجه :

أحدها : أنها تعريض خلقه لما أمرهم به من عبادته التي تفضي بهم إلى جنته .

والثاني : ما أراهم من الآيات الدالة على وجوب طاعته .

(٥٩) وهذا الكتب منه سبحانه على نفسه ولم يوجبه عليه أحد ومعنى كتب الرحمة على نفسه جل شأنه إيجابها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتاباً فوضعه عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي » ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعلقاً بالخلق وأكثر وصولاً إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيضة للخير. راجع روح المعاني (١٠٤/٧).

والثالث : إمهالهم عن معالجة العذاب واستئصالهم بالانتقام .

والرابع : قبوله توبة العاصي والعفو عن عقوبته .

﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ وهذا توعد منه بالبعث والجزاء أخرجه مَخْرج القسم تحقيقاً للوعد والوعيد ، ثم أكده بقوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ من أجسام الحيوان ، لأن من الحيوان ما يسكن ليلاً ، ومنه ما يسكن نهاراً .

فإن قيل : فلم قال ﴿ مَا سَكَنَ ﴾ ولم يقل ما تحرك ؟ قيل لأمرين(٦٠) :

أحدهما : أن ما يَعُمُّه السكون أكثر مما يَعُمُّه الحركة .

والثاني : لأن كل متحرك لا بد أن تنحل حركته سكوناً ، فصار كل متحرك ساكناً ، وقد قال الكلبي : معناه وله ما استقر في الليل والنهار ، وهما الزمان كله ، لأنه لا زمان إلا ليل أو نهار ، ولا فصل بينهما يخرج عن واحد منهما .

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ يعني إلهاً يتولاّني .

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي خالق السموات والأرض ومبتدئها ، قال ابن عباس(٦١) : كنت لا أدري ما فاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر ، فقال

(٦٠) زاد ابن الجوزي في زاد المسير وجهاً ثالثاً فقال : الثالث : إن في الآية إضماراً والمعنى وله ما سكن وتحرك كقوله : ﴿ تقيكم الحر ﴾ النحل : ٨٣ أراد والبرد فاختصر . زاد المسير (٣/ ١٠) .

(٦١) قال الحافظ في تخريج الكشاف (٤/ ٦١) « رواه أبو عبيد في غريب الحديث وفي فضائل القرآن

أحدهما لصاحبه : أنا فَطَرْتُها ، أي ابتدأتها ، وأصل الفطر الشق ، ومنه ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك : ٣] أي شقوق .

﴿ وَهُوَ يَطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ معناه يَرْزُقُ ولا يُرْزَق ، قرأ بعضهم(٦٢) ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ ولا يَطْعَمُ ﴾ معناه على هذه القراءة : وهو يطعم خلقه ولا يأكل .

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ يعني من أمته ، وفي إسلامه هذا ثلاثة أوجه :

أحدها : استسلامه لأمر الله ، ومثله قول الشاعر :

طال النهار على من لا لقاح له ... إلا الهديّة أو ترك بإسلام

أي باستسلام .

والثاني : هو دخوله في سِلْمِ الله وخروجه من عداوته .

والثالث : دخوله في دين إبراهيم كقوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ ءَابِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج : ٧٨] ويكون المراد به أول من أَسْلَم من قريش، وقيل: من أهل مكة.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يحتمل أن يكون هذا خطاباً من الله لنبيه يَنْهاهُ به عن الشرك ، ويُحْتَمَل أن يكون المراد به جميع أمته ، وإن توجه الخطاب إليه .

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ
شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ
مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ

بإسناد حسن ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر » قلت: وهو ضعيف كما يراجع في ترجمته في الميزان (١/ ٦٧) والتهذيب (١/ ١٤٦) .

(٦٢) وهي قراءة عكرمة والأعمش وقال الزجاج وهذا الاختيار عند البصراء بالعربية ومعناه وهو يرزق ويُطْعِمْ ولا يأكل ، زاد المسير (٣/ ١١) .

خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه إن أَلْحَقَ الله بك ضُراً ، لأن المس لا يجوز على الله .

والثاني : معناه وإن جعل الضُرَّ يمسك .

وكذلك قوله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ .

وفي الضُرِّ والخير وجهان :

أحدهما : أن الضُرَّ السُقْمُ(٦٣)، والخير العافية .

والثاني : أن الضُرَّ الفقر ، والخير الغنىٰ .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن معناه القاهر لعباده ، وفوق صلة زائدة .

والثاني : أنه بقهره لعباده مستعلٍ عليهم(٦٤)، فكان قوله فوق مستعملاً على حقيقته كقوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] لأنها أعلى قوة .

ويحتمل ثالثاً : وهو القاهر فوق قهر عباده ، لأن قهره فوق كل قهر .

وفي هذا القهر وجهان :

أحدهما : أنه إيجاد المعدوم .

---

(٦٣) والقول بالعموم أولى قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١١٣/٧) وفي هذه الآية الكريمة رد على من رجا كشف الضر من غيره سبحانه وتعالى وأمل أحداً سواه أ. هـ قلت: ليت الذين يلتمسون المدد من الأموات ويستغيثون بهم في الكربات قرأوا هذه الآية وعملوا بمعناها .

(٦٤) وعلوه سبحانه علو ذات وعلو صفات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأما تأويل المؤلف هنا اليد بمعنى القوة فليس هذا من تفسير السلف إنما هذا التفسير دخيل على العقيدة السلفية وقد تقدم الكلام على القول الصحيح في صفة اليد فراجعه في سورة المائدة والقاهر هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجباه وعنت له الوجوه وقهر كل شيء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمته راجع عمدة التفسير (١٨/٢، ١٩).

والثاني : أنه لا راد لأقداره ولا صَادَّ عن اختياره .

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ الآية . في سبب [نزول] ذلك قولان :

أحدهما : أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : من يشهد لك بالنبوة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية يأمره فيها أن يقول لهم : ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾، ثم أجابه عن ذلك فقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يعني : بصدقي وصحة نبوتي وهي أكبر الشهادات ، قاله الحسن .

والثاني : أن الله تعالى أمره أن يشهد عليهم بتبليغ الرسالة إليهم فقال ذلك ليشهده عليهم .

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لأنذركم [يا] أهل مكة ومن بلغه القرآن من غير أهل مكة .

والثاني : لأنذركم به : [أيها] العربُ ومن بُلِّغ من العَجَم(٦٥) .

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه التوراة والإنجيل(٦٦)، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج .

والثاني : أنه القرآن .

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُم ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، لأن صفته موجودة في كتابهم ، قاله الحسن ، وقتادة ، ومن زعم أن الكتاب هو التوراة والإنجيل .

---

(٦٥) قال العلامة الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٠٥) « أي أوحى الله إليّ هذا القرآن الذي تلوته عليكم لأجل أن أنذركم به ومن بلغ إليه أي كل من بلغ إليه من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة وفي هذه الآية من الدلالة على شمول أحكام القرآن لمن سيوجد كشمولها لمن قد كان موجوداً وقت النزول ما لا يحتاج معه إلى تلك الخزعبلات المذكورة في علم أصول الفقه ا هـ.

(٦٦) واختاره ابن جرير (٧/ ١٦٤) وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٤) عن الجمهور واختار الشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٠٥) القول بالعموم .

والثاني : يعرفون الكتاب الدال على صفته ، وصدقه ، وصحة نبوته ، وهذا قول من زعم أن الكتاب هو القرآن(٦٧) .

وعنى بقوله : ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾ تثبيتاً لصحة المعرفة .

وحكى الكلبي والفراء : أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما هذه المعرفة التي تعرفون بها محمداً ﷺ كما تعرفون أبناءكم ؟ قال : والله لأنا به إذا رأيته أعرف مني بابني وهو يلعب مع الصبيان ، لأني لا أشك أنه محمد ، وأشهد أنه حق ، ولست أدري ما صنع النساء في الابن(٦٨) .

﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنهم خسروا بالكفر منازلهم وأزواجهم في الجنة ، لأنه ليس أحد من مؤمن ولا كافر إلا وله منازل وأزواج ، فإن أسلموا كانت لهم ، وإن كفروا كانت لمن آمن من أهلهم ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[المؤمنون: ١١]، قاله الفراء.

والثاني : معناه غبنوها فأهلكوها بالكفر والتكذيب ، ومنه قول الأعشى(*) :

لا يأخذ الرِّشْوَة في حُكْمِهِ ولا يُبالي خُسْرَ الخاسر

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

(٦٧) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٥) قولاً ثالثاً وأن الهاء في تعرفونه راجعة إلى الدين والنبي فالمعنى يعرفون الإسلام أنه دين الله عز وجل وأن محمداً رسول الله وهذا القول قاله قتادة واختاره ابن جرير (٧/ ١٦٤) .

(٦٨) هذا الأثر رواه الثعلبي كما في الدر (١/ ٣٥٧) من طريق السدي الصغير وهو ضعيف جداً عن الكلبي وهو متروك عن ابن عباس . . . . وعلى هذا فالأثر ضعيف جداً وقد ورد من قول ابن جريج ولفظه قال : زعموا أن بعض أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم قال والله لنحن أعرف به منا بأبنائنا من الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء رواه ابن جرير (٧/ ١٦٥) وابن المنذر كما في الدر (١/ ٣٥٦) .

(*) ديوانه : ٩٢ وفيه ولا يبالي غبن الخاسر .

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ . . . ﴾ الآية . في الفتنة هنا ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني معذرتهم ، فسماها فتنة(٦٩) لحدوثها عن الفتنة ، قاله قتادة .

والثاني : عاقبة فتنتهم وهو شركهم .

والثالث : يعني بَلِيَّتُهم التي ألزمتهم الحجة وزادتهم لائمة ، قاله أبو عبيد(٧٠) القاسم بن سلام .

﴿ إِلَّا أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ تبدأوا بذلك من شركهم ، فإن قيل : كيف كذبوا في الآخرة بجحود الشرك ولا يصح منهم الكذب في الآخرة لأمرين :

أحدهما : أنه لا ينفعهم .

والثاني : أنهم مصروفون عن القبائح ملجؤون إلى تركها لإزالة التكليف عنهم ، ولو لم يلجؤوا إلى ترك القبيح ويصرفوا عنه مع كمال عقولهم وجب تكليفهم ليقلعوا به عن القبيح ، وفي عدم تكليفهم دليل على إلجائهم إلى تركه .

قيل : عن ذلك جوابان :

أحدهما : أن قولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ أي في الدنيا عند أنفسنا لاعتقادنا فيها أننا على صواب ، وإن ظهر لنا خطؤه الآن ، فلم يكن ذلك منهم كذباً ، قاله قطرب .

والثاني : أن الآخرة مواطن ، فموطن لا يعلمون ذلك فيه ولا يضطرون إليه ، وموطن يعلمون ذلك فيه ويضطرون إليه ، فقالوا ذلك في الموطن الأول ، قاله بعض متأخري المتكلمين .

(٦٩) الفتنة تستعمل في معان عدة كالعذاب والاختبار والبلية والمصيبة والكفر والإثم والضلال والمعذرة كما حقق ذلك الراغب الأصفهاني في المفردات .

(٧٠) وفي نسخة أبو عبيدة بزيادة الهاء والصواب بدون هاء كما هنا راجع التهذيب (٨/٢٨٣) وغيره .

وهـذا ليس بصحيح لأنـه يقتضي أن يكونـوا في الموطن الأول مكلفين لعـدم الإلجاء والاضطرار ، وفي الموطن الثاني غير مكلفين .

وقد يعتل الجـواب الأول بقولـه تعالى بعـد هذه الآيـة : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فأخبر عنهم بالكذب ، وهم على الجواب الأول غير كاذبين .

وقد أُجيب عن هذا الاعتراض بجواب ثـالث ، وهو أنهم أنكـروا بألسنتهم ، فلمـا نـطقت جـوارحهم أقـروا ، وفي هـذا الجـواب دخـل لأنهم قـد كـذبـوا نُـطْقَ الجوارح .

﴿ وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بسوء كذبهم وجحودهم .

والثـاني : فضلت عنهم أوثانهم التي افتـروا على الله بعبـادتهـا ، والافتـراء : تحسين الكذب .

قـولـه عـز وجـل : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ قيل إنهم كانوا يستمعون في الليل قراءة النبي ﷺ في صلاته .

وفيه وجهان :

أحدهما : يستمعون قراءته ليردوا عليه .

والثـاني : ليعلموا مكـانه فيؤذوه ، فصـرفهم الله عن سماعـه ، بـإلقـاء النـوم عليهم ، بأن جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه .

والأكنة الأغطية واحدهـا كِنان ، يقـال : كَنَنْتُ الشيء إذا غطيتـه ، وأكننته في نفسي إذا أخفيته ، وفي قراءة علي ، وابن مسعود : على أعينهم غطاء .

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً ﴾ والوقر : الثقل ، ومنه الوَقَار إذا ثقل في المجلس .

﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾ يعني بالآيـة علامـة الإعجـاز لمـا قـد استحكم في أنفسهم من حسده وبغضه ، وذلـك صرفهم عن سمـاع القرآن ، لأنهم قصدوا بسماعه الأذىٰ والافتراء .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ

﴿ الْأَوَّلِينَ ﴾ فيما كانوا يجادلون به النبي ﷺ قولان :

أحدهما : أنهم كانوا يجادلونه بما ذكره الله تعالى من قوله عنهم : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، قاله الحسن .

والثاني : هو قولهم : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم . قاله ابن عباس .

ومعنى ﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم ، وقيل : إن الذي جادلهم بهذا النضر بن الحارث .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يَنْهَون عن اتباع محمد ﷺ ، ويتباعدون عنه فراراً منه ، قاله محمد ابن الحنفية ، والحسن ، والسدي .

والثاني : يَنهَون عن القرآن أن يُعْمَل بما فيه ، ويتباعدون من سماعه كيلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته ، قاله مجاهد ، وقتادة .

والثالث : ينهون عن أذى محمد ﷺ ، ويتباعدون عن اتباعه ، قال ابن عباس : نزلت في أبي طالب كان ينهىٰ المشركين عن أذى محمد ﷺ ، ويتباعد عما جاء به ، فلا يؤمن به مع وضوح صدقه في نفسه .

واستشهد مقاتل بما دل على ذلك عن شعر أبي طالب(٧١) بقوله :

ودعوتني وزَعَمْتَ أنَّكَ ناصِحِي ... فلقَدْ صَدَقْت وكُنْتَ ثَمَّ أميناً
وعرضتَ ديناً قد علِمْتُ بأنه ... من خيْرِ أَدْيانِ البَرِيةِ دِيناً

---

(٧١) وقد استدل بعض من لا علم عنده بهذه الأبيات التي نسبت لأبي طالب على إسلامه ولا حجة فيها حتى لو ثبت هذا الشعر المنسوب إليه فإنه نظير ما حكاه الله تعالى عن كفار قريش : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ سورة النمل فكان كفرهم عناداً ، ومنشؤه من الأنفة والكبر ولم يأت أثر صحيح ولا حسن في كون أبي طالب أسلم وكل ما ورد من الأحاديث فهي واهية أوهى من بيت العنكبوت وقد كشف عن عوارها الحافظ ابن حجر كما في الإصابة (٧/٢٣٥ وما بعدها) وقال رحمه الله (٧/٢٤٢) «وإنا نسلم أنه (أي أبا طالب) نصره (أي نصر رسول الله) وبالغ في ذلك لكنه لم يتبع النور الذي أنزل معه ، وهو الكتاب العزيز الداعي إلى التوحيد ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتّب عليه من الصفات كلها ا هـ. ونقل الحافظ ابن حجر عن الحافظ ابن عساكر قوله : «قيل إنه أسلم ولا يصح إسلامه» .

لولا الذَّمَـامَةُ[٧٢] أو أُحَـاذِرُ سُبَّةً   لَـوَجَدْتَني سَمْحـاً بذالـك مُبِينـاً
فاذهب لأمرك ما عليك غَضَاضَةٌ   وابشِـرْ بـذاك وقَـرَّ مِنْـكَ عيـونـاً
والله لن يَصِلُوا إليـك بِجَمْعِهِم   حتى أُوسَّـدَ في التُّـرابِ دَفِينـاً

فنزلت هذه الآية ، فقرأها عليه النبي ﷺ ، فقال له أبو طالب : أمـا أن أدخل في دينـك فلا . قـال ابن عباس : لسـابق القضـاء في اللوح المحفـوظ ، وبـه قـال عطاء ، والقاسم[٧٣] .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : عاينوها ، ومن عاين الشيء فقد وقف عليه .

والثاني : أنها كانت من تحتهم وهم فوقها ، فصاروا وقوفاً عليها .

والثالث : أنهم عرفوها بالدخول فيها ، ومن عرف الشيء فقد وقف عليه .

وذكر الكلبي وجهاً رابعاً : أن معناه ولو ترى إذ حُبِسُوا على النار[٧٤] .

﴿ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُـرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِئَايَـاتِ رَبِّنَا وَنَكُـونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تمنوا الرد إلى الدنيا التي هي دار التكليف ليؤمنوا ويصدقوا ، والتمني لا يدخله صدق ولا كذب ، لأنه ليس بخبر[٧٥] .

---

(٧٢) وفي زاد المسير (٣/ ٢١) « لولا الملامة أو حذاري سبة» . . . . . .

(٧٣) هـو أبو عـروة القاسم بن مخيمرة الهمداني الكـوفي نزيـل دمشق ثقة فـاضل متـرجم له في التهـذيب (٨/ ٣٠٢) .

(٧٤) زاد ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٢) وجهين آخرين فانظرهما هناك .

(٧٥) وهو قول الزجاج كما في زاد المسير (٣/ ٢٤) .

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : بدا لهم وبال ما كانوا يخفون .

والثاني : بدا لهم ما كان يخفيه بعضهم عن بعض ، قاله الحسن .

والثالث : بدا للأتباع ما كان يخفيه الرؤساء .

﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ يعني ولو ردوا إلى ما تمنوا من الدنيا لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه خبر مستأنف أخبر الله به عن كذبهم(٧٦) لا أنه عائد إلى ما تقدم من تمنِّيهم ، لعدم الصدق والكذب في التمنِّي .

والثاني : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ يعني في الإخبار عن أنفسهم بالإيمان إن رُدُّوا .

قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب(٧٧) ولهو ، فأما عمل الصالحات فيها فهو من عمل الآخرة ، فخرج من أن يكون لعباً ولهواً .

---

(٧٦) وفي نسخة « لأنه » بدلاً من لا والصواب ما هنا .

(٧٧) وقد أبدى بعض المفسرين سراً بديعاً في تقديم اللعب على اللهو كما هنا وتأخيره عنه في سورة العنكبوت بأنه لما كان هذا الكلام مسوقاً للرد على الكفرة فيما يزعمونه من إنكار الآخرة والحصر السابق وليس في اعتقادهم لجهلهم إلا ما عجل من المسرة بزخرف الدنيا الفانية قدم اللعب الدال على الباطل في أكثر أقوالهم وأفعالهم . قدم ما يدل على ذلك أو لما كان التقديم مقدماً على الترك والنسيان قدم اللعب على اللهو رعاية للترتيب الخارجي وأما في العنكبوت فالمقام لذكر قصر مدة الحياة الدنيا بالقياس إلى الآخرة وتحقيرها بالنسبة إليها ولذا ذكر اسم الإشارة المشعر بالتحقير وعقب ذلك بقوله سبحانه : ﴿ إن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ راجع روح المعاني (٧/ ١٣٤) .

والثاني : وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم بها عما هو أولى منها ، قاله الحسن .

والثالث : أنهم كأهل اللعب واللهو لانقطاع لذاتهم وقصور مدتهم ، وأهل الآخرة بخلافهم لبقاء مدتهم واتصال لذتهم ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَلدَّارُ الأخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لأنه قَدْ دام لهم فيها ما كان منقطعاً في غيرها .

﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ أن ذلك خير لكم .

وذكر بعض الخاطرية قولاً رابعاً : أنها لعب لمن جمعها ، لهو لمن يرثها .

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ يعني من التكذيب لك ، والكفر بي .

﴿ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : فإنهم لا يكذبونك بحجة ، وإنما هو تكذيب بهت وعناد ، فلا يحزنك ، فإنه لا يضرك ، قاله أبو صالح ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : فإنهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك ، ولكن يكذبون ما جئت به ، قاله ناجية بن كعب .

والثالث : لا يكذبونك في السر لعلمهم بصدقك ، ولكنهم يكذبونك في العلانية لعداوتهم لك ، قاله الكلبي .

والرابع : معناه أن تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك ، لأنك رسول مُبلّغ ، وإنما هو تكذيب لآياتي الدالة على صدقك والموجبة لقبول قولك ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ أي يكذبون .

وقرأ نافع والكسائي : ﴿ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ وهي قراءة عن النبي ﷺ(٧٨) وتأويلها : لا يجدونك كاذباً .

قوله عز وجل : ﴿ . . . وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ يحتمل أربعة تأويلات :

أحدها : معناه لا مُبطِل لحُجَّتِهِ ولا دافع لبرهانه .

والثاني : معناه لا رَادَّ لأمره فيما قضاه من نصر أوليائه ، وأوجبه من هلاك أعدائه .

والثالث : معناه لا تكذيب لخبره فيما حكاه من نصر مَنْ نُصِرَ وهلاك مَنْ أُهْلِكَ .

والرابع : معناه لا يشتبه ما تخرّصه الكاذبون عليه بما بلّغه الأنبياء عنه .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فيما صبروا عليه من الأذىٰ ، وقُوبلوا عليه من النصر .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : [إعراضهم] عن سماع القرآن .

والثاني : عن استماعك .

﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ ﴾ أي سرباً ، وهو المسلك فيها ، مأخوذ من نافقاء(٧٩) اليربوع .

﴿ أَوْ سُلَّماً فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

---

(٧٨) وهي قراءة مخففة وضبطها « لا يُكْذِبُونك » وقرأ الباقون بالتشديد المبسوط في القراءات العشر ص ١٩٢ .

(٧٩) ونافقاء اليربوع إحدى حجرات بيته وهي سبعة حجرات فإذا أتاه العدو من قبل القاصعاء وهو باب آخر خرج من هذا الباب وقد سمي المنافق منافقاً لأنه يدخل الإسلام من وجه ويخرج من وجه آخر فأشبه اليربوع في صنيعه .

أحدها : مصعداً ، قاله السدي .

والثاني : دَرَجاً ، قاله قتادة .

والثالث : سبباً ، قاله الكلبي وقد تضمن ذلك قول كعب بن زهير .

ولا لَكُمَا مَنْجىً عَلَى الأَرْضِ فَابْغِيَا به نَفَقاً أَوْ في السَّمَوَاتِ سُلَّماً

﴿ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ يعني أفضل من آيتك ولن تستطيع ذلك ، لم يؤمنوا لك ، فلا يحزنك تكذيبهم وكفرهم ، قال الفراء : وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره : فتأتيهم بآية فافعل .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ قيل : يعني(٨٠) بالإلجاء والاضطرار .

قال ابن عباس : كل موضع قال الله فيه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فإنه لم يشأ .

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾ يعني فلا تجزع في مواطن الصبر ، فتصير بالأسف والتحسر مقارباً لأحوال الجاهلين .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الاستجابة هي القبول ، والفرق بينها وبين الجواب : أن الجواب قد يكون قبولاً وغير قبول .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني الذين يعقلون ، قاله الكلبي .

والثاني : الذين يسمعون طلباً للحق ، لأن الاستجابة قد تكون من الذين يسمعون طلباً للحق ، فأما من لا يسمع ، أو يسمع لكن لا بقصد طلب الحق ، فلا يكون منه استجابة .

﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المراد بالموتى هنا الكفار ، قاله الحسن ، وقتادة ومجاهد ،

(٨٠) وهذا القول قول المعتزلة والصواب أي لو شاء الله تعالى لجمعهم على الهدى كما أنتم على الهدى وذلك بأن يوفقهم للإيمان فيؤمنوا ولكن لم يشأ ذلك سبحانه لسوء إختيارهم حسبما علمه الله تعالى منهم في الأزل ولله تعالى الحكمة البالغة في ذلك وهذا قول أهل السنة وكان على المؤلف رحمه الله أن يأتي بقول أهل السنة لكنه لم يفعل .

ويكون معنى الكلام : إنما يستجيب المؤمنون الذين يسمعون ، والكفار لا يسمعون إلا عند معاينة الحق اضطراراً[٨١] حين لا ينفعهم حتى يبعثهم الله كفاراً ثم يحشرون كفاراً .

والقول الثاني : أنهم الموتى الذين فقدوا الحياة ، وهو مثل ضربه الله تعالى لنبيه ﷺ ، ويكون معنى الكلام : كما أن الموتىٰ لا يستجيبون حتى يبعثهم الله فكذلك الذين لا يسمعون .

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ يعني آية تكون دليلاً على صدقه وصحة نبوته .

﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ يعني آية يجابون بها إلى ما سألوا .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يعلمون المصلحة في نزول الآية .

الثاني : لا يعلمون أن زيادة الآيات إذا لم يؤمنوا بها ، توجب الزيادة من عذابهم ، لكثرة تكذيبهم .

فإن قيل : فهذه الآية لا تدل على أن الله لم ينزل عليهم آية تقودهم إلى التصديق فلم يلزمهم الإيمان ، قيل : هذا خطأ ، لأن ما أظهره الله من الآيات

(٨١) لعله يقصد أن الكفار يؤمنون عند وقوع آية العذاب بهم كما حكاه الله تعالى عنهم . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » سورة غافر فهذه الآية تدل على أن إيمان المضطر عند معاينة العذاب لا يفيد ولا ينفع أشبه حال فرعون .

الدالة على صدق رسوله وصحة نبوته ، أظهر من أن يُخْفَىٰ ، وأكثر من أن ينكر ، وأن القرآن مع عجز من تحداهم الله من الآيات بمثله ، وما تضمنه من أخبار الغيوب وصدق خبره عما كان ويكون أبلغ الآيات وأظهر المعجزات .

وإنما اقترحوا آية سألوها إعناتاً ، فلم يجابوا مع قدرة الله تعالى على إنزالها ، لأنه لو أجابهم إليها لاقترحوا غيرها إلى ما لا نهاية له ، حتى ينقطع الرسول بإظهار الآيات عن تبليغ الرسالة .

وإنما يلزمه إظهار الآيات في موضعين :

أحدهما : عند بعثه رسولاً ليكون مع استدعائه لهم دليل على صدقه .

والثاني : أن يسألها من يعلم الله منه أنه إن أظهرها له آمن به، وليس يلزمه إظهارها في غير هذين الموضعين.

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ دابة بمعنى ما يدب على الأرض من حيوان كله .

﴿ وَلَا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ يعني في الهواء ، جمع بين ما هو على الأرض وفيها وما ارتفع عنها .

﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ في الأمم تأويلان :

أحدهما : أنها الجماعات .

والثاني : أنها الأجناس ، قاله الفراء .

وليس يريد بقوله : ﴿ أَمْثَالُكُم ﴾ في التكليف كما جعل قوم اشتبه الظاهر عليهم وتعلقوا مع اشتباه الظاهر برواية أبي ذر(٨٢) ، قال : انتطحت شاتان عند النبي ﷺ ، فقال : يا أبا ذر أتدري فيم انتطحتا ؟ قلت : لا ، قال : « لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا » قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر بجناحيه في السماء إلا ذكّرنا منه علماً ، لأنه إذا كان العقل سبباً للتكليف كان عدمه لارتفاع التكليف .

---

(٨٢) رواه ابن جرير (١١/٣٤٨) وأحمد (٥/١٦٢) والطيالسي (٤٨٠) وصحح سند الطيالسي الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١١٧) .

والمراد بقوله : ﴿ أَمْثَالُكُم ﴾ وجهان :

أحدهما : أنها أجناس وتتميز في الصور والأسماء .

والثاني : أنها مخلوقة لا تُظْلَم ، ومرزوقة لا تُحْرَم .

ثم قال تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : ما تركنا خلقاً إلا أوجبنا له أجلاً ، والكتاب هنا هو إيجاب الأجل كما قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٨] قاله ابن بحر وأنشد لنابغة بني جعدة :

بلغوا الملوك وأدركوا الـ ... ـكتاب وانتهى الأجل

والتأويل الثاني : وهو قول الجمهور : أن الكتاب هو القرآن الكريم الذي أنزله ، ما أخل فيه بشيء من أمور الدين ، إما مُفَصَّلاً يَسْتَغْنِي عن التفسير ، أو مُجْمَلاً جعل إلى تفسيره سبيلاً .

يحتمل تأويلاً ثالثاً : ما فرطنا فيه بدخول خلل عليه ، أو وجود نقص(٨٣) فيه ، فكتاب الله سليم من النقص والخلل .

﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن المراد بالحشر الموت ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الحشر الجمع لبعث الساعة(٨٤).

فإن قيل : فإذا كانت غير مُكَلَّفَةٍ فلماذا تبعث يوم القيامة ؟ قيل : ليس التكليف علة البعث ، لأن الأطفال والمجانين يبعثون وإن كانوا في الدنيا غير مكلفين ، وإنما يبعثها(٨٥) ليعوض ما استحق العوض منها بإيلام أو ظلم ، ثم

(٨٣) وفي تفسير الكتاب هنا قول آخر وهو أن المراد به اللوح المحفوظ وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس قال ابن القيم في شفاء العليل ص ٤٠ « وهو أظهر القولين في الآية والسياق يدل عليه ».

(٨٤) ولا تنافي بين القولين فهي تجمع يوم القيامة وثم يقتص بعضها من بعض ثم يقال لها كوني تراباً وقد ورد بذلك الأثر فالقول بحشر البهائم والقصاص بينها هو قول جمهور المفسرين والعلماء المحققين كإبن جرير والشوكاني والنووي والقاري وابن كثير وغيرهم .

(٨٥) قال العلماء. والحكمة في بعثها أن هذا البعث دال على كمال العدالة بين كافة المكلفين فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف .

يجعل ما يشاء منها تراباً ، وما شاء من دواب الجنة[٨٦] يتمتع المؤمنون بركوبه ورؤيته .

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا
تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم
مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ معنى ذلك أنهم تركوا ما ذَكَّرَهُم الله من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله .

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني من نِعَمِ الدنيا وسَعَة الرزق .

وفي إنعامه عليهم مع كفرهم وجهان :

أحدهما : ليكون إنعامه عليهم داعياً إلى إيمانهم .

والثاني : ليكون استدراجاً وبلوىً[٨٧]، وقد روى ابن لهيعة بإسناده عن عقبة ابن عامر أن النبي ﷺ قال[٨٨]: « **إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعطِي العِبَادَ مَا يَشَاءُونَ عَلَى**

(٨٦) لا نعلم لذلك أثراً صحيحاً يدل على ما قال المؤلف .

(٨٧) والقول الثاني أظهر وأوجه لأن الحديث يؤيده وإنما فعل الله تعالى ذلك بهم ليزداود في الطغيان ليزيد لهم في العقوبة .

(٨٨) رواه الطبري ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١ وأحمد برقم (١٧٣٨٢) من حديث عقبة بن عامر وفي إسناد الطبري ابن لهيعة وهوسيىء الحفظ لكنه لم ينفرد به بل توبع في إسناد أحمد بحرملة بن عمران وفي سند أحمد رشدين بن سعد لكن الإسنادين يقوي أحدهما الآخر وزاد السيوطي في الدر (٣/ ١٢) نسبة الحديث لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب .

مَعَاصِيهِم إِيَّاهُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ » ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ . .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُوٓاْ ﴾ يعني من النِّعَمِ فلم يؤمنوا .

﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه تعجيل العذاب المُهْلِك جزاء لأمرين :

أحدهما : لكفرهم به .

والثاني : لكفرهم بنِعَمِهِ .

والوجه الثاني : هو سرعة الموت عند الغفلة عنه بالنِّعَمِ قَطْعاً للذة ، وتعذيباً للحسرة .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ وفيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الإبلاس : الإياس قال عدي بن زيد :

ملك إذا حل العفاة ببابه غبطوا وأنجح منهم المستبلس

يعني الآيس .

والثاني : أنه الحزن والندم .

والثالث : الخشوع .

والرابع : الخذلان (٨٩).

والخامس : السكوت وانقطاع الحجة ، ومنه قول العجاج (٩٠):

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلسا

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

(٨٩) وفي نسخة المخطوطة الجذلان والصواب ما أثبتناه هنا .

(٩٠) تقدم تخريج هذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ . . . . الآية .

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا
شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾
وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ
نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ
وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ **قُلْ لَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الرزق ، أي لا أقدر على إغناء فقير ، ولا إفقار غني ، قاله الكلبي .

والثاني : مفاتيح خزائن العذاب لأنه خوَّفهم منه ، فقالوا متى يكون هذا ؟ ، قاله مقاتل .

﴿ **وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : علم الغيب في نزول العذاب عليهم متى يكون ؟ ، قاله مقاتل .

والثاني : علم جميع ما غاب من ماض ومستقبل(٩١) ، إلا أن المستقبل لا

(٩١) ولا شك أن القول الثاني أحق وأولى ورحم الله المؤلف فقد فصّل فيه تفصيلاً رائعاً .

يعلمه إلا الله أو من أطلعه الله تعالى على علمه من أنبيائه ، وأما الماضي فقد يعلمه المخلوقون من أحد الوجهين : إما من معاينة أو خبر ، فإن كان الإخبار عن مستقبل ، فهو من آيات الله المعجزة ، وإن كان عن ماض فإن علم به غير المخبر والمخبَر لم يكن معجزاً ، وإن لم يعلم به أحد وعلم به المخبِر وحده كان معجزاً ، فنفىٰ رسول الله ﷺ عن نفسه علم الغيب ، لأنه لا يعلمه غير الله تعالى ، وإن ما أخبر به من غيب فهو عن الله ووحيه .

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه يريد أنه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وإن قدرت عليه الملائكة .

والثاني : أنه يريد بذلك أنه من جملة البشر وليس بمَلَك ، لينفي عن نفسه غُلُوَّ النصارىٰ في المسيح وقولهم : إنه ابن الله .

ثم في نفيه أن يكون ملكاً وجهان :

أحدهما : أنه بَيَّنَ بذلك فضل الملائكة على الأنبياء(٩٢)، لأنه دفع عن نفسه منزلة ليست له .

والثاني : أنه أراد إني لست ملكاً في السماء ، فأعلم غيب السماء الذي تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر ، وإن كان الأنبياء أفضل من الملائكة مع غيبهم عما تشاهده الملائكة .

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن أخبركم إلا بما أخبرني الله به(٩٣).

---

(٩٢) قال الإمام الألوسي رحمه الله في كتابه روح المعاني (١٥٥/٧). (تأويل وتقرير أن الملائكة أفضل من النبي ﷺ فهذا كلام لا يسوغ شرعاً أبداً، وهذا فهم خاطىء مستنبط من الآية فالرسول محمد ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق بما فيهم الملائكة المقربون وهذا لا ينكره عالم فبيان التفضيل أي تفضيل الأنبياء على الملائكة واحد).

(٩٣) فلا يجوز أن نضع الرسول عليه الصلاة والسلام دون المنزلة التي حباه الله إياها وكذلك لا يجوز أن نبالغ بأمور تجاوز حدود الشرع كبعض المتصوفة الذين يقولون إن الرسول هو أول خلق الله أو الذين يقولون خلق من نور معتمدين على أحاديث واهية وموضوعة.

والثاني : أن أفعل إلا ما أمرني الله به .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : الجاهل والعالم .

والثاني : الكافر والمؤمن .

﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : فيما ضربه الله من مثل الأعمىٰ والبصير .

الثاني : فيما بينه من آياته الدالة على توحيده وصدق رسوله .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ .

روي أن سبب نزول هذه الآية أن الملأ من قريش(٩٤) أتوا النبي ﷺ وعنده جماعة من ضعفاء المسلمين مثل بلال ، وعمار ، وصهيب ، وخباب بن الأرت ، وابن مسعود ، فقالوا : يا محمد اطرد عنا موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعتقاؤنا(٩٥)، فلعلك إن طردتهم نتبعك ، فقال عمر : لو فعلت ذلك حتى نعلم ما الذي يريدون وإلَامَ يصيرون ، فَهَمَّ رسول الله ﷺ بذلك حتى نزلت هذه الآية ، ونزل في الملأ من قريش ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية . فأقبل عمر فاعتذر من مقالته فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ أربعة تأويلات :

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه ذكر الله ، قاله إبراهيم النخعي .

والثالث : تعظيم(٩٦) القرآن ، قاله أبو جعفر .

---

(٩٤) وقد ورد سبب نزول الآية من قول عكرمة بأطول من هذا رواه الطبري (١١/٣٧٩ ، ٣٨٠) وقد ورد من حديث خباب بن الأرت رواه أحمد (٣٩٨٥) والطبري (١١/٣٧٤ ، ٣٧٥) وصحح سند أحمد الشيخ أحمد شاكر .

(٩٥) هذا خطأ والصواب وعسفاؤنا كما في الطبري (١١/٣٧٩) وهو جمع عسيف وهو الأجير المستهان به .

(٩٦) قوله تعظيم خطأ والصواب تعليم والدليل على ذلك أن هذا القول أورده ابن جرير (١١/٣٨٥)

والرابع : أنه عبادة الله ، قاله الضحاك .

ومعنى قوله : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يريدون بدعائهم ، لأن العرب تذكر وجه الشيء إرادة له مثل قولهم : هذا وجه الصواب تفخيماً للأمر وتعظيماً .

والثاني : معناه يريدون طاعته لقصدهم الوجه الذي وجَّههم(٩٧) إليه .

﴿ مَا عَلَيكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : يعني ما عليك من حساب عملهم من شيء من ثواب أو عقاب .

﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ يعني وما من حساب عملك عليهم من شيء ، لأن كل أحد مؤاخذ بحساب عمله دون غير ، قاله الحسن .

والثاني : معناه ما عليك من حساب رزقهم وفقرهم من شيء .

والثالث : ما عليك كفايتهم ولا عليهم كفايتك ، والحساب الكفاية كقوله تعالى : ﴿ عَطَاءً حِسَاباً ﴾ [النبأ : ٣٦] أي تاماً كافياً ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ وكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ يعني لاختلافهم في الأرزاق ، والأخلاق ، والأحوال .

وفي إفتان الله تعالى لهم قولان :

أحدهما : أنه ابتلاؤهم واختبارهم ليختبر به شكر الأغنياء وصبر الفقراء ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : تكليف ما يشق على النفس مع قدرتها عليه .

﴿ لِّيَقُولُوٓاْ(٩٨) أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ وهذا قول الملأ من قريش

بسنده عن ابن جعفر قال كان يقرئهم القرآن من الذي يقص على النبي ﷺ ؟ قلت فأراد أبو جعفر رحمه الله تعلمهم القرآن وقراءته ويؤيد ما ذهبت إليه أن ابن الجوزي رحمه الله أورد هذا القول في زاد المسير (٤٦/٣) وقال : « الرابع : أنه تعلم القرآن غدوة وعشية قال أبو جعفر ا هـ. ولعل هذا سبق قلم من الناسخ والله أعلم.

(٩٧) أما مذهب السلف في هذه الآية فإنهم يمرونها كما نزلت ويؤولونها تأويلاً إجمالياً أي يؤمنون بالنص إيماناً يتناسب مع قوله تعالى ليس كمثله شيء.

(٩٨) واللام في قوله ﴿ ليقولوا ﴾ للتعليل وليس للعاقبة فإن لام العاقبة تكون في حق من هو جاهل أو

للضعفاء من المؤمنين ، وفيما مَنَّ الله تعالى به عليهم قولان :

أحدهما : ما تفضل الله به عليهم من اللطف في إيمانهم .

والثاني : ما ذكره من شكرهم على طاعته .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَاتِنَا﴾ يعني به ضعفاء المسلمين وما كان من شأن عمر .

﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أمر بالسلام عليهم من الله تعالى ، قاله الحسن .

والثاني : أنه أمر بالسلام عليهم من نفسه تكرمة لهم ، قاله بعض المتأخرين .

وفي السلام قولان :

أحدهما : أنه جمع السلامة .

والثاني : أنه السلام هو الله ومعناه ذو السلام .

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه(٩٩) أوجب الله على نفسه .

والثاني : كتب في اللوح المحفوظ على نفسه .

و ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ يحتمل المراد بها هنا وجهين :

أحدهما : المعونة .

والثاني : العفو(١٠٠) .

﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوٓءًا بِجَهَالَةٍ ﴾ في الجهالة تأويلان :

عاجز عن دفعها ولهذا قال ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل ص ١٩١ عنه هذه الآية . . ولا ريب أن هذا تعليل لفعله المذكور « أي فعل الرب » وهو امتحان بعض خلقه ببعض كما امتحن السادات والأشراف بالعبيد والضعفاء والموالي فإذا نظر الشريف والسيد إلى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمى أن يسلم معه أو بعده . . . . . الخ وراجع أيضاً روح المعاني (١٦٢/٧).

(٩٩) تقدم الكلام على هذا الكتب في الآيات السابقة .

(١٠٠) والصواب إثبات صفة الرحمة للرب تبارك وتعالى على ما ذكر في الاية .

أحدهما : الخطيئة ، قاله الحسن ، ومجاهد ، والضحاك .

والثاني : ما جهل كراهية عاقبته ، قاله الزجاج .

ويحتمل ثالثاً : أن الجهالة هنا ارتكاب الشبهة بسوء التأويل(١٠١) .

﴿ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ يعني تاب من عمله الماضي وأصلح في المستقبل .

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ
ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ
أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ
وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي ﴾ في البينة هنا قولان :

أحدهما : الحق الذي بان له .

والثاني : المُعْجِزُ في القرآن .

﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وكذبتم بالبينة .

والثاني : وكذبتم بربكم .

---

(١٠١) قال العلامة الآلوسي قوله سبحانه ﴿ بجهالة ﴾ حال أيضاً على الأظهر أي من عمل ذنباً وهو جاهل أي فاعل فعل الجهلة لأنه من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل الجهل والسفه لا من أهل الحكمة والتدبير أو جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة روح المعاني (١٦٤/٧).

﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ما يستعجلون به من العذاب الذي أُوعِدُوا به قبل وقته ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾، قاله الحسن .

والثاني : ما استعجلوه من اقتراح الآيات لأنه طلب الشيء في غير وقته ، قاله الزجاج .

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : الحكم في الثواب والعقاب .

والثاني : الحكم في تمييز الحق من الباطل(١٠٢) .

﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وعاصم ﴿ يَقُصُّ ﴾ بصاد غير معجمة من القَصَص وهو الإِخبار به ، وقرأ الباقون ﴿ يَقْضِي ﴾ بالضاد معجمة من القضاء ، وهو صنع الحق وإتمامه .

قوله عز وجل : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : خزائن غيب السموات والأرض والأرزاق والأقدار ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني : الوصول إلى العلم بالغيب .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن ما في البّر ما على الأرض ، وما في البحر ما على الماء ، وهو الظاهر ، وبه قال الجمهور .

والثاني : أن البَرّ القفر ، والبحر القُرىٰ لوجود الماء فيها ، فلذلك سميت بحراً ، قاله مجاهد .

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ يعني قبل يبسها وسقوطها .

﴿ وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ﴾ يحتمل وجهين :

(١٠٢) والصواب أن يقال إن الحكم في كل شيء إلا لله فهو الذي يحكم لا معقب لحكمه ومن جملة ذلك ما استعجلوه من العذاب راجع فتح القدير (٢/١٢٢) .

أحدهما : ما في بطنها من بذر .
والثاني : ما تخرجه من زرع .

﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الرطب النبات واليابس الجواهر .
والثاني : أن الرطب الحي ، واليابس الميت .

﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[١٠٣] يعني في اللوح المحفوظ .

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِٱلَّيلِ ﴾ يعني به النوم ، لأنه يقبض الأرواح فيه عن التصرف ، كما يقبضها بالموت ، ومنه قول الشاعر[١٠٤] :

إنَّ بَنِي الْأَدْرَدِ لَيْسوا مِن أَحَدْ   وَلَا تَوفَّاهُم قُرَيْشٌ في العَدَدْ

أي لا تقبضهم .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ أي ما كسبتم لأنه مستفاد بعمل الجارحة ، ومنه جوارح الطير لأنها كواسب بجوارحها ، وجَرْحُ الشهادة هو الطَّعْن فيها لأنه مكسب الإثم ، قاله الأعشى(*) :

(١٠٣) وما أجمل قول علامة اليمن الشوكاني رحمه الله « وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدّعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق والمصدوق ﷺ « من أتى كاهناً أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد » فتح القدير (٢/١٢٣) .

(١٠٤) والشاعر هو منظور الوبري والبيت في اللسان (وفي) وقوله بني الأدرد خطأ والصواب بنو الأدرم والبيت في الطبري (١١/٤٠٥) وراجع ما كتب في الحاشية هناك .

(*) ديوانه : ٤١ .

وهـوَ الـدَّافِـعُ عن ذي كُـرْبَـةٍ   أيْدِي القَوْمِ إذا الْجَانِي اجْتَرَحْ

﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ يعني في النهار باليقظة ، وتصرف الروح بعد قبضها بالنوم .

﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ يعني استكمال العمر وانقضاء الأجل بالموت .

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ يعني بالبعث والنشور في القيامة .

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا من خير وشر .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أعلى قهراً ، فلذلك(١٠٥) قال : ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ .

والثاني : أن الأقدر إذا استحق صفة المبالغة عبَّر عنه بمثل هذه العبارة ، فقيل : هو فوقه في القدرة أي أقدر ، وفوقه في العلم أي أعلم .

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه جوارحهم التي تشهد عليهم بما كانوا يعملون .

والثاني : الملائكة(١٠٦) .

ويحتمل ﴿ حَفَظَةً ﴾ وجهين :

أحدهما : حفظ النفوس من الآفات .

والثاني : حفظ الأعمال من خير وشر ، ليكون العلم بإتيانها أزجر عن الشر ، وأبعث على الخير .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ يعني أسباب الموت ، بانقضاء الأجل .

فإن قيل : المتولِّي لقبض الروح مَلَك الموت ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] فكيف قال: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ والرسل جمع .

---

(١٠٥) وقد عرّفناك فيما سلف إثبات فوقية الرب وعلوه على خلقه والله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. بلا جهة ولا مكان كما قال الطحاوي لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

(١٠٦) والقول الثاني أرجح واختاره ابن جرير (١١/٤٠٩) والشوكاني (٢/١٢٤) وابن كثير (٢/١٣٨) والآلوسي (٧/١٧٥) والبيضاوي (ص ١٧٨) والزمخشري (٢/١٩).

قيل : لأن الله أعان مَلَك الموت بأعوان من عنده يتولون ذلك بأمره ، فصار التوفِّي من فعل أعوانه ، وهو مضاف إليه لمكان أمره ، كما يضاف إلى السلطان فعل أعوانه من قتل ، أو جلد ، إذا كان عن أمره(١٠٧) .

﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يؤخرون .

الثاني : لا يُضَيِّعُون ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ وفي متولِّي الرد قولان :

أحدهما : أنهم الملائكة التي توفتهم .

والثاني : أنه الله بالبعث والنشور .

وفي ردهم إلى الله وجهان :

أحدهما : معناه ردهم إلى تدبير الله وحده ، لأن الله دبرهم عند خلقهم وإنشائهم ، مكَّنهم من التصرف فصاروا في تدبير أنفسهم ، ثم كَفَّهم عنه بالموت فصاروا في تدبير الله كالحالة الأولى ، فصاروا بذلك مردودين إليه .

والثاني : أنهم ردوا إلى الموضع الذي لا يملك الحكم عليهم فيه إلا الله ، فجعل الرد إلى ذلك الموضع رداً إليه .

فإن قيل : فكيف قال : ﴿ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ وقد قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[محمد: ١١].

قيل : عنه جوابان :

أحدهما : أنه قال هذا لأنهم دخلوا في جملة غيرهم من المؤمنين المردودين فعمَّهم اللفظ .

والثاني : أن المولىٰ قد يعبر به عن الناصر تارة وعن السيد أخرى ، والله لا يكون ناصراً للكافرين ، وهو سيد الكافرين والمؤمنين .

---

(١٠٧) وهذا السؤال وجوابه ذكره العلامة الطبري في التفسير (١١/٤٠٩ ، ٤١٠) وخلاصته أن الله تعالى يصدر الأمر بالتوفي والمباشر للأمر هو ملك الموت وأعوانه .

و ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾ هنا يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق هو من أسمائه تعالى .

والثاني : لأنه مستحق الرد عليه .

والثالث : لِحُكْمِهِ فيهم بالرد .

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ يعني القضاء بين عباده .

فإن قيل : فقد جعل لغيره الحكم ؟

فعنه جوابان :

أحدهما : أن له الحكم في يوم القيامة وحده .

والثاني : أن غيره يحكم بأمره فصار الحكم له .

ويحتمل قوله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ وجهاً ثانياً : أن له أن يحكم لنفسه فصار بهذا الحكم مختصاً .

﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : يعني سرعة الحكم بين العباد لتعجيل الفصل ، وعبر عن الحكم بالحساب من تحقيق المستوفي بهما من قليل وكثير .

والثاني : وهو الظاهر أنه أراد سرعة محاسبة العباد على أعمالهم .

ويحتمل مراده بسرعة حسابه وجهين .

أحدهما : إظهار قدرته بتعجيل ما يعجز عنه غيره .

والثاني : أنه يبين به تعجيل ما يستحق عليه من ثواب ، وتعجيل ما يستحق على غيره من عقاب جمعاً بين إنصافه وانتصافه .

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾
قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ
شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن العذاب الذي من فوقهم الرجم ، والذي من تحت أرجلهم الخسف ، قاله ابن جبير ، ومجاهد ، وأبو مالك .

والثاني : أن العذاب الذي من فوقهم أئمة السوء ، والعذاب الذي من تحت أرجلهم عبيد السوء ، قاله ابن عباس .

والثالث : أن الذي من فوقهم الطوفان ، والذي من تحت أرجلهم الريح ، حكاه علي بن عيسى(١٠٨) .

ويحتمل أن العذاب الذي من فوقهم طوارق السماء التي ليست من أفعال العباد لأنها فوقهم ، والتي من تحت أرجلهم ما كان من أفعال العباد لأن الأرض تحت أرجل جميعهم .

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنها الأهواء المُخْتَلَفَة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنها الفتن والاختلاف ، قاله مجاهد .

ويحتمل ثالثاً : أي يسلط عليكم أتباعكم الذين كانوا أشياعكم ، فيصيروا لكم أعداء بعدما كانوا أولياء ، وهذا من أشد الانتقام أن يستعلي الأصاغر على الأكابر .

روي أن موسى بن عمران عليه السلام دعا ربه على قوم فأوحى الله إليه : أو ليس هذا هو العذاب العاجل الأليم .

هذا قول المفسرين من أهل الظاهر ، وَتَأَوَّلَ بعض المتعمقين في غوامض

---

(١٠٨) قال العلامة ابن جرير (١١/٤١٨) وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال عنى بالعذاب من فوقهم الرجم أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ، الخسف وما أشبه وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره وإن كان لما روي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح غير أن الكلام إذا تنوزع في تأويله فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها اهـ.

المعاني ﴿ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ ﴾ معاصي السمع والبصر[١٠٩] واللسان ﴿ أَوْمِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ المشي إلى المعاصي حتى يواقعوها ، وما بينهما يأخذ بالأقرب منهما ﴿ أَوَ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ﴾ يرفع من بينكم الألفة .

﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ تكفير أهل الأهواء بعضهم بعضاً ، وقول الجمهور : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ يعني بالحروب والقتل حتى يفني بعضهم بعضاً ، لأنه لم يجعل الظفر لبعضهم فيبقى .

﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : نفصل آيات العذاب وأنواع الانتقام .

والثاني : نصرف كل نوع من الآيات إلى قوم ولا يعجزنا أن نجمعها على قوم .

﴿ لَعَلَّهُم يَفْقَهُونَ ﴾ أي يتعظون فينزجرون .

واختلف أهل التأويل في نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها في أهل الصلاة ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة . وأن نزولها شق على النبي ﷺ ، [فقام] فصلى صلاة الضحى[١١٠] وأطالها فقيل له: ما أطلت صلاة كاليوم ، فقال : « إِنَّهَا صَلاَةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُجِيرَنِي مِنْ أَرْبعٍ فَأَجَارَنِي مِنْ خَصْلَتَينِ وَلَمْ يُجِرْنِي مِنْ خَصْلَتَينِ : سَأَلْتُهُ أَلاَّ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِعَذَابٍ مِنْ فَوقِهِم كَمَا فَعَلَ بِقَومِ نُوحٍ ، وَبِقَوم لُوطٍ فَأَجَارَنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يُهْلِكَ أُمَّتِي بعذَاب مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم كَمَا فَعَلَ بِقَارُونَ فَأَجَارنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يُفَرِّقَهُم شِيَعاً فَلَمْ يُجِرْنِي ، وَسَأَلْتُهُ أَلاَّ يُذِيقَ بَعْضَهُم بَأْسَ بَعْضٍ فَلَمْ يُجِرْنِي » وَنَزَلَ عَلَيهِ قَوله تعالى : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[العنكبوت : ٢١]

---

(١٠٩) وأنت خبير بما في هذا التفسير الذي أبداه المتعمقة وقد مر الكثير من أمثال هذه الإشارات وقد حذرناك منها فليس ثمة دليل يدل عليها فكن على حذر .

(١١٠) وهذا السياق الذي أورده المؤلف روى نحوه ابن جرير (٤٢٨/١١) عن الحسن مطولاً وقد ورد الحديث مرفوعاً بروايات متعددة من حديث جابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومعاذ بن جبل وأنس بن مالك وشداد بن أوس . وغيرهم راجع الطبري (٤٢٢/١١ ـ ٤٢٣) .

والقول الثاني : أنها نزلت في المشركين ، قاله بعض المتأخرين[١١١] .

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ
تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي
حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ
لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ وفيما كذَّبوا به قولان :

أحدهما : أنه القرآن ، قاله الحسن ، والسدي .

والثاني : تصريف الآيات ، قاله بعض المتأخرين[١١٢] .

﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ يعني ما كذَّبوا به ، والفرق بين الحق والصواب أن الحق قد يُدْرَكُ بغير طلب ، والصواب لا يُدْرَكُ إلا بطلب .

﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه لست عليكم بحفيظ لأعمالكم لأجازيكم عليها ، وإنما أنا منذر ، قاله الحسن .

والثاني : لست عليكم بحفيظ أمنعكم من أن تكفروا ، كما يمنع الوكيل على الشيء من إلحاق الضرر به ، قاله بعض المتأخرين .

والثالث : معناه لست آخذكم بالإيمان اضطراراً وإجباراً ، كما يأخذ الوكيل بالشيء ، قاله الزجاج .

---

(١١١) وفي الآية قول آخر أنها نزل بعضها في المشركين وبعضها في المسلمين وهو قول الحسن كما في الطبري (١١ /٤٣٠) ولكن العلامة الألوسي لم يرتض ذلك فقال « ولا يخفى أنه تفكيك للنظم الكريم ولعل مراد الحسن أن هذا يكون للمسلمين ويقع دون الأول ا هـ روح المعاني (٧ /١٨٠) .

(١١٢) وفيها قول ثالث أنه العذاب ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣ /٦٠) ولم يعزه لأحد واختار القول الأول الألوسي في روح المعاني (٧ /١٨١ ، ١٨٢) ونسبه للأزهري وهو اختيار ابن كثير (٢ /٤٧) عمدة التفسير .

﴿ لِّكُلِ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه أن لكل خَبَرٍ أَخْبَرَ الله تعالى به من وعد أو وعيد مستقراً في مستقبل الوقت أو ماضيه أو حاضره في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه وعيد من الله للكافرين في الآخرة لأنهم لا يقرون بالبعث ، قاله الحسن .

والثالث : أنه وعيد لهم بما ينزل بهم في الدنيا ، قاله الزجاج .

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وما على الذين يتقون الله في أوامره ونواهيه من حساب الكفار فيما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب مآثم يؤاخذون بها ، ولكن عليهم أن يذكروهم بالله وآياته لعلهم يتقون ما هم عليه من الاستهزاء والتكذيب ، قاله الكلبي .

والثاني : وما على الذين يتقون الله من الحساب يوم القيامة ما على الكفار في الحساب من التشديد والتغليظ لأن محاسبة المتقين ذكرى وتخفيف ، ومحاسبة الكفار تشديد وتغليظ لعلهم يتقون إذا علموا ذلك .

والثالث : وما على الذين يتقون الله فيما فعلوه من رد وصد حساب ، ولكن اعدلوا إلى الذكرى لهم بالقول قبل الفعل ، لعلهم يتقون إذا علموا .

ويحتمل هذا التأويل وجهين :

أحدهما : يتقون الاستهزاء والتكذيب .

والثاني : يتقون الوعيد والتهديد .

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ

﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً ﴾ فيهم قولان :

أحدهما : أنهم الكفار الذين يستهزئون بآيات الله إذا سمعوها ، قاله علي بن عيسى .

والثاني : أنه ليس قوم لهم عيد يلهون فيه إلا أمة محمد ﷺ ، فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير ، قاله الفراء .

﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : معناه وغرتهم الحياة الدنيا بالسلامة فيها ، ونيل المطلوب منها .

والثاني : معناه وغرتهم الدنيا بالحياة والسلامة منها ، فيكون الغرور على الوجه الأول بالحياة ، وعلى الثاني بالدنيا .

﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ قيل معناه أن لا تبسل كما قال تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء : ١٧٦] بمعنى أن لا تضلوا .

وفي قوله : ﴿ أَن تُبْسَلَ ﴾ ستة أوجه :

أحدها : أن تسلم ، قاله الحسن ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

والثاني : أن تُحْبَس ، قاله قتادة .

والثالث : أن تُفْضَح ، قاله ابن عباس .

والرابع : أن تُؤخَذ بما كسبت ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن تُجْزَىٰ ، قاله الكلبي .

والسادس : أن تُرْتَهن[١١٣] ، قاله الفراء ، من قولهم أسد باسل لأن فريسته مُرْتَهَنَة معه لا تَفْلِت منه ، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي[١١٤] :

(١١٣) ولا مانع من أن يسأل عن كل هذه المعاني فهي معانٍ متقاربة . ولهذا قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١٨٧/٧) في تفسير الآية أي لئلا تحبس وترهن كل نفس في الهلاك أو في النار أو تسلم إلى ذلك أو تفضح أو تحرم الثواب بسبب عملها السوء ا هـ .

(١١٤) أنظر مجاز القرآن (١٩٤/١) وغريب القرآن ١٥٥ والمعاني الكبير لابن قتيبة ١١٤/٢ ونوادر ابن زيد ص ١٥١ والطبري (٤٤٥/١١) وشواهد الكشاف ٢٠٠ واللسان « بسل » .

وإبسالي بني بغير جرم　　بعوناه ولا بدم مراق

وقوله : بعوناه أي جنيناه ، وأصل الإبسال التحريم من قولهم : شراب بَسْل أي حرام ، قال الشاعر[١١٥] :

بَكَرت تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدىٰ　　بسلٌ عليكِ مَلامَتي وَعِتَابي

أي حرام عليك .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ . . . وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾ تأويلان :

أحدهما : معناه وإن تفد كل فدية من جهة المال والثروة ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد .

والثاني : من جهة الإسلام والتوبة ، قاله الحسن[١١٦] .

واختلف في نسخها على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم ﴾[التوبة : ٥] ، قاله قتادة .

والثاني : أنها ثابتة[١١٧] على جهة التهديد كقوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾[المدثر : ١١] ، قاله مجاهد .

قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١١٥) الشاعر هو ضمرة بن ضمرة النهشلي والبيت في الأمالي ٢ / ٢٧٩ ، والشعر والشعراء ٢٥٠ نوادر ابن زيد : ٢ ، اللسان بسل ، الوحشيات رقم ٤٤ .

(١١٦) وهذا القول لابي عبيدة في مجاز القرآن ١ / ١٩٥ لكن العلامة ابن جرير تعقبه بقوله (١١ / ٤٤٨) وليس لما قال من ذلك معنى وذلك أن كل تائب في الدنيا فإن الله تعالى ذكره يقبل توبته ا هـ قلت لعله أراد التوبة في الآخرة لما عاينوا العذاب فندموا على ما صنعوه في الدنيا وحينئذ لم يقبل الله تعالى منهم هذه التوبة وبنحو هذا التأويل أورد الآلوسي قولاً بهذا المعنى في روح المعاني (٧ / ١٨٤) .

(١١٧) أي محكمة .

﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ
قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ
وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ يعني الأصنام ، وفي دعائها في هذا الموضع تأويلان :

أحدهما : عبادتها .

والثاني : طلب النجاح منها .

فإن قيل : فكيف قال ولا يضرنا ؟ ودعاؤها لما يستحق عليه من العقاب ضارٌّ ؟

قيل : معناه ما لا يملك لنا ضراً ولا نفعاً .

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ٱللَّهُ ﴾ بالإسلام .

﴿ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه استدعاؤها إلى قصدها واتباعها ، كقوله تعالى : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم ﴾ [إبراهيم : ٣٧] أي تقصدهم وتتبعهم .

والثاني : أنها أَمْرُهَا بالهوىٰ .

وحكىٰ أبو صالح عن ابن عباس : أن هـذه الآية نـزلت في أبي بكر وامـرأته حين دعَوا ابنهما عبد الرحمن إلى الإسلام والهدىٰ أن يأتيهما .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ في الحق الذي خلق به السمٰوات والأرض أربعة أقاويل :

أحدها : أنه الحكمة .

والثاني : الإحسان إلى العباد .

والثالث : نفس خلقها فإنه حق .

والرابع : يعني بكلمة الحق .

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن يقول ليوم القيامة : كن فيكون ، لا يثنّي إليه القول مرة بعد أخرى ، قاله مقاتل .

والثاني : أنه يقول للسمٰوات كوني صوراً يُنْفَخ فيه لقيام الساعة ، فتكون صوراً مثل القرآن ، وتبدل سماءً أخرىٰ ، قاله الكلبي .

وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ قولان :

أحدهما :أن الصور قرن(١١٨) ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، والثانية للإنشاء علامة للانتهاء والابتداء ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[الزمر: ٦٨].

والثاني : أن الصور جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا(١١٩) .

ثم قال تعالى : ﴿ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ... ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه عائد إلى خلق السمٰوات والأرض ، والغيب ما يغيب عنكم ، والشهادة ما تشاهدون .

والثاني : أنه عائد إلى نفخ الصور هو عالم الغيب والشهادة المتولي للنفخة(١٢٠).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي

(١١٨) ولا ريب أن هذا القول هو الصواب لأن الحديث يدل عليه فروى أحمد (١٠/١٠ ، ١١) والترمذي (٢٩٥/٣) وصححه وأبو داود (٣٢٦/٤) والحاكم (٤٣٦/٢ ، ٥٠٦)، (٥٦٠/٤) وصححه ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن عمرو سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال هو قرن ينفخ فيه وصحح الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة وهذا القول رجحه غير واحد من المفسرين.

(١١٩) وهذا القول على قراءة قتادة والمراد بها الأبدان التي تقوم بعد نفخ الروح فيها لرب العالمين .

(١٢٠) والصواب أنه عائد إلى الله تعالى لأن سياق الآية يدل عليه فهو عالم ما غاب عن العباد يعلم ما يغيب عن حواسهم وأبصارهم وهو الحكيم في تدبيره وتصريفه الخبير بكل ما يعمل العباد .

ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن
لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ
قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ . . . ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن آزر اسم أبيه ، قاله الحسن ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، قال محمد : كان رجلاً من أهل كوثى قرية من سواد الكوفة .

والثاني : أن آزر اسم صنم ، وكان اسم أبيه تارح(١٢١)، قاله مجاهد .

والثالث : أنه ليس باسم ، وإنما هو صفة سب بعيب ، ومعناه معوج ، كأنه عابه باعوجاجه عن الحق ، قاله الفراء .

فإن قيل : فكيف يصح من إبراهيم ـ وهو نبي ـ سبّ أباه ؟

قيل : لأنه سبّه بتضييعه حق الله تعالى ، وحق الوالد يسقط في تضييع حق الله(١٢٢) .

(١٢١) قال الشيخ أحمد شاكر : أما أن اسم والد إبراهيم آزر فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني وأما بالتأويل والتلاعب بالألفاظ فما هو إلا إنكار مقنع لمضمون الكلام ومعناه ، وسواء أكان اسمه في قول أهل النسب نقلاً عن الكتب السابقة تارح أو لم يكن فلا أثر له في وجوب الإيمان بصدعه ما نص عليه القرآن ، وبدلالة لفظ « لأبيه » على معناه الوضعي في اللغة والقرآن هو المهمين على كل ما قبله من كتب الشرائع السابقة ثم يقطع كل شك ويذهب بكل تأويل الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (٢٧٦/٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له ابراهيم ألم أقل لك : لا تعصني » . . . . . إلى آخر الحديث وليس بعد هذا النص مجال للتلاعب ا هـ. قلت ومن هذا تعلم أن القول الأول هو الصواب والله أعلم .

(١٢٢) أقول إن المتتبع لدعوة نبي الله إبراهيم لأبيه في القرآن يجد أنه كان يدعوه بطريقة كلها لطف ورقة

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ذلك وذاك وذا : إشارات ، إلا أن ذا لما قَرُبَ ، وذلك[١٢٣] لما بَعُد، وذاك لتفخيم شأن ما بَعُدَ .

وفي المراد بملكوت السمٰوات والأرض خمسة أوجه :

أحدها : أنه خلق السمٰوات والأرض ، قاله ابن عباس .

والثاني : مُلْك السمٰوات والأرض .

واختلف من قال بهذا فيه على وجهين :

أحدهما : أن الملكوت هو المُلْك بالنبطية[١٢٤]، قاله مجاهد .

والثاني : أنه المُلْك بالعربية ، يقال مُلْك وملكوت كما يقال رهبة ورهبوت ، ورحمة ورحموت ، والعرب تقول : رهبوت خير من رحموت ، أي أن تُرْهَب خير من أن تُرْحَم ، قاله الأخفش .

والثالث : معناه آيات السمٰوات والأرض ، قاله مقاتل[١٢٥] .

والرابع : هو الشمس والقمر والنجوم ، قاله الضحاك .

والخامس : أن ملكوت السموات : القمر ، والنجوم ، والشمس ، وملكوت الأرض : الجبال ، والشجر ، والبحار ، قاله قتادة[١٢٦] .

﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما: من الموقنين لوحدانية الله تعالى وقدرته .

وبكلمات تسيل عذوبة واستعطاف وبر وخوف عليه من عذاب الله تعالى كما في سورة مريم فلم يمنعه كفر أبيه من بره والتلطف معه في القول والدعوة معه بالكلمة فعساك تتعلم أيها القارىء .

(١٢٣) هذا خطأ والصواب ذاك .

(١٢٤) والذي في الطبري(١١/٤٧١) والدر المنثور (٣/٣٠١) من قول عكرمة وليس من قول مجاهد .

(١٢٥) هذا القول قول مجاهد ومعنى قول السدي وسعيد بن جبير كما في الطبري (١١/٤٧٢) وليس قول مقاتل .

(١٢٦) قال العلامة ابن جرير (١١/٤٧٥) وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال عن الله تعالى ذكره بقوله ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ أنه أراه ملك السموات والأرض وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها اهـ.

والثاني : من الموقنين نبوته وصحة رسالته (١٢٧) .

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً ﴾ قال مجاهد (١٢٨) : ذكر لنا أنه رأى الزهرة طلعت عشاءً .

﴿ قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ﴾ ومعنى جَنَّ عليه الليل ، أي ستره ، ولذلك سمي البستان جَنَّة لأن الشجر يسترها ، والجِنُّ لاستتارهم عن العيون ، والجُنُون لأنه يستر العقل ، والجَنِين لأنه مستور في البطن ، والمِجَنّ لأنه يستر المتترس ، قال الهذلي (١٢٩) :

وماء وردت قبيل الكرى ‌ ‌ ‌ ‌ وقد جنه السدف الأدهم

وفي قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا رَبِّي ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أنه قال : هذا ربي في ظني ، لأنه في حال تقليب واستدلال .

والثاني : أنه قال ذلك اعتقاداً أنه ربه ، قاله ابن عباس .

والثالث : أنه قال ذلك في حال الطفولية والصغر (١٣٠) لأن أمه ولدته في مغارة حذراً عليه من نمرود ، فلما خرج عنه قال هذا القول قبل قيام الحجة عليه ، لأنها حال لا يصح فيها كفر ولا إيمان ، ولا يجوز أن يكون قال ذلك بعد البلوغ .

والرابع : أنه لم يقل ذلك قول معتقد ، وإنما قاله على وجه الإنكار لعبادة

---

(١٢٧) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١٩٨/٧) . . قوله « وليكون من الموقنين » أي من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة من اليقين من معرفة الله تعالى وهذا لا يقتضي سبق الشك كما لا يخفى ا هـ .

(١٢٨) وهذا القول قول قتادة كما في الدر (٣٠٣/٣) وليس قول مجاهد كما قال المؤلف هنا وورد قول آخر عن السدي أن الكوكب هو المشتري وأنت خبير أيها القارىء أنه لن يترتب على تعيين الكوكب كبير فائدة .

(١٢٩) ديوان الهذليين (٥٦/٣) واللسان (سدف) و (جنن) والشاعر هو عياض بن خويلد الخناعي وقيل هو عامر بني سدوس الخناعي .

(١٣٠) وهذا القول والذي قبله لم يرتض المحققون القول به قال العلامة ابن الجوزي (٧٤/٣) وهذا القول لا يرتضى والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال . . وراجع روح المعاني (١٩٩/٧) والطبري (٤٨٣/١١) وقال : وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذي روي عن ابن عباس وعمن روي عنه . . . . وقالوا غير جائز أن يكون من ابتعثه بالرسالة أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ إلا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل ما يعبد من دونه بريء . . . . الخ .

الأصنام ، فإذا كان الكوكب والشمس والقمر وما لم تصنعه يد ولا عَمِلَه بشر لم تكن معبودة لزوالها ، فالأصنام التي هي دونها أولى ألّا تكون معبودة .

والخامس : أنه قال ذلك توبيخاً على وجه الإنكار[١٣١] الذي يكون معه ألف الاستفهام وتقديره : أهذا ربي ، كما قال الشاعر[١٣٢] :

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجه هم هم

بمعنى أهم هم ؟

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ أي غاب ، قال ذو الرمة[١٣٣] :

مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك

﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفِلِينَ ﴾ يعني حُبَّ رَبٍّ معبود ، وإلا فلا حرج في محبتهم غير حب الرب .

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً ﴾ أي طالعاً ، وكذلك بزغت الشمس أي طلعت .

فإن قيل : فَلِمَ كان أفولها دليلاً على أنه لا يجوز عبادتها وقد عبدها مع العلم بأفولها خلق من العقلاء ؟ قيل لأن تغيرها بالأفول دليل على أنها مُدَبَّرة محدثة ، وما كان بهذه الصفة استحال أن يكون إلهاً معبوداً .

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾
وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ

(١٣١) والقول الذي تطمئن إليه النفس في ذلك ما قاله العلامة الآلوسي رحمه الله (١٩٨/٧) قال قوله « قال هذا ربي » استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق وهذا منه عليه السلام على سبيل الغرض وإرضاء العنان مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول يحكيه ثم يكرّ عليه بالإبطال وهذا هو الحق الحقيق بالقبول ا هـ قلت ولا مانع من القول بالقول الخامس وقد ذهب إليه جمع من المفسرين .

(١٣٢) هو أبو خراش الهذلي والبيت في ديوان الهذليين (١٤٤/٢) والخزانة ١ /٢١١ واللسان (رفأ) و (رفو) .

(١٣٣) ديوانه : ٤٢٥ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٩٩/١) واللسان (دالك) والطبري (٤٨٥/١١) وفيه « يقودها » .

﴿بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾
وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ في الظلم ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الشرك ، قاله ابن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، روى ابن مسعود(١٣٤) قال : لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين فقالوا : ما منًّا من أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : « **لَيسَ كَمَا تَظُنُّونَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان : ١٣] .

والثاني : أنه سائر أنواع الظلم .

ومن قال بهذا اختلفوا في عمومها وخصوصها على قولين :

أحدهما : أنها عامة(١٣٥) .

والثاني : أنها خاصة .

واختلف من قال بتخصيصها فيمن نزلت على قولين :

أحدهما : أن هذه الآية نزلت في إبراهيم خاصة وليس لهذه الأمة منها شيء ، قاله علي كرّم الله وجهه(١٣٦) .

والثاني : أنها فيمن هاجر إلى المدينة ، قاله عكرمة .

---

(١٣٤) رواه الطبري برقم ١٣٤٧٩ واللفظ له وأحمد (٤٢٤٠) ورواه البخاري (٨١/١) بنحوه ومسلم (١٤٢/٢) والترمذي (١٣٢/٢) من حديث ابن مسعود وله طرق كثيرة في المسند فراجعه رقم ٣٥٨٩ ، ٤٠٣١ ، ٤٢٤٠ .

(١٣٥) ولا ريب أنه القول الراجح إذ لا دليل على التخصيص .

(١٣٦) وفي قول آخر له رضي الله عنه هذه الآية لإبراهيم وأصحابه كما في زاد المسير (٧٧/٣) قلت وقد روى هذه الرواية الحاكم في المستدرك (٣١٦/٢) وصححها وقد ضعّف هذه الرواية والتي ذكرها المؤلف هنا في الطبري (٥٠٣/١١) الشيخ شاكر فراجعه .

واختلفوا فيمن كانت هذه الآية جواباً منه على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه جواب من الله تعالى فصل به القضاء بين إبراهيم ومن حَاجّه من قومه ، قاله ابن زيد ، وابن إسحاق .

والثاني : أنه جواب قومه لما سألهم ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾؟ فأجابوا بما فيه الحجة عليهم ، قاله ابن جريج .

والثالث : أنه جواب إبراهيم كما يسأل العالم نفسه فيجيبها ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : ﴿ وَتَلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ وفي هذه الحجة التي أوتيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : قوله لهم : ﴿ أَتَعْبُدونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُم ضَراً وَلاَ نَفْعاً ﴾ أم تعبدون من يملك الضر والنفع ؟ فقالوا : مالك الضر والنفع أحق .

والثاني : أنه لما قال : ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾ عبادة إله واحد أم آلهة شتىٰ ؟ فقالوا : عبادة إلٰه واحد فأقروا على أنفسهم .

والثالث : أنهم لما قالوا لإبراهيم ألا تخاف أن تخبلك آلهتنا ؟ فقال : أما تخافون أن تخبلكم آلهتكم بجمعكم للصغير مع الكبير في العبادة .

واختلفوا في سبب ظهور الحُجَّة لإبراهيم على قولين :

أحدهما : أن الله تعالى أخطرها بباله حتى استخرجها بفكره .

والثاني : أنه أمره بها ولقنه إياها .

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَشَاءُ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : عند الله بالوصول لمعرفته .

والثاني : على الخلق بالاصطفاء لرسالته .

والثالث : بالسخاء .

والرابع : بحسن الخلق .

وفيه تقديم وتأخير ، وتقديره : نرفع من نشاء درجات .

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾
ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ
فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ
فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . **فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ** ﴾ فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار ، قاله الضحاك .

والثاني : فإن يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة ، قاله ابن عباس .

والثالث : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الملائكة ، قاله أبو رجاء .

والرابع(١٣٧): أنهم الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم الله تعالى من قبل بقوله : ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ** ﴾ ، قاله الحسن ، وقتادة .

والخامس : أنهم كل المؤمنين ، قاله بعض المتأخرين .

ومعنى قوله : ﴿ **فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا** ﴾ أي أقمنا بحفظها ونصرتها ، يعني : كتب الله وشريعة دينه .

---

(١٣٧) وهذا القول اختيار الزجاج كما في زاد المسير (٣/٨١) والطبري (١١/٥١٨) والشوكاني (٢/١٣٧) والبيضاوي (ص ١٨٣) والزمخشري (٢/٢٦) .

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : وما عظموه حق عظمته ، قاله الحسن ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : وما عرفوه حق معرفته ، قاله أبو عبيدة .

والثالث : وما وصفوه حق صفته ، قاله الخليل .

والرابع : وما آمنوا بأن الله على كل شيء قدير ، قاله ابن عباس .

﴿ **إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ** ﴾ يعني من كتاب من السماء .

وفي هذا الكتاب الذي أنكروا نزوله قولان :

أحدهما : أنه التوراة ، أنكر حبر اليهود فيما أنزل منها ما روي أن النبي(١٣٨) ﷺ رأى هذا الحبر اليهودي سميناً ، فقال له : « **أَمَا تَقْرَءُونَ فِي التَّوراةِ : أَنَّ اللَّه يَبْغَضُ الحَبْرَ السَّمِينَ** » ، فغضب من ذلك وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فتبرأت منه اليهود ولعنته ، حكاه ابن بحر .

والقول الثاني : أنه القرآن أنكروه رداً لأن يكون القرآن مُنَزَّلاً .

وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما : قريش .

والثاني : اليهود .

فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ** ﴾ يعني التوراة لاعترافهم بنزولها .

---

(١٣٨) وهذا الأثر من مرسلات سعيد بن جبير كما رواه الطبري (٢٦٧/٧) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٣١٤/٣) .

ثم قال : ﴿ نُوراً وَهُدىً لِّلنَّاسِ ﴾ لأن المنزل من السماء لا يكون إلا نوراً وهدىً .

ثم قال : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ يعني أنهم يخفون ما في كتابهم من نبوة محمد ﷺ ، وصفته وصحة رسالته .

قوله عز وجل : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ يعني القرآن ، وفي ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه العظيم البركة لما فيه من الاستشهاد به .

والثاني : لما فيه من زيادة البيان لأن البركة هي الزيادة .

والثالث : أن المبارك الثابت .

﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : الكتب التي قبله من التوراة ، والإنجيل ، وغيرهما ، قاله الحسن البصري .

والثاني : النشأة الثانية ، قاله علي بن عيسىٰ .

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني أهل أم القرى ، فحذف ذكر الأهل إيجازاً كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف : ٨٢].

و ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ مكة وفي تسميتها بذلك أربعة أقاويل : ـ

أحدها : لأنها مجتمع القرىٰ ، كما يجتمع الأولاد إلى الأم .

والثاني : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرىٰ نشأت عنها ، قاله السدي .

والثالث : لأنها معظمة كتعظيم الأم ، قاله الزجاج .

والرابع : لأن الناس يؤمونها من كل جانب ، أي يقصدونها .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾(١٣٩) قال ابن عباس : هم أهل الأرض كلها .

---

(١٣٩) وفي هذا النص الدليل القاطع على أن النبي ﷺ مبعوث للعرب والعجم وأهل الأرض جميعاً خلافاً لما ذهب إليه اليهود ومن تبعهم من أصحاب الأقلام المسمومة ممن يرشح النفاق من ألسنتهم على صفحات الجرائد والمجلات فتباً لهم وأضل أعمالهم .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ وفيما ترجع إليه هذه الكناية قولان :

أحدهما : إلى الكتاب ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بهذا الكتاب ، قاله الكلبي .

والثاني : إلى محمد ﷺ ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بمحمد ﷺ لِمَا قد أظهر الله تعالى من معجزته وأبَانَه الله من صدقه ، قاله الفراء .

فإن قيل : فيمن يؤمن بالآخرة من أهل الكتاب لا يؤمنون به ؟ قيل : لا اعتبار لإيمانهم بها لتقصيرهم في حقها ، فصاروا بمثابة من لم يؤمن بها .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيهِ شَيْءٌ ﴾ فيمن نزل فيه ذلك قولان :

أحدهما : أنه مسيلمة الكذاب ، قاله عكرمة .

والثاني : مسيلمة والعنسي ، قاله قتادة(١٤٠).

وقد روى معمر عن الزهري أن النبي ﷺ قال : « بَيْنَا(١٤١) أَنَا نَائِمٌ رَأَيتُ كَأَنَّ

---

(١٤٠) ولا ريب أن هذه الآية يدخل فيها كل مدعي النبوة من الدجالين الذين يزعمون أنهم يوحى إليهم فكن على حذر منهم .

(١٤١) والحديث هنا مرسل لكنه موصول وصحيح الإسناد فقد رواه البخاري (٨/٦٩ ، ٧٠) ومسلم (١٥/٣٤) وأما المرسل الذي ذكره المؤلف هنا فرواه الطبري برقم ١٣٥٥٩ .

فِي يَدَيَّ سُوَارَيْنِ مِن ذَهبٍ ، فَكَبُرَ عليَّ ، فَأُوحِي إِلَيَّ أَنْ أَنْفُخَهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا ، فَأَوَّلْتُ ذٰلِكَ كَذَّابَ اليَمَامَةِ وَكَذَّابَ صَنْعَاءَ العَنسِي » .

﴿ **وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة .

والثاني : أنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، قاله السدي ، قال الفراء : كان يكتب للنبي ﷺ فإذا قال النبي : ﴿ **غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ كتب ﴿ **سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ و ﴿ **عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ فيقول له النبي ﷺ : « **هُمَا سَوَاء** » حتى أملى عليه ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **خَلْقاً أَخَرَ** ﴾ فقال ابن أبي السرح : ﴿ **فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ** ﴾ تعجباً من تفصيل خلق الإنسان ، فقال النبي ﷺ : « **هٰكَذَا نَزَلَتْ** » ، فشك وارتد[١٤٢] .

والثالث : ما حكاه الحكم عن عكرمة : أنها نزلت في النضر بن الحارث ، لأنه عارض القرآن ، لأنه قال : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، فاللاقمات لقماً .

وفي قوله : ﴿ **وَٱلْمَلَآئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ قولان :

أحدهما : باسطو أيديهم بالعذاب ، قاله الحسن ، والضحاك .

والثاني : باسطو أيديهم لقبض الأرواح من الأجساد ، قاله الفراء .

ويحتمل ثالثاً : باسطو أيديهم بصحائف الأعمال .

﴿ **أَخْرِجُوٓاْ أَنْفُسَكُمُ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما : من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم ، وإن كان إخراجها من فعل غيرهم[١٤٣] .

---

(١٤٢) رواه الطبري (١١ / ٥٣٤) بسنده عن السدي مطولاً ومن قول عكرمة أيضاً رقم (٣٥٥٥) بنحوه.

(١٤٣) قال الزمخشري في كشافه (٢ /٢٨) « وهذه كناية عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإرهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إليّ ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك » .

والثاني : أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم ، تقريعاً لهم وتوبيخاً بظلم أنفسهم ، قاله الحسن .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون معناه خلصوا أنفسكم بالاحتجاج عنها فيما فعلتم .

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ والهون بالضم الهوان ، قاله ذو الأصبع العدواني :

أذهب إليك أمي براعية ترعى المخاض ولا أغضي على الهون

وأما الهَوْن بالفتح فهو الرفق ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً ﴾ يعني برفق وسكينة ، قال الراجز(١٤٤):

هونكما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن أسى في أثر من ماتا

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الفرادى الوحدان ، ويحتمل وجهين :

أحدهما : فرادى من الأعوان .

والثاني : فرادى من الأموال(١٤٥).

﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ يعني ما ملكناكم من الأموال ، والتخويل تمليك المال ، قال أبو النجم(١٤٦):

أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول

﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُم شُفعاءَكُمُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : آلهتهم التي كانوا يعبدونها ، قاله الكلبي .

والثاني : الملائكة الذين كانوا يعتقدون شفاعتهم ، قاله مقاتل .

---

(١٤٤) الشاعر هو ذو وجدن الحميري والبيت هنا في سيرة ابن هشام ٣٩/١ وتاريخ الطبري (١٠٧/٢) ومعجم ما استعجم ١٣٩٨ واللسان هون والأغاني (٧٠/١٦) والطبري (٥٤١/١١) والبيت في الطبري الشطر الثاني فيه لا تهلكا أسفاً في أثر من فاتا وهو الصواب وما هنا خطأ .

(١٤٥) ولا تنافي بين القولين فإنهم يأتون يوم القيامة مجردين من المال والخدم والأعوان وهذا توبيخ لهم لأنهم شغلوا بهذه الأشياء عن الآخرة في الدنيا .

(١٤٦) الطبري (٥٤٥/١١) والبيت من قصيدة لامية لأبي النجم في كتاب الطرائف كما قال الشيخ أحمد شاكر .

﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني شفعاء ، قاله الكلبي .

والثاني : أي متحملين عنكم تحمل الشركاء عن الشركاء .

﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تفرق جمعكم في الآخرة .

والثاني : ذهب تواصلكم في الدنيا ، قاله مجاهد .

ومن قرأ ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ بالفتح ، فمعناه تقطع الأمر بينكم .

﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من عدم البعث والجزاء .

والثاني : من شفعائكم عند الله .

فإن قيل : فقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ خبر عن ماض ، والمقصود منه الاستقبال ؟

فعن ذلك جوابان :

أحدهما : أنه يقال لهم ذلك في الآخرة فهو على الظاهر إخبار .

والثاني : أنه لتحققه بمنزلة ما كان ، فجاز ، وإن كان مستقبلاً أن يعبر عنه بالماضي .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ
لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ ... فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني فالق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد .

والثاني : أن الفلق الشق الذي فيهما ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه يعني خالق الحب والنوى ، قاله ابن عباس .

وذكر بعض أصحاب الغوامض قولاً رابعاً : أنه مُظْهِرُ ما في حبة القلب من الإخلاص ، والرياء(١٤٧).

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : يخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، والنخلة الحية من النواة الميتة ، ويعني بإخراج الميت من الحي أن يخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، والنواة الميتة من النخلة الحية ، قاله السدي .

والثاني : أن يخرج الإنسان من النطفة ، والنطفة من الإنسان ، قاله ابن عباس .

والثالث : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، قاله الحسن .

وقد ذكرنا فيه احتمالاً ، أنه يخرج الفَطِن الجَلْد من البليد العاجز ، ويخرج البليد العاجز من الفَطِن الجَلْد .

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ أي تصرفون عن الحق .

﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : فالق الإصباح ، قاله قتادة(١٤٨).

والثاني : أنه إضاءة الفجر ، قاله مجاهد .

والثالث : أن معناه خالق نور النهار ، وهذا قول الضحاك .

والرابع : أن الإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل ، قاله ابن عباس .

﴿ وَجَعَلَ ٱللَّيلَ سَكَناً ﴾ فيه قولان :

---

(١٤٧) ولا وجه لهذا الذي قاله بعض أرباب الغوامض وكان ينبغي أن يتعقب المؤلف قبل هذا التفسير كما تعقب غيره .

(١٤٨) والذي في الطبري عن قتادة (١١/٥٥٥) فالق الصبح وكذا هو في الدر (٣/٣٢٥) من رواية عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

أحدهما : أنه سُمِّي سكناً لأن كل متحرك بالنهار يسكن فيه .

والثاني : لأن كل حي يأوي فيه إلى مسكنه .

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : معناه يجريان في منازلهما بحساب وبرهان فيه بدء ورد إلى زيادة ونقصان ، قاله ابن عباس والسدي .

والثاني : أي جعلهما سبباً لمعرفة حساب الشهور والأعوام .

والثالث : أي جعل الشمس والقمر ضياء ، قاله قتادة ، وكأنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الكهف: ٤٠] قال : ناراً .

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني آدم عليه السلام .

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ فيه ستة تأويلات(١٤٩):

أحدها : فمستقر في الأرض ومستودع في الأصلاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : فمستقر في الرحم ومستودع في القبر ، قاله ابن مسعود .

والثالث : فمستقر في أرحام النساء ومستودع في أصلاب الرجال ، قاله عطاء ، وقتادة(١٥٠).

---

(١٤٩) وأوصلها ابن الجوزي في زاد المسير إلى تسعة أقوال (٣/٩٢) .

(١٥٠) وهو قول لابن عباس ومجاهد والضحاك والنخعي والسدي وابن زيد وسعيد بن جبير راجع زاد المسير (٣/٩٢) .

والرابع : فمستقر في الدنيا ومستودع في الآخرة ، قاله مجاهد .

والخامس : فمستقر في الأرض ومستودع في القبر ، قاله الحسن .

والسادس : أن المستقر ما خُلِق ، والمستودع ما لم يُخلق ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : معناه رزق كل شيء من الحيوان .

والثاني : نبات كل شيء من الثمار .

﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً ﴾ يعني زرعاً أخضر رطباً بخلاف صفته عند بذره .

﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً ﴾ يعني السنبل الذي قد تراكب حبه .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ القنوان جمع قنو وفيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه الطلع ، قاله الضحاك .

والثاني : أنه الجمار .

والثالث : هي الأعذاق ، قال امرؤ القيس[١٥١]

أثت أعاليه وآدت أصوله   ومال بقنوان من البسر أحمرا

﴿ دَانِيَةٌ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : دانية من المجتني لقصر نخلها وقرب تناولها ، قاله ابن عباس .

والثاني : دانية بعضها من بعض لتقاربها ، قاله الحسن[١٥٢].

﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ يعني بساتين من أعناب .

﴿ مُشْتَبِهاً وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره ، قاله قتادة .

---

(١٥١) ديوانه ٦٧ واللسان (قنا).

(١٥٢) وهذا القول يكاد يكون مثل الأول فإنه بمعناه .

والثاني : مشتبهاً لونه مختلفاً طعمه ، قاله الكلبي .

﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالضم[١٥٣]، وقرأ الباقون بالفتح ، وفي اختلافه بالضم والفتح قولان :

أحدهما : أن الثُّمُر بالضم جمع ثمار ، وبالفتح جمع ثمرة ، قاله علي بن عيسىٰ .

والثاني : أن الثُّمُر بالضم : المال ، وبالفتح : ثمر النخل ، قاله مجاهد ، وأبو جعفر الطبري[١٥٤].

﴿ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ يعني نضجه وبلوغه .

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن المجوس نسبت الشر إلى إبليس ، وتجعله بذلك شريكاً لله .

والثاني : أن مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله وشركاء له ، قاله قتادة ، والسدي ، وابن زيد كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ فَسَمَّىٰ الملائكة لاختفائهم عن العيون جنة .

والثالث : أنهم أطاعوا الشيطان في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة ، قاله الحسن ، والزجاج .

﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه خلقهم بلا شريك [له]، فَلِمَ جعلوا له في العبادة شريكاً ؟ .

والثاني : أنه خلق من جعلوه شريكاً فكيف صار في العبادة شريكاً .

---

(١٥٣) وهي قراءة خلف أيضا راجع المبسوط في القراءات العشر ص ١٩٩ .

(١٥٤) وقد اختار قراءة الضم وقال (١١ / ٥٧٩) وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ « أنظروا إلى ثُمُرِهِ» بضم الثاء والميم ، ثم شرع يؤيد ما ذهب إليه فراجعه .

وقرأ يحيى بن يعمر ﴿ وَخَلْقَهُمْ ﴾ بتسكين اللام ، ومعناه أنهم جعلوا خلقهم الذي صنعوه بأيديهم من الأصنام لله شريكاً .

﴿ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ في خرقوا قراءتان بالتخفيف والتشديد[١٥٥]، وفيه قولان :

أحدهما : أن معنى خرقوا كذبوا ، قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد .

والثاني : معناه وخلقوا له بنين وبنات ، والخلق والخرق واحد ، قاله الفراء .

والقول الثاني : أن معنى القراءتين مختلف ، وفي اختلافهما قولان :

أحدهما : أنها بالتشديد على التكثير .

والثاني : أن معناها بالتخفيف كذبوا ، وبالتشديد اختلفوا .

والبنون قول النصارىٰ في المسيح أنه ابن الله ، وقول اليهود أن عزيراً ابن الله .

والبنات قول مشركي العرب في الملائكة أنهم بنات الله .

﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بغير علم منهم أن له بنين وبنات .

والثاني : بغير حجة تدلهم على أن له بنين وبنات .

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ فيه لأهل التأويل خمسة أقاويل :

(١٥٥) هي قراءة أبي جعفر ونافع كما في المبسوط . ص ١٩٩ .

أحدها : معناه لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بالأبصار ، واعتـل قائـل هذا بقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ فوصف الله الغرق بأنـه أدرك فرعـون ، وليس الغرق موصوفاً بالرؤية ، كذلك الإدراك هنا ، وليس ذلك بمانع من الرؤية(١٥٦) بالإبصار ، غير أن هذا اللفظ لا يقتضيـه وإن دل عليه قـوله : ﴿ وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ نَّاضِـرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

والقـول الثاني : معنـاه لا تراه الأبصـار وهو يـرىٰ الأبصار(١٥٧)، واعتـل قائلو ذلك بأمرين :

أحدهما : أن الأبصار ترى ما بينها ولا ترى ما لاصقـها، وما بين البصر فلا بد أن يكون بينهما فضاء ، فلو رأته الأبصار لكان محدوداً ولخلا منه مكان(١٥٨)، وهذه صفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان .

والثـاني : أن الأبصار تـدرك الألوان كمـا أن السمع يـدرك الأصـوات ، فلمـا امتنع أن يكون ذا لون امتنع أن يكـون مرئيـاً ، كما أن مـا امتنع أن يكـون ذا صوت امتنع أن يكون مسموعاً .

والقول الثالث : لا تدركه أبصار الخلق في الدنيا بدليـل قولـه : ﴿ لَّا تُدْرِكُـهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وتدركه في الآخرة بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وهـو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة.

والـرابع : لا تـدركه أبصـار الظالمين في الـدنيـا والآخـرة ، وتـدركـه أبصـار المؤمنين ، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة ، لأن الإدراك لـه كرامـة تنتفي عن أهل المعاصي .

---

(١٥٦) والأولى أن يقال إن الإدراك هو الرؤيا على جهة الإحاطة فهذه هي التي نفاهـا الـرب تبارك وتعـالى هنا فهو سبحانه يُرى ولكن لا يحاط به بصر كما أن العباد يعلمونه ولا يحيـطون به علمـاً وقد فـرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فقال « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون » راجع تفسير الطبري (١٤/١٢ ، ١٠).

(١٥٧) وهذا القول كله منقول من الطبري (١٦/١٢ ، ١٧).

(١٥٨) وهذه في الحقيقة فلسفة عقيمة ولولوات لا طائل تحتها وكلها طـريقة أهـل الكلام المـذمومـة الذين أعرضوا عن الأدلة النقلية وركنوا إلى العقول واعتمدوا عليها كأصول يأخذون منها العقيدة وردوا كثيـراً من الأحاديث بسبب هذا الأصل الذي اعتمدوه .

والقول الخامس : أن الأبصار لا تدركه في الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه حاسة سادسة سوىٰ حواسهم الخمس يرونه بها ، اعتِلَالاً بأن الله أخبر برؤيته ، فلو جاز أن يُرَىٰ في الآخرة بهذه الأبصار وإن زِيْدَ في قواها جاز أن يرى بها في الدنيا وإن ضعفت قواها بأضعف من رؤية الآخرة ، لأن ما خُلِقَ لإدراك شيء لا يُعْدَمُ إدراكه ، وإنما يختلف الإدراك بحسب اختلاف القوة والضعف ، فلما كان هذا مانعاً من الإدراك ـ وقد أخبر الله تعالى بإدراكه ـ اقتضى أن يكون ما أخبر به حقاً لا يدفع بالشبه ، وذلك بخلق حاسة أخرى يقع بها الإدراك .

ثم قال : ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ فاحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما : لطيف بعباده في الإنعام عليهم ، خبير بمصالحهم .

والثاني : لطيف في التدبير خبير بالحكمة .

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الأيَاتِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يتلو بعضها بعضاً فلا ينقطع التنزيل .

والثاني : أن الآية تنصرف في معان متغايرة مبالغة في الإعجاز ومباينة لكلام البشر .

والثالث : أنه اختلاف ما تضمنها من الوعد والوعيد والأمر والنهي ، ليكون أبلغ في الزجر ، وأدعى إلى الإجابة ، وأجمع للمصلحة .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ وفي الكلام حذف ، وتقديره : ولئلا يقولوا درست ، فحذف ذلك إيجازاً كقوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء: ١٦٧] أي لئلا تضلوا.

وفي ﴿ دَرَسْتَ ﴾ خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها :

إحداهن : ﴿ دَرَسْتَ ﴾ بمعنى قرأت[١٥٩] وتعلمت ، تقول ذلك قريش للنبي ﷺ ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وهي قراءة حمزة ، والكسائي .

والثانية : ﴿ دَارَسْتَ ﴾ بمعنى ذاكرت وقارأت ، قاله مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومروي عن ابن عباس ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو .

وفيها على هذه القراءة تأويل ثانٍ : أنها بمعنى خاصمت وجادلت .

والثالثة : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ بتسكين التاء[١٦٠] بمعنى انمحت وتقادمت ، قاله ابن الزبير ، والحسن ، وهي قراءة ابن عامر .

والرابعة : ﴿ دُرِسَتْ ﴾ بضم الدال[١٦١] لما لم يسم فاعله تليت وقرئت ، قاله قتادة .

والخامسة : ﴿ دَرَسَ ﴾ بمعنى قرأ[١٦٢] النبي ﷺ وتلا ، وهذا حرف أبي بن كعب ، وابن مسعود[١٦٣] .

﴿ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لقوم يعقلون .

والثاني : يعلمون وجوه البيان وإن لم يعلموا المبين .

ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ
شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا
تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا

---

(١٥٩) وهي قراءة نافع وابن جعفر وعاصم وخلف بجزم السين وفتح التاء المبسوطة ص ٢٠٠ .

(١٦٠) وهي قراءة يعقوب ص ٢٠٠ .

(١٦١) وهي قراءة ابن يعمر كما في زاد المسير (٣/١٠١) .

(١٦٢) وفيها قراءة اخرى برفع الدال وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين هكذا دُرِّسْت وهي قراءة معاذ القاري وأبي العالية زاد المسير (٣/١٠١) .

(١٦٣) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٠١) طلحة بن مصرف وقال وروى عصمة عن الأعمش « دارس » بألف .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعني اعتداء ، وقرأ أهل مكة عَدُوّاً(١٦٤) بالتشديد بمعنى أنهم اتخذوه عدوّاً . وفيه قولان :

أحدهما : لا تسبوا الأصنام فتسب عبدة الأصنام من يسبها ، قاله السدي .

والثاني : لا تسبوها فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سَبَبْتم ما يعبدون .

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : كما زينا لكم فعل ما أمرناكم به من الطاعات كذلك زينا لمن تقدم من المؤمنين فعل ما أمرناهم به من الطاعات ، قاله الحسن .

والثاني : كذلك شبهنا لكل أهل دين عملهم بالشبهات ابتلاء لهم حتى قادهم الهوىٰ إليها وعَمُوا عن الرشد فيها .

والثالث : كما أوضحنا لكم الحِجج الدالة على الحق كذلك أوضحنا لمن قبلكم من حِجج الحق مثل ما أوضحنا لكم .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ هؤلاء قوم من مشركي أهل مكة حلفوا بالله لرسوله ﷺ لئن جاءتهم آية اقترحوها ليؤمنن بها ، قال ابن جريج : هم المستهزئون .

واختلف في الآية التي اقترحوها على ثلاثة أقاويل :

---

(١٦٤) وهي قراءة بضم العين والدال وتشديد الواو « عُدُوّا » وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة كما في المبسوط للأصبهاني ص ٢٠٠ .

أحدها : أن تجعل لنا الصفا ذهباً .

والثاني : ما ذكره الله في آخر : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ﴾ إلى قوله : ﴿ كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ فأمر الله نبيه حين أقسموا له أن يقول لهم ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

والثالث : أنه لما نزل قوله تعالى في الشعراء : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ قال المشركون : أنزلها علينا حتى نؤمن بها إن كنت من الصادقين ، فقال المؤمنون : يا رسول الله أنزلها عليهم ليؤمنوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله الكلبي :

وليس يجب على الله إجابتهم إلى اقتراحهم لا سيما إذا علم أنهم لا يؤمنون بها ، واختلف في وجوبها عليه إذا علم إيمانهم بها على قولين(١٦٥) وقد أخبر أنهم لا يؤمنون بقوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا من الله عقوبة لهم ، وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها عقوبة من الله في الآخرة يقلبها في النار .

والثاني : في الدنيا بالحيرة حتى يزعج النفس ويغمها .

والثالث : معناه أننا نحيط علماً بذات الصدور وخائنة الأعين منهم .

وفي قوله : ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ تأويلان :

أحدهما : أول مرة جاءتهم الآيات .

والثاني : أن الأول أحوالهم في الدنيا كلها ، ثم أكد الله تعالى حال عنتهم .

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

---

(١٦٥) والصواب أنه لا يجب على الرب شيء إلا ما أوجبه على ذاته هو تفضلاً منه وإحساناً .

فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ فيه قراءاتان:

إحداهما: ﴿قِبَلا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، قرأ بها نافع، وابن عامر، ومعنى ذلك معاينة ومجاهرة، قاله ابن عباس وقتادة.

والقراءة الثانية: بضم القاف والباء وهي قراءة الباقين، وفي تأويلها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن القُبُل جمع قبيل وهو الكفيل، فيكون معنى ﴿قُبُلًا﴾ أي كُفَلاء.

والثاني: أن معنى ذلك قبيلة قبيلة وصفاً صفاً، قاله مجاهد.

والثالث: معناه مقابلة، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

ثم قال: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ يعني بهذه الآيات مع ما اقترحوها من قبل.

ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن يعينهم عليه.

والثاني: إلا أن يشاء أن يجبرهم عليه، قاله الحسن البصري.

ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يجهلون فيما يقترحونه من الآيات.

والثاني: يجهلون أنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا لم يؤمنوا طوعاً.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي جعلنا للأنبياء أعداء كما جعلنا لغيرهم من الناس أعداء.

وفي ﴿جَعَلْنَا﴾ وجهان:

أحدهما: معناه حكمنا بأنهم أعداء(١٦٦).

والثاني: معناه تركناهم على العداوة، فلم نمنعهم منها.

وفي ﴿شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني شياطين الإنس الذين مع الإنس، وشياطين الجن الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسدي(١٦٧).

والثاني: شياطين الإنس كفارهم، وشياطين الجن كفارهم، قاله مجاهد.

والثالث: أن شياطين الإنس والجن مردتهم، قاله الحسن، وقتادة.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ في يوحي ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني يوسوس بعضهم بعضاً.

والثاني: يشير بعضهم إلى بعض، فعبر عن الإشارة بالوحي كقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

و ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما زينوه لهم من الشبه في الكفر وارتكاب المعاصي.

والثالث: يأمر بعضهم بعضاً كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] أي أمر..

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما فعلوه من الكفر.

والثاني: ما فعلوا من زخرف القول.

وفي تركهم على ذلك قولان:

أحدهما: ابتلاء لهم وتمييزاً للمؤمنين منهم.

والثاني: لا يلجئهم إلى الإيمان فيزول التكليف.

---

(١٦٦) وهذا القول من تأويلات المعتزله وكذا الثاني والصواب أن الآية حجة لأهل السنة في أن الله تعالى خالق الشر كما أنه خالق الخير وأن الشر في مفعولاته لا في أفعاله إنما سمي الشر شراً لانقطاع نسبته إليه راجع شفاء العليل ص ١٧٨ وما بعدها وروح المعاني (٨/٥٢٤).

(١٦٧) وقد تعقب هذا القول العلامة ابن جرير (١٢/٥٢) وقال «وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ثم شرع في الرد عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي تميل إليه قلوبهم، والإصغاء: الميل، قال الشاعر: (١٦٨)

تـرى السفيه بـه عن كـل محكمـة   زيـغ وفيـه إلى التشبيـه إصغـاء

وتقدير الكلام: يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ليغروهم ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وقال قوم: بل هي لام أمر ومعناها الخبر.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأن من مَالَ قلبه إلى شيء رضيه وإن لم يكن مرضياً.

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وليكتسبوا من الشرك والمعاصي ما هم مكتسبون، قاله جويبر.

والثاني: وليكذبوا على الله ورسوله ما هم كاذبون، وهو محتمل.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله حتىٰ أعدل عنه.

والثاني: هل يجوز لأحد أن يحكم مع الله حتىٰ أحتكم إليه.

والفرق بين الحَكَم والحَاكِم، أن الحَكَمَ هو الذي يكون أهلاً للحُكْم فلا يَحْكُمُ إلا بحق، والحَاكِمُ قد يكون من غير أهله فَيَحْكُمُ بغير حق، فصار الحَكَم من صفات ذاته، والحَاكِم من صفات فعله، فكان الحَكَم أبلغ في المدح من الحَاكِم.

(١٦٨) الطبري (٥٨/١٢) والقرطبي (٦٩/٧) واللسان (صغا) وتفسير ابن حبان (٢٠٥/٤) وفي القرطبي واللسان «عن كل مكرمة» وقال محقق الطبري والصواب ما في ابن جرير.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ في المفصَّل أربعة تأويلات:

أحدها: تفصيل آياته لتبيان معانيه فلا تُشْكِل.

والثاني: تفصيل الصادق من الكاذب.

والثالث: تفصيل الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال، قاله الحسن.

والرابع: تفصيل الأمر من النهي، والمستحب من المحظور، والحلال من الحرام.

وسبب نزول هذه الآية أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حَكَماً إن شئت من أحبار اليهود وإن شئت من أحبار النصارىٰ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت عليه هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ يعني القرآن، وفي تمامه أربعة أوجه محتملة:

أحدها: تمام حُجَجِهِ ودلائله.

والثاني: تمام أحكامه وأوامره.

والثالث: تمام إنذاره بالوعد والوعيد.

والرابع: تمام كلامه واستكمال صوره.

وفي قوله: ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ وجهان:

أحدهما: صدقاً في وعده ووعيده، وعدلاً في أمره ونهيه، قاله ابن بحر.

والثاني: صدقاً فيما حكاه، عدلاً فيما قضاه، وهو معنى قول قتادة.

وقد مضى تفسير ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ
وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ
مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا

حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ فيه أربعة تأويلات.

أحدها: سره وعلانيته، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: ظاهر الإثم: ما حرم من نكاح ذوات المحارم بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ الآية. وباطنه الزِّنى، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أن ظاهر الإثم أُوْلَات الرايات[١٦٩] من الزواني، والباطن ذوات الأخدان، لأنهن كُنَّ يستحللنه سراً، قاله السدي، والضحاك.

والرابع: أن ظاهر الإثم العِرية[١٧٠] التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت عراة، وباطنه الزِّنىٰ، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: أن ظاهر الإثم ما يفعله بالجوارح، وباطنه ما يعتقده بالقلب.

وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: المراد بها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء.

والثاني: أنها الميتة، قاله ابن عباس.

والثالث: أنه صيد المشركين الذين لا يذكرون اسم الله، ولا هم من أهل التسمية، يَحْرُمُ على المسلمين أن يأكلوه حتىٰ يكونوا هم الذين صادوه، حكاه ابن بحر.

---

(١٦٩) وأولات الرايات هن البغايا اللاتي كن في الجاهلية يضعن الرايات على بيوتهن يعرفن بها أنهن زواني حتى يرتكب الرجال معهن الفحشاء.

(١٧٠) وضبطها العُرْية بضم العين وسكون الراء مصدر «عرى يعرى عرياً وعرية».

والرابع: أنه ما لم يُسَمَّ اللَّهُ عند ذبحه.

وفي تحريم أكله ثلاثة أقاويل:

أحدها: لا يحرم [سواء] تركها عامداً أو ناسياً، قاله الحسن، والشافعي.

والثاني: يحرم إن تركها عامداً، ولا يحرم إن تركها ناسياً، قاله أبو حنيفة.

والثالث: يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً، قاله ابن سيرين، وداود.

﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن المراد به المعصية، قاله ابن عباس.

والثاني: المراد به الإثم.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ يعني المجادلة في الذبيحة، وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى بالشياطين قوماً من أهل فارس كتبوا إلى أوليائهم من قريش أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، ولا يأكلون ما ذبح الله يعني الميتة، ويأكلون ما ذبحوه لأنفسهم، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، قاله عكرمة.

والثاني: أن الشياطين قالوا ذلك لأوليائهم من قريش، قاله ابن عباس.

والثالث: أن قوماً من اليهود قالوا ذلك للنبي ﷺ، وهذا مروي عن ابن عباس.

وفي وحيهم إليهم وجهان:

أحدهما: أنها إشارتهم.

والثاني: رسالتهم.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يعني في أكل الميتة، إنكم لمشركون إن استحللتموها(١٧١).

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(١٧١) قال العلامه الآلوسي(١٧/٨) قوله «إن أطعتموهم» في استحلال الحرام «إنكم لمشركون» ضرورة أن من ترك طاعة الله تعالى إلى طاعة غيره واستحل الحرام واتبعه في دينه فقد أشركه به تعالى بل آثره عليه سبحانه.

قوله عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كان ميتاً حين كان نطفة فأحييناه بنفخ الروح [فيه]، حكاه ابن بحر.

والثاني: كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالهداية إلى الإيمان، حكاه ابن عيسى.

والثالث: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم، أنشدني بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءا لم يحيى بالعلم ميت فليس له حتى النشور نشور

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن النور القرآن، قاله الحسن.

والثاني: أنه العلم الذي يهدي إلى الرشد.

والثالث: أنه حُسْنُ الإيمان.

وقوله: ﴿يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ينشر به ذكر دينه بين الناس في الدنيا حتى يصير كالماشي.

والثاني: يهتدي به بين الناس إلى الجنة فيكون هو الماشي.

﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الظلمات الكفر.

والثاني: الجهل، وشبهه بالظلمة لأن صاحبه في حيرة تفضي به إلى الهلكة كحيرة الماشي في الظلمة.

واختلفوا في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها على العموم في كل مؤمن وكافر، قاله الحسن وغيره من أهل العلم.

والثاني: أنها على الخصوص في مُعَيَّن.

وفيمن تعين نزول ذلك فيه قولان:

أحدهما: أن المؤمن عمر بن الخطاب، والكافر أبو جهل، قاله الضحاك، ومقاتل.

والثاني: أن المؤمن عمار بن ياسر، والكافر أبو جهل، قاله عكرمة، والكلبي.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ يعني علامة تدل على صدق النبي ﷺ وصحة رسالته.

﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لن نؤمن بالآية.

والثاني: لن نؤمن بالنبي ﷺ.

﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مثل ما أوتي رسل الله من الكرامة.

الثاني: مثل ما أوتوا من النبوة.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ قصد بذلك أمرين:

أحدهما: تفرد الله تعالى بعلم المصلحة فيمن يستحق الرسالة.

والثاني: الرد عليهم في سؤال ما لا يستحقونه، والمنع مما لا يجوز أن يسألوه.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الصَّغار: الذل سمي صَغاراً لأنه يصغر إلى الإنسان نفسه.

وفي قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: من عند الله، فحذف «من» إيجازاً.

والثاني: أن أنفتهم من اتباع الحق صَغار عند الله وذل إن كان عندهم تكبراً وعزاً، قاله الفراء.

والثالث: صَغار في الآخرة، قاله الزجاج.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يهديه إلى نيل الثواب واستحقاق الكرامة.

والثاني: يهديه إلى الدلائل المؤدية إلى الحق.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني بشرح الصدر سعته لدخول الإسلام إليه وثبوته فيه كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾. [الشرح: ١].

روى عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال(١٧٢): سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكْيس؟ قال: «أَكْثَرُهُم ذِكْراً لِلْمَوتِ وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَاداً».

قال: وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نُوْرٌ يُقْذَفُ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنفَسِحُ» قالوا: فهل لذلك أمارة يُعْرَفُ بها؟ قال: «الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرورِ وَالاسْتِعْدَادِ لِلْموتِ قَبْلَ لِقَاءِ المَوتِ»، وروى ابن مسعود مثل ذلك(١٧٣).

ثم قال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يضله عن الهداية إلى الحق.

والثاني: عن نيل الثواب واستحقاق الكرامة.

---

(١٧٢) رواه الطبري برقم ١٣٨٥٥ وسنده ضعيف جداً من أجل ابن جعفر واسمه عبد الله بن المسور قال الإمام أحمد فيه يضع ويكذب وضعفه أبو حاتم راجع الميزان (٢/٧٨) والجرح والتعديل (٢/٢/١٦٩) وقد ورد الحديث بنحوه من حديث ابن عمر ورواه ابن ماجه (٤٢٥٩) وسنده ضعيف أيضاً ومن حديث أنس بن مالك أخرجه رزين كما في جامع الأصول لابن الأثير (١١/٦٩٥).

(١٧٣) رواه ابن جرير (١٣٨٥٥) والحاكم (٤/٣١١) وزاد السيوطي في الدر (٣/٣٥٥) نسبته لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه واسنادا الطبري ضعيفان ففي الأول انقطاع وفي الثاني ضعيف راجع ما كتب في الحاشية (١٢/٩٩، ١٠٢) الطبري.

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ يعني ضيقاً لا يتسع لدخول الإسلام.

﴿حَرَجاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون شديد الصلابة حتى لا يثبت فيه شيء.

والثاني: شديد الضيق حتى لا يدخله شيء.

والثالث: أن موضعه مُبْيَض[١٧٤].

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: كأنه كُلِّف الصعود إلى السماء في امتناعه عليه وبعده منه.

والثاني: كأنه لا يجد مسلكاً لضيق المسالك عليه إلا صعوداً في السماء يعجز عنه.

والثالث: كأنه قلبه بالنبو عنه والنفور منه صاعداً إلى السماء.

والرابع: كأن قلبه يصعد إلى السماء بمشقته عليه وصعوبته عنده.

ثم قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى ٱلَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٧٥] في الرجس خمسة تأويلات:

أحدها: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

والثاني: أنه العذاب، قاله ابن زيد.

والثالث: السخط، قاله ابن بحر.

والرابع: أنه الشيطان، قاله ابن عباس.

والخامس: أن الرجس والنجس واحد، وهو قول بعض نحويي الكوفة، وحكاه عَلِيٌّ بن عيسى.

وقد روى قتادة عن أنس عن النبي ﷺ[١٧٦] أنه كان إذا دخل الخلاء قال:

---

(١٧٤) وفي نسخة والثالث أي شديد لا يثبت فيه «بدلاً من أن موضعه مبيض».

(١٧٥) قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (١٢١/٣) وهذه الآية تقطع كلام القدرية إذ قد صرحت بأن الهداية والاضلال متعلقة بإرادة الله تعالى.

(١٧٦) رواه الطبري (١١٢/١٢) وابن السني ص ٩ وفيه عنعنه الحسن وقتادة ورواه ابن ماجه (٢٩٩) من حديث أبي أمامة وفي سنده عبيد الله بن زهر وهو صدوق يخطىء وعلي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف ورواه ابن السني ص ١١ من حديث ابن عمر وفي سنده حبان بن علي العنزي وإسماعيل بن رافع وفيهما ضعف وللحديث شواهد كما قدم الحافظ ابن حجر راجع شرح ابن علان للأذكار.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ وَالنَّجَسِ الهَبِيثِ الخَبِيثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهَـٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾ قد ذكرنا أن الصراط هو الطريق، ومنه قول عامر بن الطفيل(*):

شحنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناهم أذل من الصراط

وفيه ها هنا قولان:

أحدهما: يريد أن الإسلام هو الصراط المستقيم إلى الله تعالىٰ، قاله الكلبي.

والثاني: يريد أن ما في القرآن من البيان هو الصراط المستقيم.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بيَّنا.

والثاني: ميَّزنا.

قوله عز وجل: ﴿لَهُم دَارُ ٱلسَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وهي الجنة، وفي تسميتها دار السلام وجهان:

أحدهما: لأنها دار السلامة الدائمة من كل آفة، قاله الزجاج.

والثاني: أن السلام هو الله، والجنة داره، فلذلك سُمِّيَتْ دار السلام، وهذا معنىٰ قول الحسن، والسدي.

وفي قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وجهان:

أحدهما: أن دار السلام عند ربهم في الآخرة لأنها أخص به.

والثاني: معناه أن لهم عند ربهم أن ينزلهم دار السلام.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وهو ناصرهم في الدنيا على إيمانهم.

والثاني: وهو المتولِّي لثوابهم في الآخرة على أعمالهم.

(*) تقدم تخريج هذا البيت وسيأتي عدة مرات.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ يعني يحشر الجن والإنس جميعاً يوم القيامة.

﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ ٱلإنسِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: قد استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد.

والثاني: قد استكثرتم من الإنس بإغوائكم لهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ ٱلإنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه استمتع بعضنا بصحبة بعض في التعاون والتعاضد.

والثاني: استمتع بعضنا ببعض فيما زينوه من اتباع الأهواء وارتكاب المعاصي.

والثالث: أن الاستمتاع بهم ما كانوا عليه من التعوذ بهم كقوله تعالى ﴿وأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلإنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، قاله الحسن، وابن جريج.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه استمتاع الإنس بالجن.

والثاني: أنه استمتاع الإنس بعضهم ببعض.

وفيه وجه ثالث: أن الإنس استمتعوا بالجن، والجن استمتعوا بالإنس في اعتقادهم أنهم يقدرون على النفع.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الموت، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: الحشر.

﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ أي منزل إقامتكم، لأن المثوىٰ الإقامة، ومنه قول الشاعر:

لقد كان في حول ثواءٍ ثويته   تقضي لبانات وتسأم سائم

﴿خَالِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في ﴿إِلَّا﴾ في هذا الموضوع ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بمعنى لكن، قاله سيبويه.

والثاني: أنها بمعنى سوى، قاله الفراء.

والثالث: أنها مستعملة على حقيقتها، وهو قول الجمهور.

وفي هذا الاستثناء(١٧٧) ثلاثة أقاويل.

أحدها: أن مدة الاستثناء هي مدة العرض في القيامة وذلك ما بين بعثهم من قبورهم إلى حين مصيرهم إلى جهنم، فكأنه قال: النار مثواكم خالدين فيها إلا هذه المدة التي ذكرها، فإنهم فيها غير خالدين في النار(١٧٨).

والثاني: معناه خالدين فيها إلا ما شاء الله من تجديد جلودهم بعد إحراقها وتصريفهم في أنواع العذاب أو تركهم فيها على حالتهم الأولى، فيكون الاستثناء في صفة العذاب لا في الخلود في النار(١٧٩).

والثالث: أنه جعل أمرهم في مبلغ عذابهم ومدته إلى مشيئته تعالى، قاله ابن عباس، قال: ولا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً.

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معناه وكذلك نَكِلُ بعضهم إلى بعض، فلا نعينهم، ومن سُلِبَ معونة الله كان هالكاً.

(١٧٧) أقول وقد ثبت خلود الكفار في النار خلوداً قطعياً وأما الاستثناء في هذه الآية هنا وفي سورة هود فقد اختلف فيه العلماء وحكى هنا الماوردي بعض الأقوال وليس كلها وبقيتها عند ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١٦٠) فذهب بعض المفسرين إلى أن الآية شاملة للكفار وعصاة الموحدين والمستثنى العصاة لأنهم لا يخلدون وهو قول ابن عباس والضحاك وقد سل الزمخشري سيف البغي والاعتزال وطعن في عبد الله بن عمرو بن العاص الذي روى الحديث المؤيد لذلك. ولكن العلامة ابن ناصر كرّ على قوله وكذا الطيبي وأما الشوكاني رحمه الله فقد كال له الصاع بصاعين ولعلنا نوفق في بسط هذه المسألة في سورة هود فإلى هناك والله المستعان.

(١٧٨) وهذا القول هو قول أبي جعفر الطبري (١٢/١١٨).

(١٧٩) وقد مال إلى هذا القول الزمخشري في الكشاف (٢/٣٩) وتعقبه العلامة الطيبي كما حكاه الألوسي في روح المعاني (٨/١٤٣).

والثاني: وكذلك نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر.

والثالث: وكذلك نولّي بعضهم عذاب بعض في النار.

والرابع: معناه أن بعضهم يتبع بعضاً في النار من الموالاة وهي المتابعة، قاله قتادة.

والخامس: تسليط بعضهم على بعض بالظلم والتعدي، قاله ابن زيد.

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

قوله عز وجل: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإنسِ﴾ المعشر: الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف، ومنه قيل للعَشَرَة لأنها تمام العِقْد.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ اختلفوا في الرسالة إلى الجن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الله بعث إلى الجن رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك وهو ظاهر الكلام.

والثاني: أن الله لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، قاله ابن جريج، والفراء، والزجاج، ولا يكون الجمع في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ مانعاً من أن يكون الرسل من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما هو خارج من أحدهما.

والثالث: أن رسل الجن هم الذين لمَّا سمعوا القرآن ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، قاله ابن عباس.

وفي دخولهم الجنة قولان:

أحدهما: قاله الضحاك(١٨٠).

(١٨٠) وقول الضحاك نصه الجنّة يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون كما أورده السيوطي في الدر (٣/٣٦٠) ونسبه لابن المنذر وابي الشيخ في العظمة ولعل قول الضحاك سقط من الناسخ.

والثاني: أن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يُقَال لهم كونوا تراباً كالبهائم، حكاه سفيان عن ليث[١٨١].

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ينذرونكم خذلان بعضكم لبعض وتبرؤ بعضكم من بعض في يوم القيامة.

والثاني: ينذرونكم ما تلقونه فيه من العذاب على الكفر، والعقاب على المعاصي.

﴿قالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إقرارهم على أنفسهم بأن الرسل قد أنذروهم.

والثاني: شهادة بعضهم على بعض بإنذار الرسل لهم.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وغرتهم زينة الحياة الدنيا.

والثاني: وغرتهم الرياسة في الدنيا.

ويحتمل ثالثاً: وغرتهم حياتهم في الدنيا حين أمهلوا.

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ وفي هذه الشهادة أيضاً الوجهان المحتملان[١٨٢] إلا أن تلك شهادة بالإنذار وهذا بالكفر.

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غافِلُونَ﴾ فيه وجهان:

---

(١٨١) ولا شك أن قول الضحاك أرجح لأدلة كثيرة منها قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ فظاهرها يدل على أن المطيع من الجن له الجنة والعاصي في النار وكذلك قوله في سورة الرحمن والخطاب كان للأنس والجن ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ راجع فتح القدير (٢/١٦٣).

(١٨٢) يعني اللذين تقدما.

أحدهما: وما كان ربك مهلك القرىٰ بظلم منه ولكن بحق استوجبوا به الهلكة، وهو معنى قول مقاتل.

والثاني: وما كان ربك مهلك القرىٰ بظلم أهلها حتىٰ يقدم إنذارهم ويرفع أعذارهم ويخرجوا من حكم الغافلين فيما ينزل بهم، وهو معنىٰ قول مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلٍ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ معناه ولكل عامل بطاعة الله أو معصيته درجات، يعني منازل، وإنما سُمِّيت درجات لتفاضلها كتفاضل الدَرَجِ في الارتفاع والانحطاط.

وفيها وجهان:

أحدهما: أن المقصود بها الأعمال المتفاضلة.

والثاني: أن المقصود بها الجزاء المتفاضل.

ويحتمل هذا التفضيل بالدرجات على أهل الجنة وأهل النار، لأن أهل النار يتَفاضلون في العقاب بحسب تفاضلهم في السيئات، كما يتفاضل أهل الجنة في الثواب لتفاضلهم في الحسنات، لكن قد يعبر عن تفاضل أهل الجنة بالدَرَج، وعن تفاضل أهل النار بالدرك، فإذا جمع بينهما بالتفاضل عبر عن تفاضلهما بالدرج تغليباً لصفة أهلَ الجنة.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: على طريقتكم.

والثاني: على حالتكم.

والثالث: على ناحيتكم، قاله ابن عباس، والحسن.

والرابع: على تمكنكم، قاله الزجاج.

والخامس: على منازلكم، قاله الكلبي.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ يعني أنذركم من جزاء المطيع بالثواب، والعاصي بالعقاب.

﴿فَسَوفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلمون ثواب الآخرة بالإيمان، وعقابها بالكفر ترغيباً منه في ثوابه وتحذيراً من عقابه.

والثاني: تعلمون نصر الله في الدنيا لأوليائه، وخذلانه لأعدائه، قاله ابن بحر.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً﴾.

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ مما خلق، مأخوذ من الظهور، ومنه قيل ملح ذُرْ أي لبياضه، وقيل لظهور الشيب ذُرْأَة، والحرث: الزرع، والأنعام: لإبل والبقر والغنم، مأخوذ من نعمة الوطء.

وهذا إخبار منه عن كفار قريش ومن تابعهم من مشركي العرب، كانوا يجعلون لله في زروعهم ومواشيهم نصيباً، ولأوثانهم وأصنامهم نصيباً، فجعل الله أوثانهم شركاءهم؛ لأنهم قد أشركوهم في أموالهم بالنصيب الذي قد جعلوه فيها لهم، ونصيبهم في الزرع جزء منها يجعلونه مصروفاً في النفقة عليها وعلى خدامها.

وفي نصيبهم من الأنعام ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كنصيبهم من الزرع مصروف في النفقة عليها وعلى خدامها.

والثاني: أنه قربان لأوثانهم كانوا يتقربون به إليها.

والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِم فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾ فاختلف أهل التأويل في المراد بـذلك على أربعة أوجه:

أحدها: أنه كان إذا اختلط بأموالهم شيء مما جعلوه لأوثانهم ردوه، وإذا اختلط بها ما جعلوه لله لم يردوه، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنه كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه، قاله الحسن، والسدي.

والثالث: أنهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على أوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه لأوثانهم، قاله بعض المتأخرين.

والرابع: أن كل شيء جعلوه لله من ذبائحهم لم يأكلوه حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون اسم الله فيما جعلوه لأوثانهم، قاله ابن زيد.

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَالِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أما شركاؤهم ها هنا ففيهم أربعة أقاويل:

أحدها: الشياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي.

والثاني: أنهم قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء، والزجاج.

والثالث: أنهم شركاؤهم في الشرك، قاله قتادة.

والرابع: أنهم الغواة من الناس.

وفي الذي زينوه لهم من قتل أولادهم قولان:

أحدهما: أنه كان أحدهم يحلف إن وُلِدَ له كذا وكذا غلام أن ينحر أحدهم كما

(١٨٣) ورجحه ابن جرير (١٢/١٣٤) وذهب إليه الشوكاني (٢/١٦٥) فتح القدير واختاره ابن كثير راجع عمدة التفسير (٢/١٠٨).

حلف عبد المطلب في نحر ابنه عبدالله، قاله الكلبي.

والثاني: أنه وَأْدُ البنات أحياءً خِيْفَة الفقر، قاله مجاهد.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي ليهلكوهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ١١] يعني إذا هلك.

وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم قصدوا أن يردوهم بذلك كما قصدوا إغواءَهم.

والثاني: أنهم لم يقصدوا ذلك وإنما آلَ إليه(*) فصارت.

هذه لام العاقبة كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾ [القصص: ٨] لأن عاقبته صارت كذلك وإن لم يقصدوها.

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان: ٢٢] أي حراماً محرماً، قال الشاعر(١٨٤):

فبت مرتفقاً والعين ساهرة كأن نومي عليَّ الليل محجور

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ قال الكلبي: جعلوها للرجال دون النساء.

وفي الأنعام والحرث التي قالوا إنه لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم قولان.

أحدهما: أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم عندهم هي البَحِيْرَة والحام خاصة، والحرث ما جعلوه لأوثانهم، قاله الحسن، ومجاهد.

والثاني: أن الأنعام هي ذبائح الأوثان، والحرث ما جعلوه لها.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فيها قولان:

(*) راجع ما كتبه العلامة ابن القيم في شفاء العليل حول هذه الآية.

(١٨٤) اللسان (رفق) وينسب هذا البيت لأعمش باهله.

أحدهما: أنها السائبة.

والثاني: أنها التي لا يحجون عليها، قاله أبو وائل.

﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ وهي قربان أوثانهم يذكرون عليها اسم الأوثان، ولا يذكرون عليها اسم الله تعالى.

﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي على الله وفيه قولان:

أحدهما: أن إضافتهم ذلك إلى الله هو الافتراء عليه.

والثاني: أن ذكرهم أسماء أوثانهم عند الذبيحة بدلاً من اسم الله هو الافتراء عليه.

وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾، قرأ الأعمش(١٨٥) ﴿خَالِصٌ﴾، وفي ﴿خَالِصَةٌ﴾ وفي ﴿خَالِصٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أن ﴿خَالِصَةٌ﴾ أبلغ من ﴿خَالِصٌ﴾ وإن كانت في معناه فدخلت الهاء للمبالغة كقولهم: علّامة، ونسّابة، قاله الكسائي.

والثاني: أن دخول الهاء يوجب عوده إلى الأنعام لتأنيثها، وحذف الهاء، يوجب عوده إلى ما في بطونها لتذكيره، قاله الفراء.

وفي ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن ما في بطونها الأجنة، قاله: مجاهد.

والثاني: الألبان، قاله قتادة.

---

(١٨٥) وهي قراءة ابن مسعود وأبي العالية والضحاك وابن أبي عبلة وفيها قراءة ثالثة برفع الصاد والهاء على ضمير مذكر هكذا «خالصُهُ» وهي قراءة ابن عباس وأبي رزين وعكرمة وابن يعمر وفيها قراءة أخرى بالنصب «خالصة» وهي قراءة قتادة راجع زاد المسير (٣/٣٦٧).

والثالث: الجميع: الأجنة والألبان، قاله مقاتل (١٨٦).

وفي جعلهم ذلك لذكورهم دون إناثهم وأزواجهم قولان:

أحدهما: لأن الذكور هم خدام الأوثان.

والثاني: تفضيلاً للذكور على الإناث.

وأصل الذكور من الذِّكْر، وفي أخذه من الذِّكْر وجهان:

أحدهما: لأنه المذكور بين الناس فكان أنبه ذِكْراً من الأنثىٰ.

والثاني: لأنه أشرف، والذِّكْر هو الشرف، قاله الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي شرف.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ...﴾ أما الجنات فهي البساتين يحفها الشجر، وأما الروضة فهي الخضراء بالنبات، وأما الزهرة فهي باختلاف الألوان الحسنة.

وفي قوله: ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنه تعريش الناس الكروم وغيرها، بأن ترفع أغصانها، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أن تعريشها هو رفع حظارها وحيطانها.

---

(١٨٦) وقد اختار هذا القول الطبري (١٢/ ١٤٨) وقال، ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهم دون بعض وإذا كان ذلك كذلك فالواجب أنه يقال أنهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حل لذكورهم خالصة دون أناثهم... ألخ.

والثالث: أنها المرتفعة عن الأرض لعلو شجرها، فلا يقع ثمرها على الأرض، لأن أصله الارتفاع ولذلك سُمِّيَ السرير عرشاً لارتفاعه، ومنه قوله تعالى: ﴿خاوية على عروشها﴾[الكهف: ٤٢] و[الحج: ٤٥] أي على أعاليها وما ارتفع منها.

والرابع: أن المعروشات ما عرشه الناس، وغير المعروشات ما نبت في البراري والجبال (١٨٧).

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وإنما قدم ذكر الأكل لأمرين:

أحدهما: تسهيلاً لإيتاء حقه.

والثاني: تغليباً لحقهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم.

وفي قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: الصدقة المفروضة فيه: العُشْر فيما سقي بغير آلة، ونصف العشر فيما سقي بآلة، وهذا قول الجمهور.

والثاني: أنها صدقة غير الزكاة، مفروضة يوم الحصاد والصرام(١٨٨) وهي إطعام من حضر وترك ما تساقط من الزرع والثمر، قاله عطاء ومجاهد.

والثالث: أن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وإبراهيم.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن هذا الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زيادة تجحف به، قاله أبو العالية، وابن جريج.

وقد روىٰ سعد بن سنان عن أنس قال(١٨٩): قال رسول الله ﷺ: «المُعْتَدِي فِي

---

(١٨٧) وهو قول ابن عباس رضي الله عنه الطبري (١٢/ ١٥٦) وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر (٣/ ٣٦٧).

(١٨٨) الصرام هو قطع ثمر النحل وجِدَاده في وقته.

(١٨٩) رواه الترمذي (٦٤٦) وأبو داود (١٥٨٥) والبغوي (٦/ ٧٨) وأبو عبيد في الأموال ص ٤٠١ وحسنه الأرناورط في شرح السنة.

تنبيه رجح الناري أن اسم سعد بن سنان هو سنان بن سعد كما نقله الترمذي عنه من السنة والحديث صممه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٧١٩ ونقل تصحيح ابن خزعة له.

الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا »وقيل : إنها نزلت في ثابت بن قيس بـن شماس وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله.

والثاني: هو أن يأخذ السلطان منه فوق الواجب عليه، قاله ابن زيد.

والثالث: هو أن يمنع رب المال من دفع القدر الواجب عليه، قاله سعيد بن المسيب.

والرابع: أن المراد بهذا السـرف ما كـانوا يشـركون آلهتهم فيـه من الحرث والأنعام، قاله الكلبي.

والخامس: هو أن يسرف في الأكل منها قبل أن يؤدي زكاتها، قاله ابن بحر.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الحمـولة كبار الإبل التي يُحْمَلُ عليها، والفرش صغارها التي لا يحمل عليها، مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء كالفرش.

وقال ابن بحر الافتراش الإضجاع للنحر، فتكون الحمولة كبارها، والفـرش صغارها، قال الراجز:

أورثـنـي حمولـة وفـرشـا أمشّـها في كـل يـوم مشّـا

أي أمسحها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد.

والثاني: أن الحَمُولة ما حُمِلَ عليه من الإبل والبقر، والفرش: الغنم، قاله ابن عباس، وقتادة، ومنه قول ابن مسلمة:

وحـوينا الفـرش من أنعـامكم والحمـولات وربـات الحجـل

والثالث: أن الحمولة ما حمل من الإبل، والبقر، والخيل، والبغال، والحمير، والفرش ما خلق لهم من أصوافها وجلودها.

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الحمولة ليبين أن الانتفاع بظهرها لا يمنع من جواز أكلها.

والثاني: أنه إذن منه في عموم أكل المباح من أموالهم، ونهى عن أكل ما لا يملكونه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها طريقه التي يدعوكم إليها من كفر وضلال.

والثاني: أنها تخطيه إلى تحريم الحلال وتحريم الحرام[١٩٠]، وقد ذكرنا ما في ذلك من زيادة التأويل ومن الاحتمال، وأنه الانتقال من معصية إلى أخرى حتى يستوعب جميع المعاصي، مأخوذ من خطو القدم: انتقالها من مكان إلى مكان.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ما بان لكم من عداوته لأبيكم آدم.

والثاني: ما بان لكم من عداوته لأوليائه من الشياطين، قاله الحسن.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أما الزوج فاسم ينطلق على الواحد وعلى الإثنين، يقال للاثنين زوج، ويقال للواحد زوج لأنه لا يكون زوجاً إلا ومعه آخر له مثل اسمه، قال لبيد[١٩١]:

من كل محفوف يظل عصيه ... زوج عليه كلة وقرامها

فلذلك قال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ لأنها ثمانية آحاد.

ثم فسرها فقال: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني ذكراً وأنثى.

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني ذكراً وأنثى.

(١٩٠) لعله وتحليل الحرام فإن السياق يقتضي ذلك هو الصواب فإن ما ذكر هنا في النسخة لا معنى له.

(١٩١) والبيت من قصيدة لبيد المعلقة راجع الطبري (١٢/ ١٨٤).

﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ إبطالاً لما حرمته الجاهلية منها في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ يعني قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الأَرْحَامِ خالصةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ يريد به ما أراده في الضأن والمعز وأن هذه الثمانية أزواج حلال لا يحرم منها شيء بتحريمكم.

حكى أبو صالح عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حين أتاه عوف بن مالك، فقال له: أَحَلَّلْتَ ما حرمه آباؤنا، يعني من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ فسكت عوف لظهور الحجة عليه.

قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ يعني أن ما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لم يحرمه الله تعالى ولا أوحىٰ إليَّ بتحريمه، ثم بيَّن المحرَّم على وجه الاستثناء لأن نفي التحريم خرج مخرج العموم، فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ وهي التي خرجت روحها بغير ذكاة.

﴿أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً﴾ يعني مهراقاً مصبوباً ومنه سمي الزنا سفاحاً لصب الماء فيه ضائعاً، وقال طرفة بن العبد(١٩٢):

إني وجدِّك ما هجوتك والأنـ ... ـصاب يسفح فوقهن دم

فأما الدم غير مسفوح فإن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال

(١٩٢) ديوان الستة الجاهليين ٢٤٧ والطبري (١٢/١٩٢).

لقوله ﷺ[١٩٣]: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَالمِيْتَتَانِ: الحُوتُ وَالجَرَادُ، وَالدَّمَانِ: الكَبِدُ وَالطُّحَالُ».

وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها وإنما هو مع اللحم وفيه، ففي تحريمه قولان:

أحدهما: لا يحرم لتخصيص التحريم بالمسفوح، وهو قول عائشة، وعكرمة، وقتادة، قال عكرمة: لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود.

والثاني: أنه حرام لأنه من جملة المسفوح وبعضه، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ يعني نجساً حراماً.

﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ﴾ يعني ما ذبح للأوثان والأصنام، سماه فسقاً لخروجه عن أمر الله.

فإن قيل: لم اقتصر هنا على تحريم هذه الأربعة وقد ذكر في المائدة غيرها من المنخنقة والموقوذة والمتردية؟ قيل: لأن هذا كله من جملة الميتة فذكره هناك مفصلاً وها هنا في الجملة.

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها مشتملة على جميع المحرمات فلا يحرم من الحيوان ما عدا هذا المذكور فيها، وهذا قول ابن عباس، وعائشة.

والثاني: أنها[١٩٤] تشتمل على تحريم ما تضمنها وليست مستوعبة لجميع

---

(١٩٣) رواه أحمد (٢/ ٩٧) وابن ماجة (٣٣١٤) والشافعي (٢/ ٤٢٥) من حديث ابن عمر مرفوعاً وفي سنده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه البيهقي (١/ ٢٥٤) عن ابن عمر موقوفاً وقال هذا إسناد صحيح وهو في المسند.

قلت وللحديث حكم الرفع لأنه قول الصحابي أحل لنا كذا وحرم علينا كذا من قبيل المرفوع حكماً وقد صحح الحديث العلامة الألباني في الإرواء.

(١٩٤) ولا ريب أن هذا القول هو المتعين لأن السنة متى ثبتت عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس فالقول بها لازم.

المحرمات لما جاءت به السنة من تحريم[١٩٥] كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير، وهذا قول الجمهور.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ هذا التحريم على الذين هادوا إنما هو تكليف بلوىٰ وعقوبة، فأول ما ذكره من المحرمات عليهم ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط، قاله ابن عباس[١٩٦]، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

والثاني[*]: أنه عنى أنواع السباع كلها.

والثالث: أنه كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي حافر من الدواب.

ثم قال: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها شحوم الثَّرْب[١٩٧] خاصة، قاله قتادة.

والثاني: أنه كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم، قاله ابن جريج.

والثالث: أنه شحم الثرب والكلى، قاله السدي وابن زيد.

---

(١٩٥) رواه البخاري (١٠/ ٢١٢) ومسلم (٥/ ٨٢) وأبو داود (٣٨٠٢) والترمذي (١٥٠٤) والنسائي (٧/ ٢٠١، ٣٠٤) وابن ماجة (٣٢٣٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني ولفظه نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع.

(١٩٦) رواه ابن أبي حاتم بسنده عنه قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩٥) وأسناده حسن وأخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير مثله مفرقاً وليس فيه ابن عباس.

(*) وفي نسخة والثاني: أنه كل ما صاد بظفره من الطير.

(١٩٧) جمع ثروب والثرب بفتح المثلثة وسكون الراء المهملة هو شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء.

ثم قال: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني شحم الجنب وما علق بالظهر فإنه لم يحرم عليهم.

ثم قال: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وفيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنها المباعر، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد، والسدي.

والثاني: أنها بنات اللبن(*)، قاله عبد الرحمن بن زيد.

والثالث: أنها الأمعاء التي عليها الشحم من داخلها، قاله بعض المتأخرين.

والرابع: أنها كل ما تحوّىٰ في البطن واجتمع واستدار، قاله علي بن عيسى.

﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه شحم الجنب.

والثاني: أنه شحم الجنب والألية، لأنه على العصعص، قاله ابن جريج، والسدي.

﴿ذَالِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ببغيهم على موسى عليه السلام فيما اقترحوه وعلى ما خالفوه.

والثاني: ببغيهم على أنفسهم في الحلال الذي حرموه.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما حكاه عنهم وحرمه عليهم.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا
تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ
هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ

(*) كذا في أصول المخطوطة وفي القرطبي خزائن اللبن.

مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ
وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ
أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ
نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أمر من الله لنبيه ﷺ، أن يدعو الناس إليه ليتلو عليهم ما حرمه الله عليهم، وما أحله لهم ليقلعوا عما كانت الجاهلية عليه من تحريم المباح وإباحة الحرام.

والتلاوة: هي القراءة، والفرق بين التلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء أن التلاوة والقراءة للمرة الأولى، والمتلو والمقروء للثانية وما بعدها، ذكره علي بن عيسى، والذي أراه من الفرق بينهما أن التلاوة والقراءة يتناول اللفظ، والمتلو والمقروء يتناول الملفوظ.

ثم إن الله أخذ فيما حرم فقال: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: ألا تشركوا بعبادته عبادة غيره من شيطان أو وثن.

والثالث: أن يحمل الأمرين معاً (١٩٨).

ثم قال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ تقديره: وأوصيكم بالوالدين إحساناً، والإحسان تأدية حقوقهما ومجانبة عقوقهما والمحافظة على برهما.

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق.

وفي الإملاق قولان:

---

(١٩٨) لاحظ أن القول الثاني لم يذكره المؤلف فلعله سقط من الناسخ.

أحدهما: أنه الإفلاس، ومنه الملق لأنه اجتهاد المفلس في التقريب إلى الغنى طمعاً في تأجيله.

والثاني: أن الإملاق(١٩٩) ومعناهما قريب وإن كان بينهما فرق، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والسدي، والضحاك، وابن جريج.

ثم ذكر فساد اعتقادهم في الإملاق بأن قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لأن رزق العباد كلهم، من كفيل ومكفول، على خالقهم،

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ وفيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها، قاله قتادة.

والثاني: أنه خاص في الزنىٰ، ما ظهر منها: ذوات الحوانيت، وما بطن: ذوات الاستسرار، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي.

والثالث: ما ظهر منها: نكاح المحرمات، وما بطن: الزنىٰ، قاله مجاهد، وابن جبير.

والرابع: أن ما ظهر منها: الخمر، وما بطن منها: الزنىٰ، قاله الضحاك.

وقد ذكرنا فيه احتمال تأويل خامس: أن ما ظهر منها أفعال الجوارح، وما بطن منها اعتقاد القلوب.

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ والنفوس المحرمة: نفس مسلم، أو معاهد، والحق الذي تقتل به النفس ما بيَّنه النبي ﷺ بقوله(٢٠٠): «لَا يَحِلُّ دَمُ ٱمْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنًى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ».

ثم قال: ﴿ذَالِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ﴾ يعني أن الله وصىٰ عباده بذلك، ووصية الله واجبة.

---

(١٩٩) بياض في الأصل وقد رجعنا إلى الروايات الواردة عمن ذكرهم المؤلف هنا فوجدناهم فسروها بالفقر وعليه فالتفسير الثاني يكون (الفقر).

(٢٠٠) رواه الترمذي (٢١٥٨) وابن ماجه (٢٥٣٣) وأحمد (٤٦٨، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٢، ٥٠٩) من حديث عثمان بن عفان وقال الترمذي هذا حديث حسن وورد في حديث عبدالله بن مسعود وعائشة رضي الله عنهما.

ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تعقلون تحريم ذلك عليكم وتعلمونه.

والثاني: تعملون عمل من يعقل وهو ترك ما أوجب العقاب من هذه المحرمات.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إنما خص مال اليتيم بالذكر وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته، لأن الطمع فيه لقلة مراعيه أقوى، فكان بالذكر أولىٰ.

وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: حفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه، قاله الكلبي.

والثاني: أن ذلك هو التجارة به، قاله مجاهد.

والثالث: هو ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً، قاله الضحاك.

والرابع: هو أن يأكل الولي بالمعروف من ماله إن افتقر، ويترك إن استغنى، ولا يتعدىٰ من الأكل إلى لباس ولا غيره، قاله ابن زيد.

ويحتمل خامساً: أن التي هي أحسن: حفظ أصوله وتثمير فروعه.

ثم قال: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ والأشد استحكام القوة والشباب(*).

وفي حدها ثلاثة أقاويل:

(*) هنا كلمة مطموسة من الأصل.

أحدها: أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات، قاله ربيعة، وزيد بن أسلم، ومالك.

والثاني: أن الأَشُد ثلاثون سنة، قاله السدي.

والثالث: أن الأشد ثماني عشرة سنة، ذكره علي بن عيسى وفيه وجوه أُخَر نذكرها من بعد.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ يعني بالعدل، أمر في مال البائع من تأدية بمثل ما أُمِر به في مال اليتيم.

ثم قال: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني أنه لما كان العدل في الوزن والكيل مستحقاً، وكان تحديد أقل القليل متعذراً، كان ذلك عفواً، لأنه لا يدخل في الوسع فلم يكلفه.

ثم قال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: إذا حكمتم فأنصفوا.

الثاني: إذا شهدتم فاصدقوا.

الثالث: إذا توسطتم فلا تميلوا.

ثمَ قال: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن عهد الله كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره.

الثاني: أنه الحلف بالله أن يلزم الوفاء به إلا في معصية.

﴿ذَالِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أنه راجع إلى الذين هادوا وما أوصاهم به في التوراة.

والثاني: أنه راجع إلى المسلمين وما وصاهم به في القرآن.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: القرآن.

والثاني: الشرع وسُمِّيَ ذلك صراطاً، والصراط هو الطريق لأنه يؤدي إلى الجنة فصار طريقاً إليها.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يعني في العمل به.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما تقدم من الكتب المنزلة نسخها بالقرآن، وهو محتمل.

والثاني: ما تقدم من الأديان المتقدمة نسخها بالإسلام وهو محتمل.

والثالث: البدع والشبهات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ يعني عن طريق دينه.

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن يكون سبيله نصرة دينه وجهاد أعدائه، فنهى عن التفرق وأمر بالاجتماع.

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ
فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ﴾

وفي قوله: ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ خمسة أقاويل:

أحدها: تماماً على إحسان موسى بطاعته، قاله الربيع، والفراء.

والثاني: تماماً على المحسنين، قاله مجاهد، وكان ابن مسعود. يقرأ: ﴿تَمَاماً عَلَى ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾.

والثالث: تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه، قاله ابن زيد.

والرابع: تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

والخامس: تماماً لنعمة الله على إبراهيم لأنه من ولده، قاله ابن بحر.

أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ
لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ
جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ

يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ
أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله عز وجل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة رسلاً، يعني الكفار الذين يتوقفون عن الإيمان مع ظهور الدلائل.

والثاني: هل ينظرون يعني في حُجَج الله ودلائله إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، قاله جويبر.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أمر ربك بالعذاب(٢٠١)، قاله الحسن.

والثاني: قضاء ربك في القيامة، قاله مجاهد.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه طلوع الشمس من مغربها، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي، قال ابن مسعود: مع القمر في وقت واحد وقرأ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾. [القيامة: ٩].

والثاني: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، قاله أبو هريرة(٢٠٢).

---

(٢٠١) والصواب أن الإتيان هو إتيان الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين عباده يوم القيامة على الوصف اللائق به دون تأويل أو تعطيل وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في سورة البقرة. فراجعه.

(٢٠٢) وقد ورد مرفوعاً من حديث أبي هريرة رواه البخاري (٨/ ٢٩٧) ومسلم (٢/ ١٩٤) وأبو داود (٤/ ١٦٣) وابن ماجه (٢/ ٢٣٥٢) وأحمد (٧١٦١) واللفظ للبخاري «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون به وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية... م هـ ورجح ابن الجوزي القول الأول في زاد المسير (٣/ ١٥٧) قلت ولا تنافي بين القولين فإن القول الأول ذكر آية من الآيات الثلاثة المذكورة في القول الثاني وقد ورد مرفوعاً أيضاً من حديث أبي هريرة «ثلاثة إذا خرجت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض رواه البخاري (٨/ ٢٢٣) و(١١/ ٣٠٤) ومسلم (٢/ ١٩٤) وأحمد

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ...﴾ في أول آيات الساعة وآخرها قولان:

أحدهما: أن أولها الدجال، ثم الدخان، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، هذا قول معاذ بن جبل.

والثاني: أن أولها خروج الدجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مَن قَبْلُ﴾ ثم خروج الدابة، وهذا قول حذيفة بن اليمان ورواه مرفوعاً.

ثم اختلفوا في ألا ينفعها إيمانها بظهور أول الآيات أو بظهور آخرها على قولين:

أحدهما: إذا خرج أول الآيات، طرحت الأقلام، وجلست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال.

والقول الثاني: أن ذلك يكون بخروج آخر الآيات ليكون لنا فيها أثر في الإنذار.

ثم قال: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ أما إيمانها قبل هذه الآيات فمُعْتَدٌّ به، وأما بعدها فإن لم تكسب فيه خيراً لم يُعْتَدّ به، وإن كسبت فيه خيراً ففي الاعتداد به قولان:

أحدهما: يُعْتَدُّ به، وهو ظاهر الآية أن يكون قبل الآيات أو بعده.

والثاني: لا يُعْتَدُّ به، ويكون معناه: لم تكن آمنت من قبل وكسبت في إيمانها خيراً، وهذا قول السدي.

وفي الخير الذي تكسبه وجهان:

أحدهما: تأدية الفروض على أكمل أحوالها.

والثاني: التطوع بالنوافل بعد الفروض (٢٠٣).

(٧١٦١) وأبو داود (٤/ ١٦٣) والطبري (١٢/ ٢٦٥) واللفظ له وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٥٧) نسبته لعبد بن حميد وعبد الرزاق والنسائي وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في البعث والطبراني وابن أبي عدي.

(٢٠٣) والأولى أن يفسر الخير بالعمل الصالح بشموله بما في ذلك الفرائض والنوافل قال العلامة ابن الجوزي

روىٰ مجاهد عن عبدالله بن عمر قال(٢٠٤): قال رسول الله ﷺ: «بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِن قِبَلِ المَغْرِبِ، فَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ إِبْلِيس رَأْسِ الكُفْرِ، وَمِنْ قَابِيل قَاتِلِ هَابِيلَ، وَمَنْ قَتَلَ نَبِيًّا لَا تَوْبَةَ لَهُ، فَإِذَا طَلَعَت الشَّمْسُ مِن ذَلِكَ البَابِ كَالعَكَرِ الأَسْوَدِ لَا نُورَ لَهَا حَتَّى تَتَوَسَّطَ السَّماءَ ثُمَّ تَرْجِعُ فَيُغْلَقُ البَابُ وَتُرَدُّ التَّوبَةُ فَلَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُن ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيراً، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَىٰ مَشَارِقِهَا، فَتَطْلُعُ بَعْدَ ذَالِكَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ إِلَّا أَنَّهَا سُنُونَ تَمُرُّ مَراً».

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود خاصة، قاله مجاهد.

والثاني: اليهود والنصارىٰ، قاله قتادة.

والثالث: أنهم جميع المشركين(٢٠٥)، قاله الحسن.

والرابع: أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة.

وفي تفريقهم الذي فرقوه قولان:

أحدهما: أنه الدين الـذي أمر الله به، فرقوه لاختلافهم فيه باتباع الشبهات.

والثاني: أنه الكفر الذي كانوا يعتقدونه ديناً لهم.

ومعنىٰ قوله: ﴿وَكَانُواْ شِيَعاً﴾ يعني فرقاً.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون الشيع المتفقين على مشايعة بعضهم لبعض، وهو الأشبه(٢٠٦)، لأنهم يتمالأون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره.

في زاد المسير (٣/ ١٥٧). والمراد بالخير هنا العمل الصالح وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان.

(٢٠٤) لم اهتد إلى تخريجه وقد أورد السيوطي رحمه الله في الدر (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) أحاديث عقباه فراجعها.

(٢٠٥) وكذلك هي في أهل البدع وطوائف أهل الكتاب المشركين قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ١٨٣). وقيل الآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله وهذا هو الصواب لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام أ هـ. واختار القول بالعموم ابن جرير رحمه الله (١٢/ ٢٧١).

(٢٠٦) قال الشوكاني (٣/ ١٨٣). ومعنى شيعاً وأحزاباً فتصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحداً مجتمعاً ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب ويباين الحق أ هـ.

وفي أصله وجهان:

أحدهما: أصله الظهور، من قولهم شاع الخبر إذا ظهر.

والثاني: أصله الاتباع، من قولهم شايعه على الأمر إذا اتبعه، قاله الزجاج.

ثم قال تعالىٰ: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لست من قتالهم في شيء، ثم نسخها بسورة التوبة، قاله الكلبي.

والثاني: لست من مخالطتهم في شيء، نَهْيٌ لنبيه ﷺ عن مقاربتهم، وأمر له بمباعدتهم، قاله قتادة، كما قال النابغة(٢٠٧):

إذا حاولت في أسد فجوراً ... فإني لست منك ولست مني.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ في الحسنة والسيئة هنا قولان:

أحدهما: أن الحسنة الإيمان، والسيئة الكفر، قاله أبو صالح.

والثاني: أنه على العموم في الحسنات والسيئات أن جعل جزاء الحسنة عشر أمثالها تفضلاً، وجعل جزاء السيئة مثلها عدلاً، قال رسول الله ﷺ(٢٠٨): «أَبْعَدَ ٱللَّهُ مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ عَشْراً».

ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه عام في جميع الناس.

والثاني: أنه خاص في الأعراب(٢٠٩) إذا جاء أحدهم بحسنة فله عشر أمثالها، فأما غيرهم من المهاجرين فلمن جاء منهم بحسنة سبعمائة، قاله ابن عمر، وأبو سعيد الخدري.

---

(٢٠٧) ديوانه: ١٢٧.

(٢٠٨) لم أهتد إليه والله أعلم.

(٢٠٩) والصواب أنها عامة في جميع الناس كما في القول الأول راجع فتح القدير (٢/ ١٥٣) وروح المعاني للآلوسي (٨/ ٦٩).

فأما مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها فلأن الله فرض عُشْر أموالهم، وكانوا يصومون في كل شهر ثلاثة أيام وهي البيض منه، فكان آخر العُشْر من المال آخر جميع المال، وآخر الثلاثة الأيام آخر جميع الشهر.

وأما مضاعفة ذلك بسبعمائة ضعف فلقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فضاعف الله الحسنة بسبعمائة ضعف، وكان الحسن البصري يقرأ: ﴿فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا﴾ بالتنوين[٢١٠]، وَوَجْهُهُ في العربية صحيح.

وحكى ابن بحر في الآية تأويلاً يخرج عن عموم الظاهر، وهو أن الحسنة اسم عام يطلق على كل نوع من الإيمان وينطلق على عمومه، فإن انطلقت الحسنة على نوع واحد منه، فليس له عليها من الثواب إلا مثل واحد، وإن انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين، كان الثواب عليها مثلين كقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، والكفل: النصيب كالمثل، فجعل لمن اتقىٰ وآمن بالرسول نصيبين، نصيباً لتقوىٰ الله، ونصيباً لإيمانه برسوله، فدل على أن الحسنة التي جعلت لها عشر أمثالها هي التي جمعت عشرة أنواع من الحسنات، وهو الإيمان الذي جمع الله في صفته عشرة أنواع بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فكانت هذه الأنواع العشرة التي ثوابها عشرة أمثالها، فيكون لكل نوع منها مثل، وهذا تأويل فاسد، لخروجه عن عموم الظاهر، لما لا يحتمله تخصيص العموم، لأن ما جمع عشرة أنواع فهو عشر حسنات، فليس يجزي عن حسنة إلا مثلها، وبطل أن يكون جزاء الحسنة عشر أمثالها.

وذكر بعض المفسرين تأويلاً ثالثاً: أن له عشر أمثالها في النعيم والزيادة لا في عظيم المنزلة، لأن منزلة التعظيم لا تنال إلا بالطاعة، وهذه مضاعفة تفضيل كما قال: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠].

قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ

(٢١٠) وفي قراءة يعقوب والقزاز عن عبد الوارث زاد المسير (٣/ ١٥٩).

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يذكر للناس حال عبادته ومن له الأمر في حياته ومماته.

فقال) ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ وهي الصلاة المشروعة ذات الركوع والسجود المشتملة على التذلل والخضوع لله تعالى دون غيره من وثن أو بشر.

ثم قال: ﴿وَنُسُكِي﴾ وفيه هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الذبيحة في الحج والعمرة، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك.

والثاني: معناه ديني، قاله الحسن.

والثالث: معناه عبادتي، قاله الزجاج، من قولهم فلان ناسك أي عابد، والفرق بين الدين والعبادة: أن الدين اعتقاد، والعبادة عمل.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن حياته ومماته بيد الله تعالى لا يملك غيره له حياة ولا موتاً، فلذلك كان له مصلياً وناسكاً.

والثاني: أن حياته لله في اختصاصها بطاعته، ومماته له في رجوعه إلى مجازاته.

ووجدت فيها وجهاً ثالثاً: أن عملي في حياتي ووصيتي عند مماتي لله.

ثم قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ صفة الله تعالى أنه مالك العالم دون غيره، فلذلك كان أحق بالطاعة والتعبد من غيره.

ثم قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا شريك له في ملك العالمين.

والثاني: لا شريك له في العبادة.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ يعني ما قدم ذكره.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يعني من هذه الأمة حثّاً على اتباعه والمسارعة بالإسلام.

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وسبب [نزول] ذلك أن كفار قريش دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه في عبادة اللات والعزى، وقالوا: يا محمد إن كان وزراً فهو علينا دونك، فنزلت هذه الآية عليه.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ يعني إلا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يتحمل أحد ذنب غيره فيأثم به ويعاقب عليه، ولا يحمل ذنبه غيره، فيبرأ منه ويسلم من عقابه.

وفي أصل الوزر وجهان:

أحدهما: أصله الثقل، من قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢ - ٣] ومنه سمي وزير الملك لتحمله الثقل عنه.

والثاني: أن أصله الملجأ من قوله: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] ومنه سُمِّي وزير المَلِكِ لأنه يلجأ إليه في الأمور.

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه جعلهم خلفاً من الجان سكاناً للأرض، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله، كلما مضى أهل عصر خلفه أهل عصر بعده على انتظام، حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا

يخلق عصر، فصارت هذه الأمة خلفاً للأمم الماضية.

والثالث: جعل بعضهم خليفة لبعض ليتآلفوا بالتعاون.

والرابع: لأنهم آخر الأمم وكانوا خلفاً لمن تقدمهم، قال الشماخ(٢١١):

تصيبكم وتخطئني المنايا   وأخلق في ربوع عن ربوع

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ يعني ما خالف بينهم في الغنى بالمال وشرف الآباء وقوة الأجسام، وهذا، وإن ابتداه تفضلاً من غير جزاء ولا استحقاق، لحكمة منه تضمنت ترغيباً في الأعلى وترهيباً من الأدنىٰ، لتدم له الرغبة والرهبة.

وقد نبه على ذلك بقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا ءَاتَاكُمْ﴾ يعني من الغنى والقوة وفيه وجهان:

أحدهما: ليختبركم بالاعتراف(٢١٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ فإن قيل: فكيف جعله سريعاً وهو في الآخرة؟، فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن كل آت قريب، كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

والثاني: إن ربك سريع العقاب في الدنيا لمن استحق منه تعجيل العقاب فيها.

والثالث: أنه إذا شاء عاقب، فصار عقابه سريعاً لأنه يقترن بمشيئته، وهذا قول ابن بحر.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ جمعاً منه بين ما يقتضي الرهبة من سرعة العقاب وبين ما يقتضي الرغبة من الغفران والرحمة، لأن الجمع بين الرغبة والرهبة أبلغ في الانقياد إلى الطاعة والإقلاع عن المعصية، والله عز وجل أعلم.

(٢١١) ديوانه: ٥٨ ومجاز القرآن (١/ ٢٠٩) والطبري (١٢/ ٢٨٨).

(٢١٢) ويلاحظ هنا أن الوجه الثاني سقط ولم يذكر فلعل السقط كان من الناسخ.



مكية كلها في قول الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر، وقال ابن عباس، وقتادة: مكية إلا خمس آيات وهي قوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى آخر الخمس.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل ﴿ٱلمٓصٓ﴾ فيه لأهل التأويل تسعة أقاويل:

أحدها: معناه: أنا الله أُفَصِّل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه [حرف] هجاء [من] المصور، قاله السدي.

والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

والرابع: أنه اسم السورة ومفتاح لها، قاله الحسن.

والخامس: أنه اختصار من كلام يفهمه النبي ﷺ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

والسادس: هي حروف هجاء مقطعة نبه بها على إعجاز القرآن.

والسابع: هي من حساب الجمل المعدود استأثر الله بعلمه.

والثامن: هي حروف تحوي معاني كثيرة دل الله تعالى خلقه بها على مراده من كل ذلك.

والتاسع: هي حروف اسم الله الأعظم.

ويحتمل عندي قولاً عاشراً[٢١٣]: أن يكون المراد به: المصير إلى كتاب أنزل إليك من ربك، فحذف باقي الكلمة ترخيماً وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب، وللعرب في الاقتصار على الحروف مذهب كما قال الشاعر[٢١٤]:

قلت لها قفي فقالت قاف ....

أي وقفت.

قوله عز وجل ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن.

﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ وفي الحرج ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الضيق، قاله الحسن، وهو أصله.

قال الشماخ بن ضرار:

ولو ردت المعروف عندي رددتها   لحاجة لا العالي ولا المتحرج

ويكون معناه: فلا يضيق صدرك خوفاً ألا تقوم بحقه.

والثاني: أن الحرج هنا الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

قال الراجز:

آليت لولا حرج يعروني   ما جئت أغزوك ولا تغزوني

ومعناه: فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به.

والثالث: فلا يضيق صدرك بأن يكذبوك، قاله الفراء.

ثم قال: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فجعله إنذاراً للكافرين وذكرى للمؤمنين ليعود نفعه على الفريقين.

---

(٢١٣) وقد عرّفناك فيما سبق القول الراجح عند الكلام على أوائل السور في سورة البقرة وذكرنا أقوال العلماء وما عليه أكثرهم.

(٢١٤) من رجز الوليد بن عقبة وبقية الرجز لا تحسبن أنا نسينا الإيجاف. والبيت من الأغاني (٥/ ١٣١)، شرح شواهد الشافية، ٢٧١، مشكل القرآن ٢٣٨ والطبري (١/ ٢١٢) وسيأتي في الشطر البيت في سورة قٓ وقد وقع هنا في شطر البيت نقص وصوابه من الطبري هكذا:

قلنا لها قِفِي لنا قالت: قـافْ   لا تحسبن أنا نسينا الإيجاف

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ الآية. هذا إخبار من الله تعالى عن حال من أهلكه بكفر تحذيراً للمخاطبين به عن مثله، وقوله: ﴿وَكَم﴾ هي كلمة توضع للتكثير، «ورُب» موضوعة للتقليل، وذلك هو الفرق بين كم ورب.

قال الفرزدق (٢١٥):

كم عمة لك يا جرير وخالة — فدعاء قد حلبت على عشاري

فدل ذلك على تكثير العمات والخالات:

وفي قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ وإنما الهلاك بعد مجيء البأس أربعة أوجه:

أحدها: معناه أهلكناها حكماً فجاءها بأسنا فعلاً.

والثاني: أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب فجاءها بأسنا بوقوع العذاب لهم.

والثالث: أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية.

والرابع: أن البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال أعطيت وأحسنت، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء، قاله الفراء.

وقوله: ﴿بَيَاتًا﴾ يعني في نوم الليل.

﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ يعني في نوم النهار وقت القائلة.

فإن قيل: فلم جاءهم بالعذاب في وقت النوم دون اليقظة؟ قيل: لأمرين:

أحدهما: لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ.

(٢١٥) ديوانه: ٤٥١، النقائض: ٣٣٢، الطبري (١٢/ ٣٠٠).

والثاني: لئلا يتحرزوا منه ويهربوا عنه، لاستسلام النائم وتحرز المستيقظ، والبأس: شدة العذاب، والبؤس: شدة الفقر.

قوله عز وجل: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لنسألن الذين أرسل إليهم عن قبول الرسالة والقيام بشروطها، ولنسألن المرسلين عن أداء الرسالة والأمانة فيها.

والثاني: لنسألن الذين أرسل إليهم عن حفظ حرمان الرسل، ولنسألن المرسلين عن الشفقة على الأمم.

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الوزن ها هنا هو القضاء بالحق، أي بالعدل، قاله مجاهد.

والثاني: أنه موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة.

والثالث(٢١٦): أنه موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان، قاله الحسن وطائفة.

واختلف من قال بهذا في الذي يوزن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذي يوزن هو الحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة، قاله الحسن والسدي.

والثاني: أن الذي يوزن صحائف الأعمال، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال، والوزن إنما يمكن في الأجسام، قاله عبدالله بن عمر.

والثالث: أن الذي يوزن هو الإنسان، قال عبيد بن عمير، قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة (٢١٧).

---

(٢١٦) ولا شك في أرجحية هذا القول لأن السنة المتواترة على إثبات الميزان ولا شك أن الله تعالى حكم عدل فهو يقضي بالحق ويحكم بالقسط ولا يظلم الناس شيئاً ورجح هذا القول الطبري (١٢/ ٣١١) وفتح القدير للشوكاني (٢/ ١٩٠) وكرّ الشوكاني على من خالف هذا القول بكلام رصين فراجعه.

(٢١٧) ولا مانع من كون الأعمال تارة توزن وتارة يوزن الشخص وعمله والمسألة مبسوطة في كتب العقيدة راجع شرح الطحاوية ص ٤٧٢ ولوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤).

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه فمن قُضي له بالطاعة.

والثاني: معناه فمن كانت كفة حسناته أثقل من كفة سيئاته (٢١٨).

والثالث: معناه فمن زادت حسناته على سيئاته.

﴿فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يعني بما لهم من الثواب، وبضده إذا خفت.

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سهلنا عليكم التصرف فيها حتى وصلتم إلى مرادكم منها.

والثاني: ملكناكم إياها حتى صرتم أحق بها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما تعيشون به من نبات وحيوان.

والثاني: ما تتوصلون به إلى معايشكم فيها من زراعة أو عمل.

وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فيه لأهل التأويل أربعة أقاويل:

أحدها: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء، قاله عكرمة.

والثاني: ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره، قاله مجاهد.

والثالث: خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء، ثم صورناكم عند اجتماع النطفتين في الأرحام، وهو معنى قول الكلبي.

---

(٢١٨) ويدل على ثقل الكفة حديث البطاقة المشهور وهو حديث صحيح صحّحه غير واحد من العلماء راجع شرح السنة للبغوي.

والرابع: خلقناكم في بطون امهاتكم، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر(٢١٩).

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فإن قيل فالسجود عبادة لا تجوز إلا لله تعالى، فكيف أمر به لآدم عليه السلام؟ قيل: فيه لأهل العلم قولان:

أحدهما: أنه أمرهم بالسجود له تكرمة وهو لله تعالى عبادة.

والثاني: أنه جعله قبلة سجودهم لله تعالى(٢٢٠):

فإن قيل: فالأمر بالسجود لآدم قبل تصوير ذريته، فكيف قال: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه صورهم في صلب آدم ثم قال للملائكة: اسجدوا.

والثاني: معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم بِأَنَّا قلنا للملائكة: اسجدوا.

والثالث: أي في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم.

وفيه جواب رابع أنكره بعض النحويين وهو: أن ﴿ثُمَّ﴾ هنا بمعنى الواو، قاله الأخفش.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾
قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ
أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

(٢١٩) والذي في الطبري (١٢/ ٣٢٠) أن هذا القول نقله معمر عن رجل ولم يصرح باسمه فليس هذا القول من قول معمر وإليك ما في الطبري قال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال «خلقناكم ثم صورناكم» قال خلق الله الإنسان في الرحم ثم صوّره فشق سمعه وبصره وأصابعه اهـ.

(٢٢٠) كان السجود للأشخاص في الشرائع السابقة إنما كان للتعظيم وليس على وجه العبادة ثم نسخ بعدُ ذلك وقد سجد معاذ بن جبل بين يدي رسول الله ﷺ إلا أن الرسول نهاه عن ذلك وقال: «لو كنت آمر أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه أُهْبِط من السماء لأنه كان فيها، قاله الحسن.

والثاني: من الجنة.

والثالث: أنه أهبط من المنزلة الرفيعة التي استحقها بطاعة الله إلى المنزلة الدَّنِيَّةِ التي استوجبها لمعصيته، قاله ابن بحر.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وليس لأحد من المخلوقين أن يتكبر فيها ولا في غيرها، وإنما المعنى: فما لمن يتكبر أن يكون فيها وإنما المتكبر في غيرها.

وفي التكبر وجهان:

أحدهما: تكبر عن الله أن يمتثل له.

والثاني: تكبر عن آدم أن يسجد له.

﴿فَٱخْرُجْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: من المكان الذي كان فيه من السماء أو الجنة.

والثاني: من جملة الملائكة الذين كان منهم(٢٢١) أو معهم.

﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه.

والثاني: بالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل بالعذاب.

وفي هذا القول من الله تعالى لإبليس وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك على لسان بعض الملائكة(٢٢٢).

والثاني: أنه أراه معجزة تدله على ذلك.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه سأله الإنظار بالعقوبة إلى البعث وهو يوم القيامة.

والثاني: أنه سأله الإنظار بالحياة إلى يوم يبعثون وهو يوم القيامة لئلا يـذوق

---

(٢٢١) وقد عرفت فيما سبق أن القول الراجح أن إبليس لم يكن من الملائكة إنما دخل معهم في الخطاب.

(٢٢٢) وسياق الآيات يدل على الله مقام هو القائل له.

الموت، فَأُجِيْبَ بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة، قاله الكلبي.

فإن قيل: فكيف قدر الله مدة أجله وفي ذلك إغواؤه بفعل المعاصي تعويلاً على التوبة في آخر الأجل؟

قيل: قد علم الله من حاله أنه لا يتوب من معصيته بما أوجبه من لعنته بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فجاز مع علمه بهذه أن يقدر له مدة أجله ولو كان كغيره ما قدرت له مدة أجله.

فإن قيل: كيف أقدم إبليس على هذا السؤال مع معصيته؟ قيل: كما ينبسط الجاهل في سؤال ما لا يستحقه.

فإن قيل: فكيف أجاب الله سؤاله مع معصيته؟ قيل: في إجابته دعاء أهل المعاصي قولان:

أحدهما: لا تصح إجابتهم لأن إجابة الدعاء تكرمة للداعي وأهل المعاصي لا يستحقون الكرامة، فعلى هذا إنما أنظره الله تعالى وإن كان عقيب سؤاله ابتداء منه لا إجابة له.

والثاني: أنه قد يجوز أن تجاب دعوة أهل المعاصي على وجه البلوى وتأكيد الحجة، فتكون إجابة المطيعين تكرمة، وإجابة العصاة بلوى.

فإن قيل: فهل ينظر غير إبليس إلى الوقت الذي سأل وقد قال من المنظرين؟ قيل: نعم وهو من لم يقض الله تعالى عليه الموت من عباده الذين تقوم عليهم الساعة.

قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿فبما أغويتني﴾ على قولين:

أحدهما: أنه على معنى القسم وتقديره: فبإغوائك لي لأقعدن لهم صراطك المستقيم.

والثاني: أنه على معنى المجازاة، تقديره: فلأنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم(٢٢٣).

واختلف أهل العلم في قوله: ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ على أربعة أقاويل:

أحدها: معناه أضللتني، قاله ابن عباس وابن زيد.

والثاني: معناه خيبتني من جنتك، ومنه قول الشاعر(٢٢٤):

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

أي ومن يخب.

والثالث: معناه عذبتني كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] أي عذاباً، قاله الحسن.

والرابع: معناه أهلكتني بلعنك لي، يقال غوى الفصيل إذا أشفى على الهلاك بفقد اللبن، قال الشاعر(٢٢٥):

معطفة الأثناء ليس فصيلها برازئها دراً ولا ميِّت غوى

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي على صراطك المستقيم، وفيه تأويلان:

أحدهما: طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة، قاله ابن مسعود.

والثاني: طريق الحق ليصد عنها بالإغواء، قاله مجاهد.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾ الآية. فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾

---

(٢٢٣) قال الإمام أبو جعفر الطبري (١٢/ ٣٣٤) وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقوله القدرية (هم نفاة القدر الكافرون به). من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان هو السبب الذي يصل الكافر إلى الكفر م هـ.

(٢٢٤) اللسان (غوى) والبيت للمرقش روح المعاني (٨/ ٩٤).

(٢٢٥) الشاعر هو عامر بن المجنون والبيت في المعاني الكبير (١٠٤٧) والمخصص (٧/ ٤١، ١٨٠). وتهذيب إصلاح المنطق ٢/ ٥٤، واللسان (غوى).

أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي من قبل حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِم﴾ من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس.

والثاني: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ : من قبل، دنياهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ : من قبل آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ : الحق أشككهم فيه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِم﴾ : الباطل أرغبهم فيه، قاله السدي وإبراهيم.

والثالث: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِم﴾ ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ : من حيث ينظرون، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾ ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾ : من حيث لا يبصرون، قاله مجاهد.

والرابع: أراد من كل الجهات التي يمكن الاحتيال عليهم منها، ولم يذكر من فوقهم لأن رحمة الله تصده، ولا من تحت أرجلهم لما فيه من التنفير، قاله بعض المتأخرين.

ويحتمل تأويلاً خامساً: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم﴾ : فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون على طاعة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾ :فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِم﴾ : من قبل غناهم فلا ينفقونه في مشكور، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾ : من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور.

ويحتمل سادساً: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم﴾ : بسط أملهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾تحكيم جهلهم، ﴿وعن أيمانهم﴾ : فيما ييسر لهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾ : فيما تعسر عليهم.

ثم قال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: شاكرين لنعمك.

والثاني: مقيمين على طاعتك.

فإن قيل: فكيف علم إبليس ذلك؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه ظن ذلك فصدق ظنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إِبْلِيس ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] وسبب ظنه أنَّه لما أغوى آدم واستزله قال: ذرية هذا أضعف منه، قاله الحسن.

والثاني: أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله[٢٢٦].

(٢٢٦) وهذا القول للجبائي من أئمة المعتزلة ولا دليل عليه وهناك قول ثالث أنه رآه في اللوح المحفوظ وهذا =

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من حيث كان من جنة أو سماء.

والثاني: من الطاعة، على وجه التهديد.

﴿مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾. في قوله: ﴿مَذۡءُومٗا﴾ خمسة تأويلات:

أحدها: يعني مذموماً، قاله ابن زيد، وقرأ الأعمش ﴿مذوماً﴾.

والثاني: لئيماً، قاله الكلبي.

والثالث: مقيتاً، قاله ابن عباس.

والرابع: منفياً، قاله مجاهد.

والخامس: أنه شدة العيب وهو أسوأ حالاً من المذموم، قاله الأخفش، قال عامر بن جذامة:

جـذامـة لـم يـأخـذوا الحق بـل   زاغت قلوبـهم قـبـل القـتـال ذأمـاً

وأما المدحور ففيه قولان:

أحدهما: المدفوع.

الثاني: المطرود، قاله مجاهد والسدي.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا
وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ
٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يعني حواء، وفي الجنة التي أمر بسكناها قولان:

= أيضاً لا دليل عليه بل من أفحش الأقوال لأنه لم يطلع على اللوح المحفوظ إلا الله تعالى راجع روح المعاني (٨/ ٩٦).

أحدهما: في جنة الخلد التي وعد المتقون، وجاز الخروج منها لأنها لم تجعل ثواباً فيخلد فيها ولا يخرج منها.

والثاني: أنها جنة من جنات الدنيا لا تكليف فيها وقد كان مكلفاً.

﴿فَكُلَا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من حيث شئتما من الجنة كلها.

والثاني: ما شئتما من الثمار كلها لأن المستثنى بالنهي لمَّا كان ثمراً كان المأمور به ثمراً.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قد ذكرنا(٢٢٧) اختلاف الناس فيها على ستة أقاويل:

أحدها: أنه البُرّ، قاله ابن عباس.

والثاني: الكَرْم، قاله السدي.

والثالث: التين، قاله ابن جريج.

والرابع: شجرة الكافور، قاله علي بن أبي طالب.

والخامس: شجرة العلم، قاله الكلبي.

والسادس: أنها شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة، قاله ابن جدعان.

وحكىٰ محمد بن إسحاق عن أهل الكتابين أنها شجرة الحنظل ولا أعرف لهذا وجهاً.

فإذا قيل: فما وجه نهيهما عن ذلك مع كمال معرفتهما؟

قيل: المصلحة في استدامة المعرفة، والابتلاء بما يجِب فيه الجزاء.

قوله عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا...﴾ أما الوسوسة فهي إخفاء الصوت بالدعاء، يقال وسوس له إذا أوهمه النصيحة، ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنىٰ، وفي ذلك قول رؤبة بن العجاج(٢٢٨):

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق ... سراً وقد أوّن تأوين العقق

(٢٢٧) وقد ذكر المؤلف الأقوال في ذلك في تفسير سورة البقرة إلا أنه لم يذكر القولين الأخيرين.

(٢٢٨) ديوان: ١٠٨ واللسان (وسس).

فإن قيل: فكيف وسوس لهما وهما في الجنة وهو خارج عنها؟ فعنه ثلاثة أجوبة هي أقاويل اختلف فيها أهل التأويل:

أحدها: أنه وسوس إليهما وهما في الجنة في السماء، وهو في الأرض، فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى السماء ثم الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه فيلقاهما هناك.

والثالث: أنه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها.

﴿.. وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾ وهذا هو الذي ألقى به من الوسوسة إليهما استغواءً لهما بالترغيب في فضل المنزلة ونعيم الخلود.

فإن قيل: هل تصورا ذلك مع كمال معرفتهما؟

قيل: إنما كملت معرفتهما بالله تعالى لا بأحكامه.

وفي قول إبليس ذلك قولان:

أحدهما: أنه أوهمهما أن ذلك في حكم الله جائز أن يقلب صورتهما إلى صور الملائكة وأن يخلدهما في الجنة.

والثاني: أنه أوهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة مع علمهما بأن قلب الصور لا يجوز.

قوله عز وجل: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ أي حلف لهما على صدقه في خبره ونصحه في مشورته، فقبلا قوله وتصورا صدقه لأنهما لم يعلما أن أحداً يجترىء على الحلف بالله كاذباً.

ويحتمل وجهاً آخر: أن يكون معنى قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي قال لهما: إن كان ما قلته خيراً فهو لكما دوني وإن كان شراً فهو عليّ دونكما ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما، فكانت هذه مقاسمتهما أن قسم الخير لهما والشر له على وجه الغرور لتنتفي عنه التهمة ويسرع إليه القبول(٢٢٩).

---

(٢٢٩) ولا شك أن هذا القول أرجح لأن اللعين دخل عليهما من باب الركون والخلود والمسلم يصدق من يحلف له بالله ولا يصدق أن أحداً يحلف بالله كاذباً كإبليس ولهذا كان قسم إبليس هذا بمثابة شراكاً نصبه اللعين للأبوين فأوقعهما فيه ودلاهما بغرور.

فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ معناه فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية.

فإن قيل: فهل علما عند أكلهما أنها معصية؟

قيل: لا، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما بالغرور.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ فإن قيل:

فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل؟

ففي ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنهما كانا مستورين بالطاعة فانكشف الستر عنهما بالمعصية.

والثاني: أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذل المهانة.

والثالث: أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ في ﴿وَطَفِقَا﴾ وجهان:

أحدهما: قاما يخصفان، قاله ابن بحر.

والثاني: جعلا يخصفان، أي يقطعان.

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: ورق الموز.

والثاني: ورق التين، قاله ابن عباس.

قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فإن قيل:

فالمأمور بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس قد كان أهبط من قبل حين امتنع عن السجود لآدم، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه خبر عن هبوطهم مع تفرقهم وإن خرج مخرج الأمر، قاله السدي.

والثاني: أنهم آدم وحواء والحية، فكانوا جماعة، قاله أبو صالح (٢٣٠).

والثالث: أنهم آدم وحواء والوسوسة، قاله الحسن.

فهبط آدم بأرض الهند على جبل يقال له واسم، وهبطت حواء بجدة، وهبطت الحية بأصفهان.

وفي مهبط إبليس قولان.

أحدهما بالأبلة.

والثاني: بالمدار.

وقيل أسكنهما الجنة لثلاث ساعات خلت من يوم الجمعة، وأخرجهما لتسع ساعات خلت من ذلك اليوم.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أما المستقر ففيه وجهان:

أحدهما: أنه فعل الاستقرار.

والثاني: أنه موضع الاستقرار، قاله أبو صالح.

وأما المتاع فهو المنتفع به من عروض الدنيا التي يستمتع بها.

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى انقضاء الدنيا، والحين وقت مجهول القدر ينطلق على طويل الزمان وقصيره وإن كان موضوعاً في الأغلب للتكثير.

---

(٢٣٠) وهذا القول لا دليل عليه كما قال ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٦ ولفظه «وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ولا في السياق ما يدل عليه م هـ والصواب أن الخطاب لآدم وحواء وإبليس.

قال الشاعر[٢٣١] .

وما مزاحك بعد الحلم والدين   وقد علاك مشيب حين لا حين

أي وقت لا وقت.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة.

وفي دخول الشبهة عليهم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عنها.

والثاني: تفاؤلاً بالتعري من الذنوب فقال الله تعالى:

﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً﴾ أي ما تلبسون من الثياب.

فإن قيل: فليس ذلك بمنزل من السماء.

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه لما كان ينبت من المطر الذي ينزل من السماء صار كالمنزل من السماء، قاله الحسن.

والثاني: أن هذا من بركات الله، والبركة تنسب إلى أنها تنزل من السماء، كما قال تعالى. ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥].

ثم قال: ﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾ أي يستر عوراتكم، وسميت العورة سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها.

ثم قال: ﴿وَرِيشاً﴾ وهذه قراءة أهل الأمصار وكان الحسن يقرأ: ﴿وَرِيَاشاً﴾[٢٣٢] وفيه أربعة تأويلات:

---

(٢٣١) والبيت لجرير الشاعر ديوانه: ٥٨٦ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢) والخزانة ٢/ ٩٤ والطبراني (١٢/ ٣٥٩) والبيت فيه:

ومــا مــراحُـكَ بـعـد الـحـلم والـديـن   وقـد عـلاك مـشـيـب حـيـن لا حـيـنِ

(٢٣٢) وهي قراءة ابن عباس وزر بن حبيش وقتادة والمفضل وأبان عن عاصم راجع زاد المسير (٣/ ١٨١).

أحدهما: أنه المعاش، قاله معبد الجهني.

والثاني: أنه اللباس والعيش والنعيم، قاله ابن عباس.

والثالث: أنه الجمال والزينة، قاله ابن زيد. ومنه قوله رؤبة:

إليك أشكو شدة المعيش وجهد أعوام نتفن ريشي

يريد أذهبن جمالي وزينتي.

والرابع: أنه المال، قاله ابن الزبير ومجاهد، قال الشاعر(٢٣٣):

فريشي منكم وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

وفي الريش والرياش وجهان:

أحدهما: أن معناهما واحد(٢٣٤) وإن اختلف لفظهما.

والوجه الثاني: أن معناهما مختلف، فالريش ما بطن، والرياش ما ظهر.

ثم قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وفي لباس التقوى سبعة تأويلات(٢٣٥):

أحدها: أنه الإيمان، قاله قتادة والسدي.

الثاني: الحياة(٢٣٦)، قاله معبد الجهني.

والثالث: أنه العمل الصالح، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه السمت الحسن، قاله عثمان بن عفان.

والخامس: خشية الله، قاله عروة بن الزبير.

السادس: ستر العورة للصلاة التي هي التقوىٰ، قاله ابن زيد.

والسابع: لبس ما يُتَّقَىٰ به الحر والبرد(٢٣٧)، قاله ابن بحر.

---

(٢٣٣) والشاعر هو جرير والبيت في ديوانه ٥٠٦ وفي كتاب سيبويه ٢/ ٤٥ ونسبه للراعي.

(٢٣٤) وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٨٢) عن الأكثرين من المفسرين.

(٢٣٥) وجمع فيها ابن الجوزي عشرة أقوال (٣/ ١٨٢، ١٨٣).

(٢٣٦) كذا هنا والصواب الحياء والتصويب من زاد المسير (٣/ ١٨٣) وزاد نسبة القول لابن الأنباري والطبري.

(٢٣٧) ولا تنافي بين هذه الأقوال فهي مندرجة تحت تقوى الله ولهذا قال ابن جرير رحمه الله (١٢/ ٣٧١) وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله ﴿ولباس التقوى﴾ استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه عن معاصيه والعلم بما أمر به من طاعته وذلك بجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن فإن من اتقى الله كان به مؤمناً وبما أمره به عاملاً ومنه خائفاً وله مراقباً ومن أن يُرَى عنه ما يكرهه من عباده مستجيباً ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهديه ورُئيت عليه بهجة الإيمان ونوره أ هـ.

وفي قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه راجع إلى لباس التقوىٰ ومعنىٰ الكلام أن لباس التقوىٰ خير من الرياش واللباس، قاله قتادة والسدي.

والثاني: أنه راجع إلى جميع ما تقدم من ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوىٰ﴾ ، ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرته هو ﴿خَيْرٌ﴾ كله.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ وهذا خطاب توجه إلى من كان من العرب يطوف بالبيت عرياناً، فقيل لهم لا يفتننكم الشيطان بغروره كما فتن أبويكم من قبل حتىٰ أخرجهما من الجنة، ليكون إشعارهم بذلك أبلغ في الزجر من مجرد النهي.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن لباسهما كان أظفاراً تستر البدن فنزعت عنهما وتركت زينة وتبصرة، قاله ابن عباس.

الثاني: أن لباسهما كان نوراً، قاله وهب بن منبه.

والثالث: أنه نزع عنهما لباسهما من تقوىٰ الله وطاعته، قاله مجاهد.

﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أجسادهما من العورة حين خرجا من لباسهما، وهو مقتضىٰ قول ابن عباس.

والثاني: سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوىٰ الله وطاعته، وهو معنىٰ قول مجاهد.

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنَ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قومه، وهو قول الجمهور.

والثاني: جيلُهُ[٢٣٨]، قاله السدي.

﴿مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من حيث لا تبصرون أجسادهم.

والثاني: من حيث لا تعلمون مكرهم وفتنتهم.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا
وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ
﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

قوله وعز وجل: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ في هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة، والفاحشة التي فعلوها كشف العورة، وهذا قول أكثر المفسرين.

والثاني أنها في عبدة الأوثان، والفاحشة التي فعلوها الشرك، قاله الحسن.

والثالث أنها اتخاذ البَحِيْرَةِ والسائبة والوصيلة والحام، قاله الكلبي.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالصدق.

والثاني: بالعدل.

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد.

والثاني: معناه اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون ما سواه من الأوثان والأصنام، قاله الربيع بن أنس.

(٢٣٨) أي صنفه وجنسه.

والثالث: معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ندباً عند الأكثرين، وحتماً عند الأقلين.

والرابع: أن أي موضع أدركت فيه وقت الصلاة فصل فيه فإنه مسجد ولا تؤخرها إلى حضور المسجد.

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أقروا له بالوحدانية وإخلاص الطاعة.

والثاني: ارغبوا إليه في الدعاء بعد إخلاصكم له الدين.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: كما بدأكم شقياً وسعيداً، كذلك تبعثون يوم القيامة، قاله ابن عباس.

الثاني: كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم، كذلك تبعثون يوم القيامة، روى أبو سفيان عن جابر(٢٣٩) عن النبي ﷺ قال: «تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ».

والثالث: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون بعد الفناء أحياء، قاله الحسن، وابن زيد.

والرابع: كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تبعثون يوم القيامة.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن(٢٤٠) النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً وَأَوَّلُ مَنْ يُكسَىٰ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ»، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف على ما تقدم ذكره، قاله ابن

(٢٣٩) رواه الطبري (١٢/ ٣٨٤) واللفظ له ورواه مسلم (١٧/ ٢١٠ نووي) وابن ماجة (٤١٤١) و(٤٢٣٠) ولفظه يحشر الناس على نياتهم.

(٢٤٠) رواه الطبري (١٢/ ٣٨٦) واللفظ له والبخاري (٨/ ٣٣٢)، (١١/ ٣٣١) ومسلم (١٧/ ١٩٣، ١٩٤) نووي وأحمد برقم (١٩٥٠، ٢٠٢٧)، والنسائي (٤/ ١١٧). وسيأتي هذا الحديث مرة أخرى.

عباس، والحسن، وعطاء، وقتادة، وسعيد بن جبير، وإبراهيم.

والثاني: أنه وارد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج.

والثالث: أنه وارد في التزين بأجمل اللباس في الجمع والأعياد.

والرابع: أنه أراد به المشط لتسريح اللحية.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ يعني ما أحله الله لكم.

ويحتمل أن يكون هذا أمر بالتوسع في الأعياد.

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تسرفوا في التحريم، قاله السدي.

والثاني: معناه لا تأكلوا حراماً فإنه إسراف، قاله ابن زيد.

والثالث: لا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر، وقد جاء في الحديث: «أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البردة»(٢٤١)، يعني التخمة.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: لا تسرفوا في الإنفاق.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يحب أفعالهم في السرف.

والثاني: لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ يعني ستر العورة رداً على تركها من العرب في الطواف.

ويحتمل ثانياً: أن يريد زينتها في اللباس.

ثم قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يحرمون في الإحرام(٢٤٢) أكل السمن واللبن، قاله ابن زيد، والسدي.

---

(٢٤١) رواه ابن السي وأبو نعيم عن أنس مرفوعاً ورويناه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري مثله كما في الدر المنثور (٣/ ٤٤٥) والله أعلم بحال سنديهما.

(٢٤٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٢٠٠)، وما أحسن ما قال ابن جرير الطبري ولقد أخطأ من آثر لباس

والثاني: أنها البَحِيْرَةُ والسائبة التي حرموها على أنفسهم، قاله الحسن، وقتادة.

وفي طيبات الرزق قولان:

أحدهما: أنه المستلذ.

والثاني: أنه الحلال.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ يعني أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا لهم الطيبات من الرزق يوم القيامة لأنهم في القيامة يختصون بها وفي الدنيا قد يشركهم الكفار فيها.

وفي قوله: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ وجهان:

أحدهما: خالصة لهم من دون الكفار.

والثاني: خالصة من مضرة أو مأثم.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الفواحش: الزنىٰ خاصة، وما ظهر منها: المناكح الفاسدة، وما بطن: الزنىٰ الصريح.

والثاني: أن الفواحش: جميع المعاصي، وما ظهر منها: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب.

﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الإثم الخيانة في الأمور، والبغي: التعدي في النفوس.

الشعر والصوف على لباس القطن والكتان مع وجود السبيل إليه من حله ومن آكل البقول العدس واختاره على خبز البر ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض الشهوة أ هـ.

والثاني: الإثم[٢٤٣]: الخمر، والبغي: السكر، قال الشاعر:[٢٤٤].

شربت الإثم حتى ضلَّ عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول

وسمي الخمر بالإثم، والسكر بالبغي لحدوثه عنهما.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ولكل أمة كتاب فيما قضاه الله عليهم من سعادة أو شقاوة، من عذاب أو رحمة، قاله جويبر.

الثاني: ولكلِ نبي يدعوهم إلى طاعته وينهاهم عن معصيته، قاله معاذ بن جبل.

والثالث: لكل أمة أجل فيما قدره الله من حياة، وقضاه عليهم من وفاة.

ويحتمل رابعاً: ولكل أمة مدة يبقون فيها على دينهم أن يحدثوا فيه الاختلاف.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أجل موتهم.

الثاني: أجل عذابهم، قاله جويبر.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص.

والثاني: لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر.

---

(٢٤٣) قال الشوكاني رحمه الله (٢/ ٢٠١) وقد أنكر جماعة من أهل العلم على من جعل الإثم خاصاً بالخمر قال النحاس فأما أن يكون الإثم بالخمر فلا يعرف ذلك وحقيقته أنه جميع المعاصي م هـ راجع زاد المسير (٣/ ١٩١) وروح المعاني (٨/ ١١٢).

(٢٤٤) زاد المسير (٣/ ١٩٢) وفتح القدير (٢/ ٢٠١) وروح المعاني (١١٢/٨).

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: هو عذاب الله الذي أعده لمن أشرك، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: ما سبق لهم من الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس.

والثالث: نصيب من كتابهم الذي كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر، قاله قتادة.

والرابع: نصيبهم مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل، قاله الربيع بن أنس، وابن زيد.

والخامس: نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر، قاله الضحاك.

﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ في توفي الرسل لهم هنا قولان:

أحدهما: أنها وفاة الموت في الدنيا التي توبخهم عندها الملائكة.

والثاني: أنها وفاة الحشر إلى النار يوم القيامة، قاله الحسن.

قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً﴾ يعني في النار أدرك بعضهم(٢٤٥) بعضاً حتى استكملوا فيها.

(٢٤٥) أي اجتمع فيها الأولون والآخرون من الكافرين من أهل الملل يقال ادركوا وتداركوا أي اجتمعوا مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٤).

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمُ لِأُولَاهُمْ﴾ يعني الأتباع للقادة لأنهم بالاتباع لهم متأخرون عنهم، وكذلك في دخول النار تقدم القادة على الأتباع.

﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَئَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ يريد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر، وبالآخر عذابهم على الإغواء.

ويحتمل هذا القول من الأتباع وجهين:

أحدهما: تخفيف العذاب عنهم.

والثاني: الانتقام من القادة بمضاعفة العذاب عليهم.

فأجابهم الله قال: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب، لأن أحدهما بالكفر، والآخر بالإغواء، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب، وهذا قول الجمهور، وإن ضعف الشيء زيادة مثله.

وفيه وجه ثان: قاله مجاهد: أن الضعف من أسماء العذاب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أي لا تفتح لأرواحهم[٢٤٦] لأنها لا تفتح لروح الكافر وتفتح لروح المؤمن، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: لا تفتح لدعائهم، قاله الحسن.

والثالث: لا تفتح لأعمالهم، قاله مجاهد، وإبراهيم.

والرابع: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء، وهذا قول بعض المتأخرين.

والخامس: لا تفتح لهم أبواب السماء لنزول الرحمة عليهم، قاله ابن بحر.

---

(٢٤٦) ويتأيد هذا القول بما ثبت في حديث البراء بن عازب الطويل الذي يشرح فيه قبض روح الكافر والمؤمن وهو حديث صحيح جمع طرقه وزوائده العلامة الألباني في أحكام الجنائز ص.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: سم الخياط: ثقب الإبرة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والسدي.

والثاني: أن سم الخياط هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد أي ثقبه.

وفي ﴿ٱلْجَمَلُ﴾ قراءتان:

إحداهما: وعليها الجمهور، الجَمَل بفتح الجيم وتخفيف الميم وهو ذو القوائم الأربع.

والثانية الجُمَّل بضم الجيم وتشديد الميم وهو القلس(٢٤٧) الغليظ، وهذه قراءة سعيد بن جبير(٢٤٨)، وإحدى قراءتي ابن عباس، وكان ابن عباس يتأول أنه حبل السفينة.

ومعنى الكلام أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبداً، وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفي، والعرب تضرب هذا للمبالغة، قال الشاعر:(٢٤٩).

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وعاد القادر كاللبن الحليب

قوله عز وجل: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ قال الحسن: فراش من نار، والمهاد: الوِطَاء، ومنه أخذ مهد الصبي.

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها اللحف.

والثاني: اللباس.

والثالث: الظلل، قاله الحسن.

---

(٢٤٧) هو الحبل الغليظ من حبال السفن وسيأتي تفسيره فيما بعد.

(٢٤٨) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٣/ ١٩٧) «وهي قراءة أبي رزين ومجاهد وابن محيص وأبي مجلز وابن يعمر وإبان عن عاصم وروى مجاهد عن ابن عباس» حتى يلج الجُمَلُ بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها فقال هي قراءة قتادة وقد رويت عن سعيد بن جبير وأنه قرأ حتى يلج الجُمْل بضم الجيم وتسكين الميم وهي قراءة عكرمة أيضاً م هـ.

(٢٤٩) في شطر البيت الثاني خطأ هنا لعله من الناسخ وصوابه:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وعاد القار كاللبن الحليب

والمراد بذلك أن النار من فوقهم ومن تحتهم، فعبر عما تحتهم بالمهاد، وعما فوقهم بالغواش (٢٥٠).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم منْ غِلٍّ . . .﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: الأهواء والبدع، قاله سهل بن عبدالله.

والثاني: التباغض والتحاسد.

والثالث: الحقد.

والرابع: نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم.

وفي نزعه وجهان:

أحدهما: أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه.

والثاني: أن ما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزعه من صدورهم.

وفي هذا الغل قولان:

أحدهما: أنه غل الجاهلية، قاله الحسن.

والثاني أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان، وقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه(٢٥١) قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

---

(٢٥٠) قال العلامة الآلوسي (٨/ ١١٩) «ولا يخفى على المتأمل في لطائف القرآن العظيم ما في إعداد المهاد والغواش لهؤلاء المستكبرين عن الآيات ومنعهم من العروج إلى الملكوت وتقييد عدم دخولهم الجنة بدخول البعير بخرق الإبرة من اللطافة فتأمل أ هـ.

(٢٥١) رواه ابن جرير (١٢/ ٤٣٨).

وقيل: إنها نزلت في أهل بدر.

ويحتمل قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ وجهين:

أحدهما: هدانا لنزع الغل من صدورنا.

والثاني: هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا.

وفيه وجه ثالث: قال جويبر: هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿... وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أما الأعراف فسور بين الجنة والنار، قاله مجاهد، والسدي، وهو جَمْعٌ وَاحِدُهُ عُرْف وهو ما ارتفع عن غيره، ومنه عرف الديك وعرف الفرس، قال الراجز.

كل كتاب لجمعه موافي ... كالعلم الموفي على الأعراف(٢٥٢).

وفي الذين على الأعراف خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم فضلاء المؤمنين وعلماؤهم، قاله الحسن، ومجاهد، قال أمية بن أبي الصلت:

وآخرون على الأعراف قد طمعوا ... بجنة حفها الرمان والخضر

(٢٥٢) كذا قال وهو خطأ والصواب.

كل كناز لحمه يناف ... كالعلم الموفي على الأعراف

والتصويب من الطبري (٢/ ٤٥٠) وغيره والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢١٥) واللسان (نوف) وغريب القرآن: ١٦٨ وزاد المسير (٣/ ٢٠٥).

وهذا وإن كان شعراً جاهلياً وحال الأعراف منقول عن خبر يروى فيحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية.

والثاني: أن يكون الله قد أنطق به أمية إلهاماً لتصديق ما جاء به القرآن.

والثاني: أنهم ملائكة يُرَون في صور الرجال، قاله أبو مجلز (٢٥٣).

والثالث: أنهم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس، قاله حذيفة.

والرابع: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضي الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة، قاله ابن مسعود.

والخامس: أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم قيل إنهم غزوا بغير إذنهم، وقد روىٰ محمد بن عبدالرحمن عن أبيه (٢٥٤) قال:

سُئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «**هُمْ قَومٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَعْصِيةِ آبَائِهِمْ، فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ النَّارِ ومنعهم مَعْصِيَةُ آبَائِهِم أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ**».

ومعنى قوله: ﴿**يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**﴾ يعني يعرفون أهل النار وأهل الجنة بعلامتهم التي يتميزون بها، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم، قال الحسن البصري: علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون.

فإن قيل في أصحاب الأعراف: إنهم فضلاء المؤمنين كان ذلك زيادة في ثوابهم ومبالغة في كرامتهم لأنهم يرون منازلهم في الجنة فيستمتعون بها، ويرون عذاب النار فيفرحون بالخلاص منها.

---

(٢٥٣) قال الطبري معقباً على هذا القول (١٢/ ٤٦١) «قول لا معنى له».

(٢٥٤) رواه الطبري (١٢/ ٤٥٨) من حديث عبد الرحمن المزني.

وزاد السيوطي في الدر (٣/ ٤٦٤) نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في البعث والخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن الأنباري في الأضداد وأحمد بن منيع والحارث بن أبي أسامة وسعيد بن منصور.

وفي سند الحديث أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني وهو ضعيف راجع التعليق على الخبر في الطبري (١٢/ ٤٥٨).

وإن قيل: إنهم المفضلون وأصحاب الصغائر من المؤمنين كان ذلك لنقص ثوابهم عن استحقاق الدخول للجنة.

وإن قيل: إنهم الملائكة، احتمل أمرهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يؤمروا بذلك حمداً لأهل الجنة وذماً لأهل النار وزيادة في الثواب والعقاب.

والثاني: أن يكونوا حفظة الأعمال في الدنيا الشاهدين بها عند الله في الآخرة أمروا بذلك، ما أدوه من الشهاد تبشيراً لأهل الجنة وتوبيخاً لأهل النار.

والثالث: أن يكونوا خزنه الجنة والنار، فإن من الملائكة من أفرد لخزنة الجنة، ومنهم من أفرد لخزنة النار، ويكون هؤلاء قد جمع لهم بين الأمرين، والله أعلم بغيب ذلك.

وحكى ابن الأنباري أن قوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ معناه على معرفة أهل الجنة والنار رجال، وأن قوله: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوفٌ عَلَيكُم﴾ الآية. من قول أصحاب الأعراف، وهو مخالف لقول جميع المفسرين.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

وفي قوله: ﴿وَنَادَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه بمعنى ينادي، لأنه في المستقبل.

والثاني: أنه على الحذف وتقديره: إذا كان يوم القيامة نادى أصحاب الأعراف.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ماء الرحمة ومما رزقكم الله من القربة.

والثاني: من ماء الحياة ومما رزقكم الله من النعم.

وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن.

﴿فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بيَّنا ما فيه من الحلال والحرام على علم بالمصلحة.

والثاني: ميزنا به الهدىٰ من الضلالة على علم بالثواب والعقاب.

﴿هُدىً وَرَحْمَةً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الهدىٰ البرهان.

والثاني: أن الهدىٰ الإرشاد، والرحمة: اللطف.

قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي هل ينظرون، فعبر عن الانتظار بالنظر، ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي تأويل القرآن، وفيه وجهان:

أحدهما: عاقبته من الجزاء، قاله الحسن.

والثاني: ما فيه من البعث والنشور والحساب.

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القضاء به، قاله الحسن.

الثاني: عاقبة ما وعدهم الله به في الدنيا والآخرة، قال الكلبي.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معنى نسوه أعرضوا عنه فصار كالمنسي، قاله أبو مجلز.

والثاني: تركوا العمل به، قاله الزجاج.

﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنبياء الله في الدنيا بكتبه المنذرة.

والثاني: الملائكة عند المعاينة بما بشروهم به من الثواب والعقاب.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة أوجه:

أحدها: أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته.

والثاني: أن ذلك لاعتبار الملائكة، خلق شيئاً بعد شيء.

والثالث: أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها، قاله مجاهد.

والرابع: ليعلمنا بذلك: الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه استوىٰ أمره على العرش، قاله الحسن.

والثاني استولى على العرش(٢٥٥)، كما قال الشاعر:

قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ   مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقِ

(٢٥٥) قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتخذه مكاناً لذاته وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر». ومذهب السلف الصالح أن الله تعالى استوى على العرش استواءً يليق بكماله وجماله من غير كيف ولا مماسة ولا استقرار.

وفي ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة، حكاه ابن بحر.

والثاني: أنه السموات كلها لأنها سقف[٢٥٦]، وكل سقف عند العرب هو عرش، قال الله تعالى: ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢] [الحج: ٤٥] أي على سقوفها.

والثالث: أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها، محجوب عن ملائكة السماء.

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي يغشي ظلمة الليل ضوء النهار.

﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ لأن سرعة تعاقب الليل والنهار تجعل كل واحد منهما كالطالب لصاحبه.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مذللات بقدرته.

والثاني: جاريات بحكمه.

﴿ أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مالك الخلق وتدبيرهم.

والثاني: إليه إعادتهم وعليه مجازاتهم.

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الرغبة والرهبة، قاله ابن عباس.

---

(٢٥٦) والصواب أن العرش هو مخلوق عظيم من مخلوقات الرب تبارك وتعالى ويطلق على سرير الملك وقد وردت فيه أحاديث كثيرة راجعها في الرسالة العريشية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

والثاني: التضرع: التذلل والخضوع، والخفية: إخلاص القلب.

ويحتمل أن التضرع بالبدن، والخفية إخلاص القلب.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يعني في الدعاء، والاعتداء فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز.

والثاني: أنه يدعو باللعنة والهلاك على من لا يستحق، قاله مقاتل.

والثالث: أن يرفع صوته بالدعاء[٢٥٧]، روى أبو عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال[٢٥٨]: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فأشرفوا واد، فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم، فقال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُم إِنَّكُم لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً إِنَّكُم تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ».

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان.

والثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة، قاله الكلبي.

والرابع: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه، قاله الحسن.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

والثاني: خوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فإن قيل: فلم أسقط الهاء من قريب والرحمة مؤنثة؟

فعن ذلك جوابان[٢٥٩]:

أحدهما: أن الرحمة من الله إنعام منه فَذُكِّرَ على المعنىٰ، وهو أن إنعام الله قريب من المحسنين، قاله الأخفش.

---

(٢٥٧) ولا شك في دخول هذه الأقوال الثلاثة في الاعتداء في الدعاء قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٢٩٨ فتح) «والاعتداء في الدعاء يقع بزيادة الرفع فوق الحاجة أو يطلب ما يستحيل حصوله شرعاً أو يطلب معصية أو يدعو بما يؤثر خصوصاً وما وردت كراهته كالسجع المتكلف وترك المأمور».

(٢٥٨) رواه الطبري (١٢/ ٤٨٦) واللفظ له والبخاري (٦/ ٩٤) ومسلم (٤/ ٢٠٧٦).

(٢٥٩) وقد جمع العلامة ابن القيم مسالك الناس في توجيه ذلك والإجابة عليها مسلكاً مسلكاً في كتابه بدائع الفوائد.

والثاني: أن المراد به مكان الرحمة، قاله الفراء، كما قال عروة بن حزام(٢٦٠):

عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءَ مِنكِ قَرِيبَةٌ ... فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ مِنْكِ بَعِيدُ

فأراد بالبعد مكانها فأسقط الهاء، وأرادها هي بالقريبة فأثبت الهاء.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ
نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ
وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني طيب التربة.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ يعني يخرج نباته حسناً جيداً.

﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن النكد القليل الذي لا ينتفع به، قاله السدي.

والثاني: أنه العسر بشدته المانع من خيره، قال الشاعر: (٢٦١).

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً ... لَا خَيْرَ فِي الْمَنْكُودِ وَالنَّاكِدِ

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فجعل المؤمن كالأرض الطيبة والكافر كالأرض الخبيثة السبخة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ

(٢٦٠) ديوانه: الطبري (١٢/ ٤٨٨) ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٨١) وسمط اللآلي (١/ ٤٠١) وتزيين الأسواق (١/ ٨٤). والبيت في الديوان:

عشية لا عفراء منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب

(٢٦١) اللسان (نكد) والطبري (١٢/ ٤٩٥).

(٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)

قوله عز وجل: ﴿. . . وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ فيها قولان:

أحدهما: القوة، قاله ابن زيد.

والثاني: بسط البدن وطول الجسد، قيل: إنه كان أقصرهم طولاً اثني عشر ذراعاً.

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ معناه نعم الله، وقال الشاعر: (٢٦٢).

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الهُزَالَ وَلَا ... يَقْطَعُ رَحِماً وَلَا يَخُونُ إِلَىٰ

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا
تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا

(٢٦٢) البيت لأعشى قيس ديوانه ٢٣٥ ومجاز القرآن (١/ ٢١٨) واللسان (ألا).

نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا
كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ في الرجس ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه العذاب، قاله زيد بن أسلم.

والثاني: السخط، قاله ابن عباس.

والثالث: أن الرجس والرجز بمعنى واحد إلا أن الزاي قلبت سيناً كما قلبت السين تاء في قول الشاعر: (٢٦٣).

أَلَا لَحَى اللَّهُ بَنِي السَّعْلَاةِ عَمْرِو بنِ يَرْبُوعَ لِئَامَ النَّاتِ
لَيْسُوا بِأَعْفَافٍ وَلَا أَكْيَاتِ

يريد الناس، وأكياس.

قوله عز وجل: ﴿. . . فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني الأصنام، وفي مراده بتسميتهم وجهان:

أحدهما: في تسميتها آلهة يعبدونها.

والثاني: أنه تسميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر، والآخر أنه يأتيهم بالرزق، والآخر أنه يشفي المريض، والآخر يصحبهم في السفر.

وقيل: إنه ما أمرهم هود إلا بتوحيد الله والكف عن ظلم الناس فأبوا وقالوا: من أشد منا قوة، فأهلكوا.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ

(٢٦٣) نوادر أبي زيد ١٠٤، ١٤٧ والديوان (١/ ١٨٧) (٦/ ١٦١).

إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا
قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ
بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ
﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ في الآية هنا وجهان:

أحدهما: أن الآية الفرض كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ﴾ [النور: ١] أي فرضاً، ويكون معنى الكلام هذه ناقة الله عليكم فيها فرض أن تذروها ﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي لا تعقروها.

والثاني: أنها العلامة الدالة على قدرته.

والآية فيها آيتان:

إحداهما: أنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها.

والثانية: أنه كان لها شرب يوم، ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم، حكي ذلك عن أبي الطفيل والسدي وابن إسحاق.

قوله عز وجل: ﴿. . . وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنزلكم في الأرض وهي أرض الحجر بين الشام والمدينة.

والثاني: فيها من منازل تأوون إليها، ومنه قولهم: بوأته منزلاً، إذا أمكنته منه ليأوي إليه، قال الشاعر(٢٦٤):

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا ... فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا

---

(٢٦٤) هو إبراهيم بن هَرْمَة كما في مجاز القرآن (١/ ٢١٨) وشواهد المغني (٢٨٠) واللسان (بوأ).

أي مكنت من الكرم في صميم النسب.

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ والقصور ما شيد وعلا من المنازل اتخذوها في سهول الأرض ليصيِّفوا فيها.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً﴾ لتكون مساكنهم في الشتاء لأنها أحصن وأبقى وأدفأ فكانوا طوال الآمال طوال الأعمار.

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ فيه ما قدمنا، أي نعمه أو عهوده.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تعملوا فيها بالمعاصي.

والثاني: لا تدعوا إلى عبادة غير الله.

وفي العبث وجهان:

أحدهما: أنه السعي في الباطل.

والثاني: أنه الفعل المؤدي لضير فاعله.

قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها حركة الأرض تضطرب من تحتهم.

والثاني: أنها الصيحة، قاله مجاهد، والسدي.

والثالث: أنها زلزلة أهلكوا بها، قاله ابن عباس.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ قال محمد بن مروان السدي: كل ما في القرآن من ﴿دَارِهِمْ﴾ فالمراد به مدينتهم، وكل ما فيه من ﴿دِيَارِهِم﴾ فالمراد به مساكنهم، وفي الجاثم قولان:

أحدهما: أنه البارك على ركبتيه(٢٦٥) لأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال.

والثاني: معناه أنهم أصبحوا كالرماد الجاثم لأن الصاعقة أحرقتهم.

وقيل: إنه كان بعد العصر.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي خرج من بين أظهرهم، وقيل إن صالحاً خرج عنهم إلى رملة فلسطين بمن آمن معه من قومه وهم مائة وعشرة، وقيل إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها.

---

(٢٦٥) ومنه قول جرير في ديوانه: ٥٠٧.

عرفت المنتأى وعرفت منها ... مطايا القِدر كالحِدَإ الجثوم

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن
لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ
ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟
أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . **إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ (٢٦٦) فيه وجهان:

أحدهما: من إتيان الأدبار.

والثاني: يتطهرون بإتيان النساء في الأطهار، قال الشاعر:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا سَدُّوا مَآزِرَهُم   دُونَ النِّسَاءِ وَلَو بَانَتْ بِأَطْهَارِ

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ**﴾ فيه وجهان:

أحدها: فخلصناه.

والثاني: على نجوة من الأرض، وقيل: إن أهله ابنتاه واسمهما زينا ورميا.

﴿**مِنَ ٱلْغَابِرِينَ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من الباقين في الهلكى، والغابر الباقي، ومنه قول الراجز(٢٦٧):

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَر   لَهُ الإِلَٰهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَر

---

(٢٦٦) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (٨/ ١٧١) «ومقصود الأشقياء بهذا الوصف السخرية بلوط ومن معه وبتطهرهم من الفواحش وتباعدهم عنها وتنزههم عما في المحاش والافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أخرجوا عنا هذا المتقشف أريحونا من هذا المتزهد أ هـ قلت وما أكثر الشطار في زماننا الذين ينابزون أهل السنة العداء ويصبون عليهم السباب والشتائم.

(٢٦٧) هو رؤبة بن العجاج والبيت من أرجوزة في ديوانه ص ٤، ٢٨.

والثاني: من الغابرين في النجاة، من قولهم: قد غبر عنا فلان زماناً إذا غاب، قال الشاعر: (٢٦٨)

أَفَبَعْدَنَا أو بَعْدَهُمْ يُرْجَى لِغَابِرِنَا الْفَلاَحُ

والثالث: من الغابرين في الغم، لأنها لقيت هلاك قومها، قاله أبو عبيدة.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ الصراط: الطريق، قال الشاعر: (٢٦٩).

شَحَنَّا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى تَرَكْنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصِّرَاطِ

وفي المراد به ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم كانوا يقعدون على الطريق إلى شعيب يؤذون من قصده للإيمان به ويخوفونه بالقتل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أنه نهاهم عن قطع الطريق، قاله أبو هريرة.

والثالث: أنهم العشارون نهاهم عن تعشير أموال الناس.

---

(٢٦٨) هو طرفة بن العبد.

(٢٦٩) هو عامر بن الطفيل وقد تقدم تخريج البيت.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: تصدون المؤمنين عن طاعة الله وعبادته.

والثاني: تصدون من أراد الإيمان بإغوائه ومخادعته.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ قال قتادة: يعني تبغون السبيل عوجاً عن الحق.

والفرق بين العوج بالكسر وبالفتح أن العوج بكسر العين ما كان في الدين، ولا يُرَىٰ، والعوج بفتح العين ما كان في العـود، وما يرى.

﴿وَٱذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ حكى الزجاج فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: كثر عددكم بعد القلة قال ابن عباس: وذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج زينا بنت لوط وولد آل مدين منها.

والثاني: كثركم بالغنى بعد الفقر.

والثالث: كثركم بالقوة بعد الضعف.

وذكر بعض المفسرين وجهاً رابعاً: أنه كثرهم بطول الأعمار بعد قصرها من قبل.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ
مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدنَا في مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ والفرق بين الملة والدين أن الملة ما شرعه الله، والدين ما اعتقده الناس تقرباً إلى الله، فصار كل دين ملة وليس كل ملة ديناً.

فإن قيل: فالعود إلى الشيء الرجوع إليه بعد الخروج منه فهل كان شعيب على ملة قومه من الكفر حتى يقول: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾.

في الجواب عنه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن هذه حكاية عمن اتبع شعيباً من قومه الذين كانوا قبل اتباعه على ملة الكفر.

الثاني: أنه قال ذلك على التوهم أنه لو كان عليها لم يعد إليها.

والثالث: أنه يطلق ذكر العَود على المبتدىء بالفعل وإن لم يسبق منه فعل مثله سن قولهم: قد عاد عليّ من فلان مكروه وإن لم يسبقه بمثله كقول الشاعر:

لَئِنْ كَانَت الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ
أَتَى دُونَ حُلْوِ الْعَيْشِ شَيْءٌ أُمِرُّهُ كُرُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ كُرُوبُ

ثم قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن نعود في القرية إلّا أن يشاء الله، قاله بعض المتكلمين.

والثاني: وهو قول الجمهور أن نعود في ملة الكفر وعبادة الأوثان.

فإن قيل فالله تعالى لا يشاء عبادة الأوثان فما وجه هذا القول من شعيب؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قد كان في ملتهم ما يجوز التعبد به.

والثاني: أنه لو شاء عبادة الوثن لكانت عبادته طاعة لأنه شاءه كتعبده بتعظيم الحجر الأسود.

والثالث: أن هذا القول من شعيب على التعبيد والامتناع كقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ ٱلجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وكقولهم: حتى يشيب الغراب.

ثم قال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اكشف بيننا وبين قومنا، قاله قتادة.

والثاني: احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين. وذكر الفراء، أن أهل عُمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح. وقال غيره: إنه لغة مراد، قال الشاعر(٢٧٠).

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي عُصَمَ رَسُولاً بِأَنِّي عَنْ فَتَّاحِكُمْ غَنِي

(٢٧٠) تقدم تخريج هذا البيت ونزيد هنا أن من اصلاح المنطق ١١٢ والطبري (١٢/٥٦٤) والقرطبي (١٣/٩٤) واللسان (فتح) والشطر الثاني من البيت.

بأني عن فتاحتكم غني.

وقد قال ابن عباس: كنت لا أدري ما قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾ حتى سمعت بنت ذي يزن تقول: تعالَيْ أفاتحك، يعني أقاضيك. وقيل: إنه سمي بذلك لأنه يفتح باب العلم الذي قد انغلق على غيره.

فإن قيل: فما معنى قوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ومعلوم أن الله لا يحكم إلا بالحق؟.

ففي الجواب عنه أربعة أوجه:

أحدها: أنه قال ذلك صفة لحكمه لا طلباً له.

والثاني: أنه سأل الله أن يكشف لمخالفه من قومه أنه على حق.

الثالث: أن معناه احكم بيننا الذي هو الحق، قاله ابن بحر.

الرابع: احكم في الدنيا بنصر الحق، قاله السدي.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: كأن لم يقيموا فيها، قاله ابن قتيبة.

والثاني: كأن لم يعيشوا فيها، قاله الأخفش.

والثالث: كأن لم ينعموا فيها، قاله قتادة[٢٧١].

والرابع: كأن لم يعمروا فيها، قاله ابن عباس.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ ٱلخَاسِرِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالكفر.

والثاني: بالهلاك، قاله ابن عباس.

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا

(٢٧١) والذي في الطبري (١٢ / ٥٧٠) كأن لم يعيشوا كأن لم ينعموا، وفي الدار (٣ / ٥٠٢) زاد نسبته لعبد بن حميد. واقتصر على الجملة الأولى فقط.

بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن البأساء: القحط. والضراء: الأمراض والشدائد. قاله الحسن.

والثاني: أن البأساء الجوع. والضراء: الفقر، قاله ابن عباس.

والثالث: أن البأساء: البلاء، والضراء الزمانة.

والرابع: أن البأساء: ما نالهم من الشدة في أنفسهم. والضراء: ما نالهم في أموالهم، حكاه علي بن عيسى.

ويحتمل قولاً خامساً: أن البأساء الحروب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يتوبون.

الثاني: يدعون، قاله ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مكان الشدة الرخاء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد.

والثاني: مكان الخير والشر.

﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: حتى كثروا، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، قال لبيد[٢٧٢]:

وَأَنَاسٌ بَعْدَ قَتْلٍ قَدْ عَفَوْا ... وَكَثِيرٌ زَالَ عَنْهُمْ فَانْتَقَلْ

والثاني: حتى أعرضواْ، قاله ابن بحر.

والثالث: حتى سُرّوا، قاله قتادة.

والرابع: حتى سمنوا، قاله الحسن، ومنه قول بشر بن أبي حازم:

فَلَمَّا أَنْ عَفَا وَأَصَابَ مَالاً ... تَسَمَّنَ مَعْرِضاً فِيهِ ازْوِرَارُ

(٢٧٢) ديوان لبيد ص ١٥.

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّآءُ﴾ أي الشدة والرخاء يعنون ليس البأساء والضراء عقوبة على تكذيبك وإنما هي عادة الله في خلقه أن بعد كل خصب جدباً وبعد كل جدب خصباً.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

قوله عز وجلّ: ﴿... لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لرزقنا، قاله السدي.

والثاني: لوسعنا.

﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾: (بركات السماء: القطر. وبركات الأرض. النبات والثمار ويحتمل أن تكون بركات السماء قبول الدعاء. وبركات الأرض: تسهيل الحاجات.

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

وفي قوله تعالى: ﴿فَهُم لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون، كما قال في الصلاة: سمع الله لمن حمده، أي قبل الله ممن حمده، وقال الشاعر:(٢٧٣)

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا ... يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أي يقبل.

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ

(٢٧٣) اللسان (سمع).

لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِـم مِّنْ عَهْـدٍ﴾ في قولـه: ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ قولان:

أحدهما: أن العهد الطاعة، يريد: ما وجدنا لأكثرهم من طاعة لأنبيائهم، لأنه قال بعده ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ وتكون ﴿مِنْ﴾ في هذا الموضع على هذا التأويل زائدة.

والثاني: أنه محمول على ظاهر العهد أي من وفاء بعهده.

وفي المراد بالعهد هنا ثلاثة أقاويل.

أحدها: الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظهر آدم قاله أبو جعفر الطبري.

والثاني: ما جعله الله في عقولهم من وجوب شكر النعمة، وأن الله هو المنعم، قاله علي بن عيسى.

والثالث: أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، قاله الحسن ﴿وإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُم لَفَاسِقِينَ﴾ في قوله ﴿لَفَاسِقِينَ﴾ وجهان:

أحدهما: خارجين عن طاعته.

والثاني: خائنين في عهده، وهذا يدل على أن العصاة أكثر من المطيعين.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل: ﴿حَقِيقٌ على أن لا أقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إلاَّ ٱلْحَقَّ﴾ في ﴿حَقِيقٌ﴾ وجهان:

أحدهما: حريص، قاله أبو عبيدة.

والثاني: واجب، مأخوذ من وجوب الحق.

وفي قوله: ﴿إلاَّ ٱلْحَقَّ﴾ وجهان:

أحدهما: إلا الصدق.

والثاني: إلا ما فرضه الله عليّ من الرسالة.

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا
نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ أَرْجِه وَأَخَاهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه أخِّرْهُ، قاله ابن عباس والحسن.

والثاني: احبسه، قاله قتادة والكلبي.

﴿وَأَرْسِلْ في المَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هم أصحاب الشُرَط وهو قول الجماعة أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً (٢٧٤).

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ
أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ
ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ
ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

(٢٧٤) وفي عددهم أقوال أخرى تصل إلى ثلاثة عشر ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٤٠).

قوله عز وجل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ قال ابن عباس: العصا أول آيات موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع بطول موسى، قصد باب فرعون فألقى عليه الفزع، فشاب فخضب بالسواد استحياء من قومه، فكان فرعون أول من خضب بالسواد.

﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ معنى تلقف هو سرعة التناول إلا أن المراد هنا سرعة ابتلاعه بالفم. قال أبو حاتم: وهي في بعض القراءات تلقم بالميم والتشديد، قال الشاعر:

أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ ... تَلْقَمُ مَا يَأْفِكُهُ السَّاحِرُ

وفي قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: معناه يقلبون، ومنه المؤتفكات أي المنقلبات، قاله ابن عيسى.

والثاني: معناه يكذبون لأن الإفك هو الكذب، قاله مجاهد.

فإن قيل: فلم أمر موسى السحرة أن يلقوا وذلك منهم كفر ولا يجوز أن يأمر به نبي؟

قيل عن ذلك جوابان.

أحدهما: أن مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا.

والثاني: القول على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل.

قوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ أي ظهر الحق، قاله الحسن، ومجاهد، وفي الحق الذي ظهر فيه قولان:

أحدهما: ظهرت عصا موسى على حبال السحرة.

والثاني: ظهرت نبوة موسى على ربوبية فرعون.

قوله عز وجل: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ في سجودهم قولان:

أحدهما: أنهم سجدوا لموسى تسليماً له وإيماناً به.

والثاني: أنهم سجدوا لله إقراراً بربوبيته، لأنهم ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾.

وفي سجودهم قولان:

أحدهما: أن الله ألهمهم ذلك لطفاً بهم.

والثاني: أن موسى وهارون سجدا شكراً لله عند ظهور الحق على الباطل فاقتدوا بهما في السجود لله طاعة.

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ
لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ
ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ
سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ
مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ...﴾ الآية: ﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أشرافهم.

والثاني: رؤساؤهم.

والثالث: أنهم الرهط والنفر الذين آمنوا معهم.

والفرق بين الرهط والنفر من وجهين:

أحدهما: كثرة الرهط وقلة النفر.

والثاني: قوة الرهط وضعف النفر، وفي تسميتهم بالملأ وجهان:

أحدهما: أنهم مليئون بما يراد منهم.

والثاني: لأنهم تملأ النفوس هيبتهم.

وفيه وجه ثالث: لأنهم يملأون صدور المجالس.

فإن قيل: فما وجه إقدامهم على الإنكار على فرعون مع عبادتهم له؟ قيل:

لأنهم رأوا منه خلاف عادته وعادة الملوك في السطوة بمن أظهر العناد وخالف، وكان ذلك من لطف الله بموسى.

وفي قوله: ﴿لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجهان:

أحدهما: ليفسدوا فيها بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك.

والثاني: ليفسدوا فيها بالغلبة عليها وأخذ قومه منها.

ثم قالوا: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ فإن قيل: فما وجه قولهم ذلك له وهم قد صدقوه على قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؟ [النازعات: ٢٤].

قيل الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان يعبد الأصنام وكان قومه يعبدونه، قاله الحسن.

والثاني: أنه كان يعبد ما يستحسن من البقر ولذلك أخرج السامري عِجلاً جسداً له خوار وقال هذا إلهكم وإله موسى، وكان معبوداً في قومه، قاله السدي.

والثالث: أنها كانت أصناماً يعبدها قومه تقرباً إليه، قاله الزجاج.

وقرأ ابن عباس ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلاَهَتَكَ﴾ أي وعبادتك.

قال الحسن: وكان فرعون يَعبُد ويُعبَد. وعلى هـذه القراءة يسقط السؤال. وذكر ابن قتيبة في هذه القراءة تأويلاً ثانياً؛ أن الإلاهة الشمس، والعرب تسمي الشمس الإلاهة واستشهد بقول الأعشى[٢٧٥].

وَلَمْ أَذْكُرِ الرُّعْبَ حَتَّى انْتَقَلْتُ ... قُبَيْلَ الْإِلَاهَةِ مِنْهَا قَرِيباً

يعني الشمس، فيكون تأويل الآية: ويذرك الشمس حتى تعبد فعلى هذا يكون السؤال متوجهاً عنه ما تقدم.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لأنه علم أنه لا يقدر على قتل موسى إما لقوته وإما تصوره أنه مصروف عن قتله، فعدل إلى قتل الأبناء ليستأصل قوم موسى من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون ﴿وَنَسْتَحِيي نِسَاءَهُمْ﴾ فيه قولان:

---

(٢٧٥) وفي زاد المسير (٣/٤٤).

فما أذكر الرّهْب حتى انقلبتُ ... قبيل الإلهة منها قريباً

أحدهما: أن نفتش أرحامهن فننظر ما فيهن من الولد، مأخوذ من الحياء وهو اسم من أسماء الفرج، حكاه ابن بحر.

والثاني: الأظهر أن معناه: نستبقيهن أحياء لضعفهن عن المنازعة وعجزهن عن المحاربة.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُواْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أمرهم بذلك تسلية لهم من وعيد فرعون كما يقول من نالته شدة: استعنت بالله.

والثاني: أنه موعد منه بأن الله سيعينهم على فرعون إن استعانوا به.

ثم قال: ﴿وَٱصْبِرُواْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: واصبروا على ما أنتم فيه من الشدة طمعاً في ثواب الله.

والثاني: أنه أمرهم بالصبر انتظاراً لنصر الله.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك تسلية لقومه في أن الدنيا لا تبقي على أحد فتبقي على فرعون لأنها تنتقل من قوم إلى قوم.

والثاني: أنه أشعرهم بذلك أن الله يورثهم أرض فرعون.

﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يريد في الآخرة بالثواب.

والثاني: في الدنيا بالنصر.

قوله عز وجل: ﴿قالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أن الأذى من قبل ومن بعد أخذ الجزية. قاله الحسن.

والثاني: أن الأذى من قبل: تسخيرهم بني إسرائيل في أعمالهم لنصف النهار وإرسالهم في بقيته ليكسبوا لأنفسهم. والأذى من بعد: تسخيرهم في جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جويبر.

والثالث: أن الأذى الذي كان من قبل: الاستعباد وقتل الأبناء، والذي كان من بَعد: الوعيد بتجديد ذلك عليهم، حكاه ابن عيسى.

والرابع: أن الأذى الذي كان من قبل أنهم كانوا يضربون اللبن ويعطيهم التبن، والأذى من بعد أن صاروا يضربون اللبن ويجعل عليهم التبن، قاله الكلبي. وفي قولهم: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قولان:

أحدهما: من قبل أن تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا بها، قاله ابن عباس.

والثاني: من قبل أن تأتينا بعهد الله إليك أنه يخلصنا ومن بعد ما جئتنا به.

وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: أنه شكوى ما أصابهم من فرعون واستعانة بموسى.

والثاني: أنهم قالوه استبطاء لوعد موسى، حكاه ابن عيسى.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ ﴿عَسَىٰ﴾ في اللغة طمع وإشفاق. قال الحسن عسى من الله واجبة. وقال الزجاج: ﴿عَسَىٰ﴾ من الله يقين.

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ في قوله: ﴿فَيَنظُرَ﴾ وجهان:

أحدهما: فيرى[٢٧٦].

والثاني: فيعلم وفي قول موسى ذلك لقومة أمران:

أحدهما: الوعد بالنصر والاستخلاف في الأرض.

والثاني: التحذير من الفساد فيها لأن الله تعالى ينظر كيف يعملون.

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ
وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالجوع، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: أن معنى السنين الجدوب، قاله الحسن.

والعرب تقول: أخذتهم السنة إذا قحطوا وأجدبوا.

وقال الفراء: المراد بالسنين الجدب والقحط عاماً بعد عام.

---

(٢٧٦) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٤٦).

قال الزجاج «أي يراه بوقوعه منكم لأنه يجازيهم على ما وقع منهم لاعلى ما علم أنه سيقع».

قوله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ في الحسنة والسيئة هنا وجهان:

أحدهما: أن الحسنة الخصب، والسيئة القحط.

والثاني: أن الحسنة الأمن، والسيئة، الخوف.

﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي كانت حالنا في أوطاننا وقبل اتباعنا لك، جهلاً منهم بأن الله تعالى هو المولى لها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي يتشاءمون بموسى ويقولون هذا من اتباعنا إياك وطاعتنا لك، على ما كانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين. ثم قال رداً لقولهم.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي طائر البركة وطائر الشؤم.

وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ...﴾ أما الطوفان ففيه ستة أقاويل:

أحدها: أنه الغرق بالماء الزائد، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه الطاعون (٢٧٧)، قاله مجاهد.

والثالث: أنه الموت، قاله عطاء. وروت عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ٱلطُّوفَانُ ٱلْمَوْتُ﴾ (٢٧٨).

(٢٧٧) وله قول آخر وهو أن الطوفان الموت رواه الطبري (٥١/١٣) لكن الطريق إليه فيه مجهول.

(٢٧٨) رواه ابن جرير (٥١/١٣) وفي سنده المنهال بن خليفة وقد ضعفه غير واحد قال الحافظ ابن كثير

والرابع: أنه أمر من الله طاف بهم، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس.

والخامس: أنه كثرة المطر والريح، واستدل قائل ذلك بقول الحسن بن عرفطة (٢٧٩):

غَيَّرَ الْجِدَّةَ مِنْ عِرْفَانِهِ ... خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ

والسادس: أنه عذاب من السماء، واستدل قائل ذلك بقول أبي النجم (٢٨٠):

وَمَرَّ طُوفَانٌ فَبِتُّ شَهْراً ... فَرْداً شَآبِيبَ وَشَهْراً مدراً

﴿وَالْقُمَّلَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه الدَّبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له.

والثاني: أنه السوس الذي في الحنطة قاله ابن عباس.

والثالث: البراغيث، قاله ابن زيد.

والرابع: القردان، قاله أبو عبيدة.

والخامس: هو دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وشاهده قول الأعشى (٢٨١).

قَوْماً تُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤهُمْ ... وَسَلَاسِلاً أُجُداً وَبَاباً مُؤْصَداً

وواحد القمل قملة.

وأما الضفادع فواحدها ضفدع وهو مشهور. وقيل إنه كان يوجد في فراشهم وآنيتهم، ويدخل في ثيابهم فيشتد أذاه لهم.

وأما الدم ففيه قولان:

(٥٣٦/٣) حديث غريب وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥١٩/٣) لأبي الشيخ. وابن مردويه وابن أبي حاتم.

قلت وفي سند الحديث أيضاً الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف مدلس وقد عنعن.

(٢٧٩) كذا قال وهو خطأ والصواب حسيل بن عرفطة الأسدي وهو شاعر جاهلي والبيت في اللسان (طوف) ونوادر ابن زيد ٧٧ والطبري (٥٣/١٣) تنبيه وفي شطر البيت الأول خطأ والتصويب من الطبري واللسان هكذا: غير الجدَّة من آياتها.

(٢٨٠) الطبري (٥٤/١٣) ووقع في البيت هنا خطأ والتصويب من الطبري.

هكذا قد مد طوفان فبت مدداً ... شهراً شآبيب وشهراً برداً

(٢٨١) اللسان (قمل) وديوانه: ١٥٤.

أحدهما: أن ماء شربهم كان يصير دماً عبيطاً، فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء.

والثاني: أنه رعاف كان يصيبهم، قاله زيد بن أسلم.

﴿ءَآيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ﴾ فيها قولان.

أحدهما: مبينات لنبوة موسى.

والثاني: مفصل بعضها عن بعض لأن هذه الآيات لم تجتمع في وقت واحد بل كانت تأتي شهراً بعد شهر فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذار، وكان بين كل آيتين شهر.

﴿فَاسْتَكْبَرُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الانزجار بالآيات.

والثاني: عن الإيمان بموسى.

﴿وَكَانُواْ قَوماً مُّجْرِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كافرين.

والثاني: متعدّين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجْزُ﴾ ـ فيه قولان:

أحدهما: أنه العذاب، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

والثاني: هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان، قاله سعيد بن جبير.

﴿قَالُوْا يَا مُوسَىٰ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بما تقدم إليك به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك.

والثاني: ما هداك به أن تفعله في قومك، قاله السدي.

والثالث: أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ هذا قول قوم فرعون، ويحتمل وجهين.

أحدهما: لنصدقنك يا موسى أنك نبي.

والثاني: لنؤمنن بك يا الله أنك إله واحد.

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ
﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا
ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ
وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوْا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يستقلون.

والثاني: يستذلون وهم بنو إسرائيل.

﴿مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يريد الشرق والغرب، قاله ابن عيسى.

والثاني: أرض الشام ومصر، قاله الحسن.

والثالث: أرض الشام وحدها شرقها وغربها، قاله قتادة.

﴿ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالخصب.

والثاني: بكثرة الأنهار والأشجار والثمار.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن تمام كلمة الحسنى ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُم أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخْلِفَكُم﴾ وسماها الحسنى لأنه وعد بما يحبون.

والثاني: هو قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوْا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ وَنُمَكِنَ لَهُم فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦].

وفي قوله: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ وجهان:

أحدهما: بما صبروا على أذى فرعون.

والثاني: بما صبروا على طاعة الله.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟
يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ في ﴿متبر﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: باطل، قاله الكلبي.

والثاني: ضلال، حكاه أبو اليسع.

والثالث: مهلك، ومنه التبر، الذهب. وفي تسميته بذلك قولان:

أحدهما: لأن موسى يهلكه.

والثاني: لكسره، وكل إناء مكسور متبّر قاله الزجاج. وقال الضحاك هي كلمة نبطية لما ذكرنا.

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ
أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال هذا يذكر بالنعمة.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلعَذَابِ﴾ أي أشد العذاب.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي يقتلون أبناءكم صغاراً ويستحيون نساءكم للاسترقاق والاستخدام كباراً.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلاَءٌ مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن ما فعله فرعون بكم من قتل الأبناء واسترقاق النساء بلاء عليكم عظيم، قاله الكلبي.

والثاني: أنه ابتلاء لكم واختبار عظيم، قاله الأخفش.

والثالث: أن في خلاصكم من ذلك بلاء عظيم، أي نعمة عظيمة، قاله ابن قتيبة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أن الثلاثين ليلة شهرٌ أمر بصيامه، والعشر بعدها أجل لمناجاة ربه.

والثاني: أن الأربعين كلها أجل لمناجاة ربه، أجل في الأول ثلاثين ليلة ثم زيدت عشراً بعدها. وقد قيل إنه ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، حكي ذلك عن مجاهد، وابن جريج، ومسروق.

﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة، ليدل بذلك على أن العشر هي ليال وليست ساعات.

فإن قيل: فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين، فما معنى قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه تأكيد في الذكر فلم يمتنع.

والثاني: كان وعده إلى الجبل الذي كلمه فيه.

والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين لأن تمام الشيء بعض منه.

فإن قيل: فلم زاد في أجل وعده بعد الثلاثين عشراً جعلها أجلاً ثانياً فأخر بها موعده؟

قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: أن قومه تأخروا عنه في الأجل الأول فزاده الله لتأخرهم عنه أجلاً ثانياً ليحضروه.

والثاني: لأن قومه عبدوا العجل بعده فزاده الله أجلاً ثانياً عقوبة لهم.

ويحتمل جواباً ثالثاً: أن الله فعل ذلك به اختباراً لقومه ليتميز به المؤمن من المنافق ويعرف به المتيقن من المرتاب.

والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر لعمل، والوقت قد لا يتقدر لعمل.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿... قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ الآية. في سؤال موسى ذلك لربه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليرد عليه من جواب الله ما يحتج به على قومه حين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] مع علم موسى بأنه لا يجوز أن يراه في الدنيا.

والثاني: أنه كان يعلم ذلك باستدلال فأحب أن يعلمه ضرورة.

والثالث: أنه جوّز ذلك وظنه وأن رؤيته في الدنيا ممكنة، قاله الحسن، والربيع، والسدي.

فأجابه الله بأن ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾.

ثم أظهر في الجواب ما يعلم به استحالة مسألته فقال(٢٨٢): ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى

(٢٨٢) وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفي رؤية الله تعالى في الآخرة ولا دليل لهم في ذلك. وهي حجة عليهم لا لهم وقد حط الزمخشري في كشافه على أهل السنة ووصفهم بما هو أولى به عامله الله بعدله وما أجمل ما قال الشوكاني، رحمه الله في فتح القدير (٢/٢٤٣) قال رحمه الله قوله «لن تراني» يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب فيه أو أنه لا يرى ما دام الرائي حياً في دار الدنيا وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبت بالاحاديث المتواترة تواتراً لا يخفى، على من يعرف السنة المطهرة والجدال في مثل هذا والمراوغة لا تأتي بفائدة ومنهج الحق واضح ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الإنسان عليه وأدرك عليه آباءه وأهل بلده مع عدم التنبه لما هو مطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة يوقع في التعصب والمتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء وأذنه عن سماع الحق صماء يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل ويحسب أنه ما نشأ عليه هو الحق غفلةً منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالاذعان والتسليم وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع فإنه صار لها باب الحق مرتجاً وطريق الإنصاف مستوعرة والأمر لله سبحان والهداية منه.

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح اهـ.

﴿ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ لأن الجبل إذا لم يستقر لرؤيته فالإنسان بذلك أولى.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ معنى تجلى ظهر مأخوذ من جلاء العروس إذا ظهرت، ومن جلاء المرآة إذا أضاءت.

وفي تجليه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه ظهر بآياته (٢٨٣) التي أحدثها في الجبل لحاضري الجبل.

والثاني: أنه أظهر للجبل من ملكوته ما تدكدك به، لأن الدنيا لا تقوم لما يبرز من ملكوت السماء.

والثالث: أنه أبرز قدر الخنصر من العرش (٢٨٤).

والرابع: ظهر أمره للجبل.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني مستوياً بالأرض، مأخوذ من قولهم ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام، قاله ابن قتيبة وابن عيسى.

والثاني: أنه ساخ في الأرض، قاله الحسن وسفيان.

والثالث: أنه صار تراباً، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه صار قطعاً.

قال مقاتل: وكان أعظم جبل بمدين تقطع ست قطع تفرقت في الأرض، صار منها بمكة ثلاثة أجبل: ثبير وغار ثور وحراء. وبالمدينة ثلاثة أجبل: رضوى وأحد وورقان. والله أعلم.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: ميتاً، قاله قتادة.

والثاني: مغشياً عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

---

(٢٨٣) والصواب أن يقال تجلى أي ظهر وبان وهذا الظهور للرب على الوجه اللائق بجنابه تعالى.

(٢٨٤) قال العلامة الآلوسي (٩/٤٦) ونقل بعض القصاصين أن الملائكة كانت تمر عليه حينئذٍ فيلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة وهو كلام ساقط لا يعول عليه بوجه فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالأرجل والغض في الخطاب. قلت وقد ذكرت هذا النقل تحذيراً مما يروجه القصاص في المجالس.

قال ابن عباس(*): أخذته الغشية عشية الخميس من يوم عرفة وأفاق عشية الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة، وفيها عشر أيات أنزلها الله في القرآن على محمد ﷺ في ثماني عشرة من سورة بني إسرائيل.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها.

والثاني: أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا.

والثالث: أنه قال ذلك على جهة التسبيح وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات الدالة على عظيم قدرته.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أول المؤمنين بأنه لا يراك شيء من خلقك، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ ...﴾ الآية في ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ قولان:

أحدهما: فرضنا، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] أي فرض.

والثاني: أنه كتابة خط بالقلم في ألواح أنزلها الله عليه (٢٨٥).

واختلفوا في الألواح (٢٨٦) من أي شيء كانت على أربعة أقاويل:

(*) قول ابن عباس هذا سقط من نسخة للمخطوطة وكتب مكانه «هذا لم يثبت» أي القول الثاني.

(٢٨٥) ما عليه السلف الصالح أنهم يؤمنون بهذا النص إيماناً يليق بكمال الله وجلاله من غير تكيف ولا مشابهة لأفعال البشر..

(٢٨٦) إن هذه الأقوال ليست من المعلوم من الدين بالضرورة وليس فرضاً تعلمها على كل مسلم فالأولى بالمسلمين أن يتعلموا العلم الضروري الذي لا تصح العقيدة والعبادة إلا به ولا سيما في مثل هذا العصر الذي تفشى في الشرك والضلال.

أحدها: أنها كانت من زمرد أخضر، قاله مجاهد.

والثاني: أنها كانت من ياقوت، قاله ابن جبير.

والثالث: أنها كانت من زبرجد، قاله أبو العالية.

والرابع: قاله الحسن كانت الألواح من خشب، واللوح مأخوذ من أن المعاني تلوح بالكتابة فيه.

وفي قوله ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان:

أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والمباح والمحظور والواجب وغير الواجب.

والثاني: كتب له التوراة فيها من كل شيء من الحكم والعبر.

وفي قوله: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً . . .﴾ تأويلان:

أحدهما: أن الموعظة النواهي، والتفصيل: الأوامر، وهو معنى قول الكلبي.

والثاني: الموعظة: الزواجر، والتفصيل: الأحكام، وهو معنى قول مقاتل. قال: وكانت سبعة ألواح (٢٨٧).

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: بجد واجتهاد قاله السدي.

والثاني: بطاعة، قاله الربيع بن أنس.

والثالث: بصحة عزيمة، قاله علي بن عيسى.

والرابع: بشكر، قاله جويبر.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ لم يقل ذلك لأن فيها غير حسن، وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن أحسنها: المفروضات، وغير الأحسن: المباحات.

والثاني: أنه الناسخ دون المنسوخ.

---

(٢٨٧) وفي عددها أقوال ثلاثة أخرى ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٥٨).

والثالث: أن فعل ما أمر به أحسن من ترك ما نهي عنه لأن العمل أثقل من الترك وإن كان طاعة.

﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: هي جهنم، قاله الحسن، ومجاهد.

والثاني: هي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية، لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال، قاله قتادة.

والثالث: أنها منازل سكان الشام من الجبابرة والعمالقة.

والرابع: أنها دار فرعون وهي مصر.

وقرأ قسامة (٢٨٨) بن زهير ﴿سَأُوْرِثُكُم﴾.

سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَاياتي ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: سأمنعهم من فهم القرآن، قاله سفيان بن عيينة.

والثاني: سأجعل جزاءهم على كفرهم ضلالهم عن الاهتداء بما جاء به من الحق.

والثالث: سأصرفهم عن دفع الانتقام عنهم.

وفي ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: يحقرون الناس ويرون أن لهم عليهم فضلاً.

(٢٨٨) هو قسامة بن زهير المازني التميمي البصري الثقة روى عن أبي موسى الأشعري وأبي هريرة توفي في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق راجع التهذيب (٣٣٨/٨).

والثاني: يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول.

﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الرشد الإيمان، والغي: الكفر.

والثاني: أن الرشد الهداية. والغي: الضلال.

﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غافلين عن الإيمان.

والثاني: غافلين عن الجزاء.

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا
يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا
قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا
تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾

قوله عز وجل **﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾** في الأسف خمسة أقاويل:

أحدها: أنه المتأسف على فوت ما سلف قاله علي بن عيسى.

والثاني: أنه الحزين، قاله ابن عباس.

والثالث: هو الشديد الغضب، قاله الأخفش.

والرابع: المغتاظ(٢٨٩)، قاله السدي.

(٢٨٩)وفي الطبري (١٢١/١٣) عن السدي. «أسفاً قال حزيناً» وعلى هذا فقول السدي يوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والخامس: النادم، قاله ابن قتيبة.

وفي غضبه وأسفه قولان:

أحدهما: غضبان على قومه من عبادة العجل؟ أسفاً[٢٩٠] على ما فاته من مناجاة ربه.

والثاني: غضبان على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا، أسفاً على ما رأى في قومه من ارتكاب المعاصي.

وقال بعض المتصوفة إن غضبه للرجوع عن مناجاة الحق إلى مخاطبة الخلق.

﴿قَالَ بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾ يعني بعبادة العجل.

﴿أَعَجِلْتُم أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني وعد ربكم الذي وعدني به من الأربعين ليلة، وذلك أنهم قَدَّروا أنه قد مات لمّا لم يأت على رأس الثلاثين ليلة، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: وعد ربكم بالثواب على عبادته حتى عدلتم إلى عبادة غيره، قاله بعض المتأخرين. والفرق بين العجلة والسرعة أن العجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، والسرعة: عمله في أقل أوقاته.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ وفي سبب إلقائها قولان:

أحدهما: غضباً حين رأى عبادة العجل[٢٩١]، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ألقاها لما رأى فيها فضائل غير قومه من أمة محمدﷺ أنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، قال: رب فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد، فاشتد عليه فألقاها، قاله قتادة.

وكانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح فتكسرت رفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي، وهو الذي قاله الله: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

---

(٢٩٠) وعلى هامش المخطوطة كتب [أسفاً] بين معكوفين لا يستقيم المعنى إلا بها.

(٢٩١) وهذا القول هو الصواب واختاره ابن جرير (١٢٥/١٣) وابن كثير (٢٢٤/١) عمدة التفسير والشوكاني في فتح القدير (٣٤٨/٢).

وقال ابن عباس: ألقى موسى الألواح فتكسرت ورفعت إلا سدُسها.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه أخذ بأذنه.

والثاني: أخذ بجملة رأسه.

فإن قيل: فلم قصده بمثل هذا الهوان ولا ذنب له.؟

فعن ذلك جوابان.

أحدهما: أن هذا الفعل مما قد يتغير حكمه بالعادة فيجوز أن يكون في ذلك الزمان بخلاف ما هو عليه الآن من الهوان.

والثاني: أن ذلك منه كقبض الرجل منا الآن على لحيته وعضه على شفته ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه، قاله الحسن.

والثاني: أنه قال ذلك على عادة العرب استعطافاً بالرحم، كما قال الشاعر(٢٩٢):

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شقيقَ نَفْسِي ... أَنْتَ خَلَّيْتَنِي لِأَمْرٍ شَدِيدِ

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ﴾ يعني من خالفه في عبادة العجل لأنهم قد صاروا لمخالفتهم له أعداء.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ أي لا تغضب عليّ كغضبك عليهم ولست منهم فأدركته الرقة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا

(٢٩٢) هو أبو زبيد.

والبيت في اللسان (شقق) وشواهد المغنى (هامش خزانة الأدب ٤/٢٢٢) والطبري (١٣/١٢٩) وأمالي اليزيدي: ٩ جمهرة أشعار العرب ١٣٩. والشطر الثاني في البيت أنت خليفتي لدهر شديد. ويروى البيت.

يا ابن خنساء سعد نفسي يا لجلاج ... خليتني لدهرٍ شديد.

وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى
ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ أما التوبة من السيئات فهي الندم على ما سلف والعزم على ألاّ يفعل مثلها. فإن قيل فالتوبة إيمان فما معنى قوله: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ فالجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنهم تابوا من المعصية واستأنفوا عمل الإيمان بعد التوبة.

والثاني: يعني أنهم تابوا بعد المعصية وآمنوا بتلك التوبة.

والثالث: وآمنوا بأن الله قابل التوبة.

وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ
تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ وفي الكلام محذوف وتقديره: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً.

وفي قوله: ﴿لِّمِيقَاتِنَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه الميقات المذكور في سؤال الرؤية.

والثاني: أنه ميقات غير الأول وهو ميقات التوبة من عبادة العجل.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الزلزلة، قاله الكلبي.

والثاني: أنه الموت. قال مجاهد: ماتوا ثم أحياهم.

والثالث: أنها نار أحرقتهم فظن موسى أنهم قد هلكوا ولم يهلكوا، قاله الفراء.

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ وفي سبب أخذها لهم قولان:

أحدهما: لأنهم سألوا الرؤية، قاله ابن إسحاق.

والثاني: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل قاله ابن عباس.

﴿. . . أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّآ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه سؤال استفهام خوفاً من أن يكون الله قد عمهم بانتقامه كما قال تعالى:

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والثاني: أنه سؤال نفي، وتقديره: إنك لا تعذب إلاَّ مذنباً فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا.

فحكى أن الله أمات بالرجفة السبعين الذين اختارهم موسى من قومه، لا موت فناء ولكن موت ابتلاء ليثبت به من أطاع وينتقم به ممن عصى وأخذت موسى غشية ثم أفاق موسى وأحيا الله الموتى، فقال:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المراد بالفتنة العذاب، قاله قتادة.

والثاني: أن المراد بها الابتلاء والاختبار.

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ في الحسنة هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها النعمة سميت حسنة لحسن موقعها في النفوس.

والثاني: أنها الثناء الصالح.

والثالث: أنها مستحقات الطاعة.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه تبنا إليك، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم.

والثاني: رجعنا بالتوبة إليك، لأنه من هاد يهود إذا رجع، قاله علي بن عيسى.

والثالث: يعني تقربنا بالتوبة إليك من قولهم: ما له عند فلان هوادة، أي ليس له عنده سبب يقربه منه، قاله ابن بحر.

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: من أشاء من خلقي كما أصيب به قومك.

الثاني: من أشاء في التعجيل والتأخير.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فيها ثلاثة تأويلات.

أحدها: أن مخرجها عام ومعناها خاص، تأويل ذلك: ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية قاله ابن عباس.

والثاني: أنها على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة، وتأويل ذلك: ورحمتي وسعت في الدنيا البر والفاجر، وفي الآخرة هي للذين اتقوا خاصة، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: أنها التوبة، وهي على العموم، قاله ابن زيد.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يتقون الشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: يتقون المعاصي، قاله قتادة.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها زكاة أموالهم لأنها من أشق فرائضهم، وهذا قول الجمهور.

والثاني: معناه أي يطيعون الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، وذهبا إلى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال.

فأما المكنّى عنه بالهاء التي في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فقد قيل إن موسى لما انطلق بوفد بني إسرائيل كلّمه الله وقال: إني قد بسطت لهم الأرض طهوراً ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة إلا عند مرحاض أو قبر أو حمّام، وجعلت السكينة في قلوبهم، وجعلتهم يقرؤون التوراة عن ظهر ألسنهم، قال فذكر موسى ذلك لبني إسرائيل، فقالوا لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا فاجعلها لنا في تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظراً، ولا نصلي إلا في السكينة، فقال الله تعالى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾ يعني ما مضى من السكينة والصلاة والقراءة، ثم بيَّن من هم فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ يعني محمداً ﷺ وفي تسميته بالأمي ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه لا يكتب.(٢٩٣)

الثاني: لأنه من أم القرى وهي مكة.

الثالث: لأن من العرب أمة أمية.

﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ﴾ لأن في التوراة في السفر الخامس: إني سأقيم لهم نبياً من إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيته به. وفيها: وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسأدخره لأمة عظيمة.

وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع: يعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله.

وفيها قول المسيح للحواريين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنه نذيركم يجمع بين الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي. فهذا تفسير ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ﴾.

ثم قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الحق.

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الباطل وإنما سمي الحق معروفاً لأنه معروف الصحة في العقول، وسمي الباطل منكراً لأنه منكر الصحة في العقول.

(٢٩٣) قال العلامة الآلوسي رحمه الله (٧٩/٩) «ووصف عليه الصلاة والسلام بذلك تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته ﷺ فهو بالنسبة إليه بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام صفة مدح وأما بالنسبة إلى غيره فلا».

ثم قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾ يعني ما كانت الجاهلية تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ﴾ يعني ما كانوا يستحلونه من لحم الخنزير والدماء.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه عهدهم الذي كان الله تعالى أخذه على بني إسرائيل.

والثاني: أنه التشديد على بني إسرائيل الذي كان في دينهم من تحريم السبت وتحريم الشحوم والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة.

﴿وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: أنه الميثاق[٢٩٤] الذي أخذه عليهم فيما حرمه عليهم، قاله ابن أبي طلحة.

والثاني: يعني ما بيَّنه الله تعالى في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿فَٱلَّذِينَ امَنُوا بِهِ و عَزَّرُوهُ. . .﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عظموه، قاله علي بن عيسى.

والثاني: منعوه من أعدائه، قاله أبو جعفر[٢٩٥] الطبري. ومنه تعزير الجاني لأنه يمنعه من العود إلى مثله.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ يعني القرآن[٢٩٦]، آمنوا به من بعده فروى قتادة[٢٩٧] أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه: «أَيُّ ٱلخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيكُم إيماناً؟ قالوا: الملائكة فقال نبي الله (ص): المَلائِكَةُ عِندَ رَبِهِم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ. فقالوا: النبيون، فقال: يُوحَىٰ إِلَيهِم فَمَا لَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ، قالوا: نحن يا نبي الله. فقال أَنَا فِيكُم فَمَا

---

(٢٩٤) قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٣٧٣) «قال الزجاج ذكر الأغلال تمثيل ألا ترى أنك تقول جعلت هذا طوقاً في عنقك وليس هناك طوق إنما جعلت لزومه كالطوق والأغلال أنه كان عليهم أن لا يقبل منهم في القتل دية وأن لا يعملوا في السبت وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول» وبنحوه قال الطبري (١٣/١٦٨) والزمخشري في الكشاف (٢/٩٧) وهذه الأغلال المذكورة نسخها القرآن.

(٢٩٥) الطبري (١٣/١٦٨).

(٢٩٦) قال الألوسي في روح المعاني (٩/٨٢).

«وهو القرآن وعبر عنه بالنور لظهوره في نفسه بإعجازه وإظهاره لغيره من الأحكام وصدق الدعوى فهو أشبه شيء بالنور الظاهر بنفسه والمظهر بغيره بل هو نور على نور ا هـ.

(٢٩٧) وهذا الحديث من مرسلات قتادة ولم أظفر إلى الآن بمن وصله.

لَكُم لاَ تُؤْمِنونَ، فقالوا: يا نبي الله فمن هم؟ قال: **هُم قَومٌ يَكُونُونَ بَعْدَكُم يَجِدُون كِتَاباً فِي وَرَقٍ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ**». فهو معنى قوله ﴿**وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ**﴾.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ
ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ**﴾ فإن قيل فهذا يدل على أن في اليهود من هم على حق.

الجواب عند ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الذين تمسكوا بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم، ولا يدل هذا على استدامة حاله على الأبد.

والثاني: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي.

والثالث: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وابن صوريا وغيرهما، قاله الكلبي.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ
قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا
قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ
وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ

﴿ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ اختلف في المأخوذ منه تسمية القرية على وجهين:

أحدهما: لأن الماء يقرى إليها أي يجمع، من قولهم قرى الماء في حوضه إذا جمعه.

والثاني: لأن الناس يجتمعون إليها كما يجتمع الماء في الحوض.

واختلف في هذه القرية على قولين:

أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله قتادة.

والثاني: هي أرض الشام، قاله الحسن.

فإنه قيل: فكيف سمى المأوى مسكناً والإنسان في مسكنه متحرك؟ قيل لأنه يترك فيه التصرف فصار في أكثر أحواله ساكناً وإن كان في بعضها متحركاً.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ فيما خمسة أقاويل:

أحدها: أنها أيلة، قاله ابن عباس، وعكرمة، والسدي.

والثاني: أنها بساحل مدين، قاله قتادة.

والثالث: أنها مدين قرية بين أيلة والطور، حكاه أبو جعفر الطبري(٢٩٨).

والرابع: أنها قرية يقال لهامقتا بين مدين وعينونا(٢٩٩)، قاله ابن زيد.

---

(٢٩٨) جامع البيان (١٣/ ١٧٩).

(٢٩٩) كذا هنا والصواب عينونا وليس عنيونا والتصحيح من معجم البلدان لياقوت والطبري (١٣/ ١٧٩) وتكتب أيضاً عينونى وعينون.

والخامس: ما قاله ابن شهاب أن القرية التي كانت حاضرة البحر طبرية، والقرية التي قال فيها ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣]. أنطاكية.

وسؤالهم عن هذه القرية إنما هو سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ هو تعديهم فيه بفعل ما نهوا عنه.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن معنى ﴿شُرَّعاً﴾ أي طافية على الماء ظاهرة، قاله ابن عباس، ومنه شوارع البلد لظهورها.

والثاني: أنها تأتيهم من كل مكان، قاله عطية العوفي.

والثالث: أنها شرّع على أبوابهم كأنها الكباش البيض رافعة رؤوسها حكاه بعض المتأخرين فتعدَّوا فأخذوها في السبت، قاله الحسن.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ نسوا يعني تركوا، والذي ذكروا به أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوءِ﴾ وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم الذين تركوا المعروف وفعلوا المنكر.

﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: شديد، قاله مجاهد.

والثاني: رديء، قاله الأخفش.

الثالث: أنه العذاب المقترن بالفقر وهو البؤس.

وأما الفرقة الثالثة التي لم تنه ولم تفعل ففيها قولان:

أحدهما: أنها نُجِّيَتْ مع الذين نهوا.

والثاني: ماقاله ابن عباس[٣٠٠]: لا أدري ما فعل بها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه تفعُّل من الإذن ومعناه أعلم، قاله الحسن، ومنه قول الأعشى[٣٠١]:

أَذَّنَ الْقَوْمُ جِيرَتِي بِخُلُوفِ ... صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ

والثاني: معناه نادى وأقسم، قاله الزجاج.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على اليهود.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ والمبعوثون هم العرب، وسوء العذاب هو الذلة وأخذ الجزية، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة.

ويقال إن أول من وضع الخراج وجباه من الأنبياء موسى، فجبى الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة ثم أمسك إلى النبي ﷺ.

وقال سعيد بن المسيب: استحب أن أبعث في الجزية الأنباط. ولا أعلم لاستحبابه ذلك وجهاً إلا أن يكون لأنهم من قوم بختنصر فهم أشد انتقاماً، أو لأنها قد كانت تؤخذ منهم على استيفائها لأجل المقابلة أحرص.

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ

(٣٠٠) قال العلامة الشوكاني رحمه الله (٢/٢٥٨) والطائفة التي لم تنه ولم تعص يحتمل أنها ممسوخة مع الطائفة العاصية لأنها قد ظلمت نفسها بالسكوت عن النهي وعتت عما نهاها الله عنه من ترك النهي عن المنكر ويحتمل أنها لم تمسخ لأنها وإن كانت ظالمة لنفسها عاتية عن أمر ربها ونهيه لكنها لم تظلم نفسها بهذه المعصية الخاصة وهي صيد الحوت في يوم السبت ولا عتت عن نهيه لها عن الصيد اهـ.

(٣٠١) هو ميمون بن قيس والبيت في ديوانه ٢١١ وفي الطبري (١٣/٢٠٤).

وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ
وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ
يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَماً. . .﴾ أي فرقناهم فيها فرقاً. وفي تفريقهم فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: زيادة في الانتقام منهم.

والثاني: ليذهب تعاونهم.

والثالث: ليتميز الصالح من المفسر لقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ ثم قال: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالثواب والعقاب.

والثاني: بالنعم والنقم.

والثالث: بالخصب والجدب.

قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ معناه فخلفهم خلف، والخلف بتسكين اللام مستعمل في الذم. وبفتح اللام مستعمل في الحمد. وقال أبو عبيدة: معناها [واحد] مثل الأثر والإثر، والأول أظهر وهو في قول الشعراء أشهر، قال بعضهم:

خلفت خلفاً ليت بهم كان، لا بِكَ التلف

وفي الخلف وجهان:

أحدهما: القرن، قاله الفراء.

والثاني: أنه جمع خالف.

﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَابَ﴾ يعني انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم من خلف اليهود من أبنائهم. والكتاب الذي ورثوه التوراة لانتقالها لهم.

والثاني: أنهم النصارى، لأنهم خلف من اليهود. والكتاب الذي ورثوه: الإنجيل لحصوله معهم، قاله مجاهد.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ يعني الرشوة على الحكم في قول الجميع وسماه عرضاً لقلة بقائه. وفي وصفه بالأدنى وجهان:

أحدهما: لأخذه في الدنيا الدانية.

والثاني: لأنه من المحرمات الدنية.

﴿وَيَقُولُونَ: سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مغفور، لا نؤاخذ به.

والثاني: أنه ذنب لكن الله قد يغفره لنا تأميلاً منهم لرحمته.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد وقتادة والسدي.

والثاني: أنهم لا يشبعهم شيء، فهم لا يأخذونه لحاجة، قاله الحسن.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ألا يقولوا على الله إلا الحق في تحريم الحكم بالرشا.

والثاني: في جميع الطاعات والمعاصي والأوامر والنواهي(٣٠٢).

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: تركوا ما فيه أن يعملوا به حتى صار دارساً.

والثاني: أنهم قد تلوه ودرسوه فهم لا يجهلون ما فيه ويقومون على مخالفته مع العلم به.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

(٣٠٢) والقول الثاني أرجح لأنه أعم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ . . .﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: زعزعناه، قاله ابن قتيبة، ومنه قول العجاج:(٣٠٣).

قد جرّبوا أخلاقنا الجلائلا . . ونتقوا أحلامنا الأثاقلا

والثاني: بمعنى جذبناه، والنتق: الجذب ومنه قيل للمرأة الولود ناتق، قال النابغة:(٣٠٤).

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتقٍ مذكار.

واختلف في سبب تسميتها ناتقاً، فقيل لأن: خروج أولادها بمنزلة الجذب. وقيل: لأنها تجذب ماء الفحل تؤديه ولداً.

والثالث: معناه ورفعناه عليهم من أصله.

قال الفراء: رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً في فرسخ.

قال مجاهد: وسبب رفع الجبل عليهم أنهم أبوا أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة، فوعظهم موسى فلم يقبلوا، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم. قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: فأخذوه بقوة ثم نكثوا بعد.

واختلف في سبب رفع الجبل عليهم هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم.

والثاني: كان إنعاماً لإقلاعهم به عن المعصية.

﴿. . . وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه غلب في نفوسهم أنه واقع بهم على حقيقة الظن.

والثاني: أنهم تيقنوه لما عاينوا من ارتفاعه عليهم، قاله الحسن.

---

(٣٠٣) كذا قال وهو خطأ والصواب رؤبة بن العجاج والبيت في ديوانه ١٢٢ ومجاز القرآن واللسان نتق والطبري (١٣/ ٢٢٠) ولعل ما يقصده المؤلف بيتاً للعجاج في ديوانه: ٢٠ قوله ينتق أ تاد الشليل نتقاً فإنه يصح الاستشهاد به على المعنى المراد.

(٣٠٤) ديوانه: ٥٠ واللسان (دحق) ونتق والطبري (١٣/ ٢٢٠).

وفي اللسان دحقت عليك وكذا في الطبري.

﴿خُذُواْ مَاءَاتَيْنَاكُمْ﴾ يعني التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بجد واجتهاد.

والثاني: بنية صادقة وطاعة خالصة.

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ
﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا
فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ختلف في الذين أخرجهم وأخذ ذلك عليهم على قولين:

أحدهما: أنه أخرج الأرواح قبل خلق (٣٠٥) الأجساد وجعل فيها من المعرفة ما علمت به من خاطبها. واختلف من قال بهذا هل كان ذلك قبل نزوله إلى الأرض على قولين:

أحدهما: أنه كان في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض.

والثاني: أنه فعل ذلك بعد هبوطه إليها(٣٠٦).

---

(٣٠٥) ولا شك في صحة هذا القول وأرجحيته على القول الثاني وقد حكى الإجماع عليه الامام إسحاق بن راهويه ولفظه كما نقله ابن القيم في الروح عن ص ١٦٣.

«وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد وأنه استنطقهم وأشهدهم ثم نقل ابن القيم عن ابن الأنباري قوله.

«ومذهب أهل الحديث وكذلك أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وصلب أولاده وهم في صور الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل حين خوطب وكما فعل ذلك بالبعير لما سجد والنخلة لما سمعت وانقادت لما دعيت».

قلت: وقد دل على ما قاله الإمامان رحمهما الله حديث رسول الله المتواتر في استخراج الرب لذرية آدم من ظهره واستشهادهم له بالتوحيد.... وقد ذكر طائفة من الأحاديث في ذلك السيوطي في الدر (٣/٥٨٠ ـ ٦٠٧) وابن أبي عاصم (١/ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وفتح القدير للشوكاني (٢/٢٥١ ـ ٢٥٤).

(٣٠٦) هو الراجح لما رواه أحمد (١/٢٧٢) وابن جرير (١٥٣٣٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص

والقول الثاني: في الأصل أنه خلق الأرواح والأجساد معاً وذلك في الأرض عند جميع من قال بهذا التأويل.

فعلى هذا فيه قولان:

أحدهما: أنه أخرجهم كالذر وألهمهم هذا فقالوه، قال الكلبي ومقاتل: وذلك أن الله مسح ظهر آدم بين مكة(٣٠٧) والطائف فخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية كالذر بيض، فهم أصحاب الميمنة. وخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية كالذر سود، فهم أصحاب المشأمة، فلما شهدوا على أنفسهم جميعاً من آمن منهم ومن كفر أعادهم.

والثاني: أنه أخرج الذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر.

وفي ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: هو أنه دلهم على أنفسهم بما شهدوه من قدرته، قاله بعض المتكلمين.

والثاني: هو إشهادهم(٣٠٨) على أنفسهم بما اعترفوا من ربوبيته ووحدانيته.

وفيه على هذا التأويل قولان:

أحدهما: أنه قال ذلك للآباء من بني آدم حين أخرج من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ليعلمهم أنه خلق ذرياتهم بعد أن لم يكونوا كان هو الخالق لهم لأنهم كانوا ذرية مثلهم لمن تقدمهم كما صار هؤلاء ذرية لهم فاعترفوا بذلك حين ظهرت لهم الحجة، قاله ابن بحر.

والقول الثاني: أنه قال ذلك للذرية حين أخذهم من ظهور(٣٠٩) آبائهم، وهذا قول الأكثرين فعلى هذا فيه قولان:

---

٣٢٦ ـ ٣٢٧) من حديث ابن عباس مرفوعاً «أخذ الله تبلوك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بـ (نعمان) يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال: ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما اشرك أباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» والحديث صححه الألباني على شرط مسلم راجع السلسلة الصحيحة رقم ١٦٢٣.

(٣٠٧) سبق في الحديث في التعليق السابق أن ذلك كان في «نعمان» وهو وادي في جبل عرفات.

(٣٠٨) وهذا القول أرجح.

(٣٠٩) ويؤيده ما ثبت في الحديث الصحيح وقد سبق الأشارة إليه.

أحدهما: أنه قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ على لسان الأنبياء بعد أن كملت عقولهم.

والثاني :أنه[٣١٠] جعل لهم عقولاً علموا بها ذلك فشهدوا به على أنفسهم

وفي أصل الذرية قولان:

أحدهما: لأنهم يخرجون من الأصلاب كالذر.

والثاني: أنه مأخوذ من ذرأ الله الخلق إذا أحدثهم وأظهرهم.

وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

قوله عز وجل :﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه بلعام بن عوراء، واختلفوا فيه فقيل كان من اليمن، وقيل كان من الكنعانيين، وقيل من بني صال بن لوط، قاله ابن عباس، وابن مسعود.

والثاني: أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي، قاله عبدالله بن عمرو.

والثالث: أنه من أسلم من اليهود والنصارى ونافق، قاله عكرمة.

وفي الآيات التي أوتيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اسم الله الأعظم الذي تجاب به الدعوات، قاله السدي وابن زيد.

والثاني: أنها كتاب من كتب الله. قاله ابن عباس.

والثالث: أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته.

---

(٣١٠)يعني جعلهم يعقلون خطابه لهم ألست بربكم وهذا صحيح كما مر في كلام ابن الأنباري رحمه الله وقد نقلناه آنفاً.

وفي قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنهَا﴾ وجهان:

أحدهما: فانسلخ(٣١١) من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية.

والثاني: أنه انسلخ منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات حتى حكي أن بلعام رُيثي على أن يدعو على قوم موسى بالهلاك فسها فدعا على قومه فهلكوا.

﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشيطان صيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه.

والثاني: أن الشيطان متبع من الإنس على ضلالته من الكفر.

والثالث: أن الشيطان لحقه فأغواه، يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم، وتبعتهم إذا سرت خلفهم، قاله ابن قتيبة.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من الهالكين.

الثاني: من الضالين.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوشِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني لأمتناه فلم يكفر.

والثاني: لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصوماً، قاله مجاهد.

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ركن إليها. وفي ركونه إليها وجهان:

أحدهما: أنه ركن إلى أهلها في استنزالهم له ومخادعتهم إياه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله، وقد بين ذلك قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

ثم ضرب مثله بالكلب ﴿. . . إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وفي تشبيهه بالكلب اللاهث وجهان:

أحدهما: لدناءته ومهانته.

الثاني: لأن لهث الكلب ليس بنافع له.

---

(٣١١) إن الانسلاخ من العلم من شر المصائب والخطر الكبير الذي يواجه العلماء، كتمان العلم وعدم الإلتزام بشرع الله فهؤلاء هم شر البرية.

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ أي خلقنا ممن يصير إلى جهنم بكفره ومعصيته.

و ﴿كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أراد أولاد الزنى لأنهم من النطف الخبيثة مخلوقين، فهم أكثر الناس إسراعاً إلى الكفر والمعصية فيصيرون جامعين بين [سوء] المعتقد وخبث المولد.

والقول الثاني: (٣١٢) أنه على العموم في أولاد الزنى والرِشدة فيمن ولد من نكاح أو سفاح لأنهم مؤاخذون على أفعالهم لا على مواليدهم التي خبثت بأفعال غيرهم.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق.

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الرشد.

﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الوعظ، فصاروا بترك استعمالها بمثابة من عَدمها، قال مسكين الدارمي (٣١٣):

أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يُواري جارتي الجدر
وأصم عما كان بينهما سمعي وما في سمعي الوقر

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

---

(٣١٢) وهو الراجح وأصحاب القول الأول اعتمدوا على حديث مرفوع رواه الطبري (١٣/٢٧٧) وإسناده ضعيف لجهالة أحد رواته..

(٣١٣) أمالي المرتضى (١/٤٣، ٤٤). وخزانة الأدب ١/٤٦٨.
والشطر الثاني من البيت الأول حتى يواري جارتي الخدر.
والشطر الثاني من البيت الثاني. سمعي وما بي غيره وقر.
راجع الطبري (١٣/٣٧٩).

قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ قال ابن عباس: كل أسمائه حسنى وفي المراد بالحسنى هاهنا وجهان:.

أحدهما: ما مالت إليه القلوب من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة.

والثاني: أسماؤه التي يستحقها لنفسه ولفعله ومنها صفات هي طريق المعرفة به، وهي تسعة:

القديم[٣١٤] الأول قبل كل شيء. والباقي[٣١٥] بعد فناء كل شيء. والقادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء. والحي الذي لا يموت. والواحد الذي ليس كمثله شيء والسميع البصير الذي لا يعزب عنه شيء والغني بنفسه عن كل شيء.

وفي دعائه بها وجهان:

أحدهما: نداؤه بها عند الرغبة إليه في الدعاء والطلب.

والثاني: تعظيمه بها تعبداً له بذكرها.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه يكذبون، قاله ابن عباس.

والثاني: يشركون، قاله قتادة.

والثالث: يحوّرون، قاله الأخفش.

وفي إلحادهم فيها قولان:

أحدهما: اشتقاقهم آلهتهم من أسماء الله، كما سموا بعضها باللات اشتقاقاً من الله، وبعضها بالعزى اشتقاقاً من العزيز، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: تسميتهم الأوثان آلهة والله عز وجل أبا المسيح وعزير.

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

(٣١٤) وإطلاق اسم القديم على الله ليس بصحيح فإنه ليس من أسماء الله تعالى وانما هو من باب الإخبار عن الله وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات راجع ما كتبه العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/) وكذا ما كتبه العلامة الألباني في حاشيته على شرح الطحاوية..

ويغني عن إطلاق هذا الاسم اسمه تعالى الأول وقد ورد في السنة المطهرة والكتاب المبين.

(٣١٥) ويغني عن هذا الاسم اسمه الآخر وقد ورد في الكتاب والسنة.

قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: العلماء.

والثاني: أنهم هذه الأمة. روى ذلك قتادة[٣١٦]، وابن جريج عن النبي ﷺ.

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والاستدراج أن تنطوي على حالة منزلة بعد منزلة.

وفي اشتقاقه قولان:

أحدهما: أنه مشتق من الدرج لانطوائه على شيء بعد شيء.

والثاني: أنه مشتق من الدرجة لانحطاطه من منزلة بعد منزلة.

وفي المشار إليه باستدراجهم قولان:

أحدهما: استدراجهم إلى الهلكة.

والثاني: الكفر.

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يعلمون بالاستدراج.

والثاني: لا يعلمون بالهلكة.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ فيه قولان:

(٣١٦) رواه الطبري عن قتادة (١٣/ ٢٨٦) قال بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذ قرأها هذه لكم....

ورواه عن ابن جريج (١٣/ ٢٨٦) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال هذه في أمتي ....

أحدهما: معنى يضله يحكم(٣١٧) بضلالته في الدين.

والثاني: يضله عن طريق الجنة إلى النار.

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ والطغيان إفراط العدوان.

وفي ﴿يَعْمَهُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: يتحيرون، والعمه في القلب كالعمى في العين.

والثاني: يترددون، قاله قطرب واستشهد بقول الشاعر:

متى يعمه إلى عثمان يعمه ... إلى ضخم السرادق والقطار

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن السائل عنها اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: أن السائل عنها قريش، قاله الحسن، وقتادة.

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أما ﴿أَيَّانَ﴾ فمعنى متى، ومنه قول الراجز(٣١٨):

أيان تقضي حاجتي أيانا ... أما ترى لنجحها أوانا

وأما ﴿مُرْسَاهَا﴾ ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: قيامها، قاله السدي.

والثاني: منتهاها، قاله ابن عباس.

والثالث: ظهورها، قاله الأخفش.

---

(٣١٧) ولا تنافي بين هذا القول والذي يليه فإن الله تعالى إذا قضى على شخص بالضلال فقد قدر ذلك عليه أزلاً ويترتب على ذلك أن يضل عن طريق الجنة إلى النار وهذا منه تعالى على جهة العدل فهو سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون وهذه الاقوال التي يسردها المؤلف توافق أهل السنة في باب القدر ـ.

(٣١٨) اللسان (أين) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٣٤) والطبري (١٣/٢٩٣) ووقع في البيت الثاني هنا تصحيف وصوابه.

أما ترى لنجحها إبَّانا ... وكذا هو في القرطبي (٨/٣٣٥)

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ لا يعلم وقتها إلا هو، نفياً أن يعلمها غير الله ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: كبر على أهل السموات والأرض مجيء الساعة، قاله الحسن.

والثاني: ثقل عليهم قيام الساعة، قاله السدي.

والثالث: معناه عظم وصفها على أهل السموات والأرض، قاله ابن جريج.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ يعني على غفلة لأنه لا يعلمها غير الله، ولم ترد الأخبار عنها من جهة الله فصار مجيئها بغتة وذلك أشد لها كما قال الشاعر(*):

وأنكأ شيء حين يفجؤك البغتُ

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه عالِمٌ بها، قاله مجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومعمر.

والثاني: معنى الكلام يسألونك عنها كأنك حفي بهم، على التقديم والتأخير، أي كأن بينك وبينهم مودة توجب برهم، من قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] قاله ابن عباس.

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا﴾ أي لا أملك القدرة عليهما من غير مانع ولا صاد.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يملكني إياه فأملكه بمشيئته.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: لاستكثرت من العمل الصالح، قاله الحسن، وابن جريج.

والثاني: لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة، قاله الفراء.

والثالث: وهو شاذ: لاشتريت في الرخص وبعْت في الغلاء(٣١٩).

(*) اللسان بغت وصدر البيت ولكنهم ماتوا ولم أدر بغتة.
(٣١٩) وهذا القول هو معنى قول ابن عباس رضي الله عنه قاله الضحاك عنه ونقله في زاد المسير (٣/٣٠٠).

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات.

أحدها: ما بي جنون كما زعم المشركون، قاله الحسن.

والثاني: ما مسني الفقر لاستكثاري من الخير.

والثالث: ما دخلت على شبهة.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ وذلك أن إبليس قال لحواء سَمِّيه: عبد الحارث[٣٢٠]، يعني نفسه لأنه اسمه في السماء كان «الحارث» فسمته عبدالله فمات، ثم حملت ولداً ثانياً فقال لها ذلك فلم تقبل، فمات، ثم حملت ثالثاً فقال لها ولآدم: أتظنان الله تارك عبده عندكما؟ لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخرين فسمياه بذلك فعاش، فهذا معنى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ أي في الاسم، فروي عن النبي ﷺ أنه قال: خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض.

---

(٣٢٠) وهذا التفسير في سبب النزول ورد مرفوعاً من رواية الحسن البصري وهو مدلس فالحديث ضعيف على هذا راجع تخريجه بتوسع في السلسلة الضعيفة.

وقد ورد في قول الحسن في تفسير الآية قول آخر ولفظه «هم اليهود والنصارى ورزقهم الله أولاداً فهوَّدوهم ونصَّروهم» رواه الطبري (١٣/ ٣١٥).

قال الحافظ ابن كثير (٢/ ٢٧٥) «وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ممن آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم. قلت: وقد رد الرواية المرفوعة وأبطلها الفخر الرازي وغيره (٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٥).

وقال الحسن وقتادة: إن المكنّى عنه بقوله ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ ابن آدم وزوجته، وليس براجع إلى آدم وحواء.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ
يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ
أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ
فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ
بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ
لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٩٨﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ يعني الأصنام، يعني أرجل يمشون بها في مصالحكم.

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ يعني في الدفع عنكم.

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ يعني مضاركم من منافعكم.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ دعاءكم وتضرعكم.

فإن قيل فلم أنكر عبادة من لا رجل له ولا يد ولا عين؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما: أن من عبد جسماً لا ينفع كان ألوم ممن عبد جسماً ينفع.

والثاني: أنه عرفهم أنهم مفضلون عليها، فكيف يعبدون من هم أفضل منه.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ

ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قوله عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: العفو من أخلاق الناس وأعمالهم، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد.

الثاني: خذ العفو من أموال المسلمين، وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها، قاله الضحاك والسدي وأحد قولي ابن عباس.

والثالث: خذ العفو من المشركين، وهذا قبل فرض الجهاد، قاله ابن زيد.

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: معناه بالمعروف، قاله عروة وقتادة.

والثاني: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل حين نزلت[٣٢١] عليه هذه الآية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالم، قال: ثُمَّ عَادَ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك»، قاله ابن زيد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فإن قيل فكيف أمر بالإعراض مع وجوب الإنكار عليهم؟

قيل: إنما أراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم. وهذا وإن كان خطاباً لنبيِّه عليه السلام فهو تأديب لجميع خلقه.

قوله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن النزغ الانزعاج.

والثاني: الغضب.

والثالث: الفتنة، قاله مقاتل.

---

(٣٢١) وهذا الأثر رواه الطبري (١٣/ ٣٣٠) بسنده إلى رجل لم يسم وقيل هو أميّ بن ربيعة كما قال محققه الطبري. وقد خرج الأثر السيوطي في الدر (٣/٦٢٨) وزاد نسبته لابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وسمى الرجل الشعبي.

وقد روى ابن مردويه نحوه من حديث جابر كما في الدر (٣/٦٢٨).

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سميع بجهل من جهل، عليم بما يزيل عنك النزغ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة ﴿طَآئِفٌ﴾، وقرأ(٣٢٢) الباقون ﴿طَيْفٌ﴾ واختلف في هاتين القراءتين على قولين:

أحدهما: أن معناهما واحد وإن اختلف اللفظان، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على أربعة تأويلات:

أحدها: أن الطيف اللمم كالخيال يلم بالإنسان.

والثاني: أنه الوسوسة، قاله أبو عمرو بن العلاء.

والثالث: أنه الغضب، وهو قول مجاهد.

والرابع: أنه الفزع، قاله سعيد بن جبير(٣٢٣).

والقول الثاني: أن معنى الطيف والطائف مختلفان، فالطيف اللمم، والطائف كل شيء طاف بالإنسان.

﴿تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علموا فإذا هم منتهون.

والثاني: اعتبروا فإذا هم مهتدون.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا

---

(٣٢٢) وهم ابن كثير وأبو عمرو الكسائي ويعقوب كما في المبسوط من القراءات (ص ٢١٨). وفيها قراءة أخرى بتشديد الياء من غير ألف هكذا «طيّف» راجع زاد المسير (٣/٣٠٩).

(٣٢٣) والصواب عدم الاقتصار على شيء من هذه الأشياء وقال الإمام الطبري رحمه الله «يقول إذا ألم بهم لمم من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان أ.هـ (٣٣٤/١٣).

بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه هلا أتيتنا بها من قبل نفسك، وهذا قول مجاهد، وقتادة.

والثاني: معناه هلا اخترتها لنفسك.

والثالث: معناه هلا تقبلتها من ربك، قاله ابن عباس.

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا قُرِىءَ ٱلْقُرْءَآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي لقراءته.

﴿وَأَنصِتُواْ﴾ أي لا تقابلوه بكلام ولا إعراض ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

واختلفوا في موضع هذا الإنصات على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت ولا يقرأ، قاله مجاهد.

والثاني: أنها نزلت في خطبة الجمعة ينصت الحاضر لاستماعها ولا يتكلم، قالته عائشة، وعطاء.

والثالث: ما قاله ابن مسعود(٣٢٤): كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة، سلام على فلان، سلام على فلان، فجاء القرآن من ﴿وَإِذَا قُرِىءَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ﴾.

وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ وفي هذا الذكر ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر القراءة في الصلاة خلف الإمام سراً في نفسه قاله قتادة.

والثاني: أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته.

(٣٢٤) رواه أبو جعفر الطبري (١٣/ ٣٤٥) وفيه انقطاع بين المسيب بن رافع وابن مسعود.

والثالث: ذكره باللسان إما رغبة إليه في دعائه أو تعظيماً له بالآية. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان:

أحدهما: أنه المستمع للقرآن إما في الصلاة أو الخطبة، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ ومعناه عام في جميع المكلفين.

ثم قال: ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ أما التضرع فهو التواضع والخشوع، وأما الخيفة فمعناه مخافة منه.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني أسرَّ القول إما بالقلب أو باللسان على ما تقدم من التأويلين.

ثم قال تعالى: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ فيه وجهان

أحدهما: بالبكر والعشيات.

والثاني: أن الغدو آخر الفجر صلاة الصبح، والآصال آخر العشي صلاة العصر، قاله مجاهد، ونحوه عن قتادة.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عن الذكر.

والثاني: عن طاعته في كل أوامره ونواهيه، قاله الجمهور.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ وهذا أول سجدات التلاوة في القرآن.

وسبب نزولها ما قاله كفار مكة ﴿وَمَا الرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ [الفرقان: ٦٠].

فأنزل اللّه تعالى هذه الآية وأعلمهم أن الملائكة المقربين إذا كانوا على هذه الحال في الخضوع والرغبة فأنتم بذلك أولى والله أعلم الصواب.



مدنية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء، وقال ابن عباس: إلا سبع آيات من قوله عز وجل: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾[الأنفال: ٣٠] إلى آخر سبع آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُلِ الأنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وهذا الخطاب لرسول الله ﷺ حين سأله أصحابه يوم بدر عن الأنفال.

وفي هذه الأنفال التي سألوه عنها خمسة أقاويل:

أحدها: أنها الغنائم، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك.

الثاني: أنها السرايا التي تتقدم الجيش، وهذا قول الحسن.

الثالث: الأنفال ما ندّ [٣٢٥] من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من دابة أو عبد، وهذا أحد قولي ابن عباس.

الرابع: أن الأنفال الخمس من الفيء والغنائم التي جعلها الله تعالى لأهل الخمس، وهذا قول مجاهد.

(٣٢٥) كذا قال وهو خطأ أو تحريف والصواب «شذ» كما في الطبري (١٣/٣٦٣).

الخامس: أنها زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش لما قد يراه من الصلاح(٣٢٦).

والأنفال جمع نَفَل، وفي النفل قولان:

أحدهما: أنه العطية، ومنه قيل للرجل الكثير العطاء: نوفل، قال الشاعر(٣٢٧):

يأتي الظلامة منه النوفل الزُّفَرُ

فالنوفل: الكثير العطاء. والزفر: الحمال للأنفال، ومنه سمي الرجل زفر.

والقول الثاني: أن النفل الزيادة من الخير ومنه صلاة النافلة. قال لبيد بن ربيعة(٣٢٨):

إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقاويل:

أحدها: ما رواه ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ(٣٢٩) «مَنْ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا» فسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله تعالى عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم رسول الله ﷺ، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإنا كنا ردءاً لكم، فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية.

الثاني: ما روى محمد بن عبيد(٣٣٠) عن سعد بن أبي وقاص(٣٣١) قال: لما كان يوم بدر قُتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أميةَ وأخذت سيفه وكان يسمى ذا(٣٣٢) الكتيفة فجئت به النبي ﷺ فقلت: هبه لي يا رسول الله، فقال «ٱطْرَحْهُ فِي

---

(٣٢٦) ورجحه الطبري (١٣/٣٦٥).

(٣٢٧) والبيت لأعشى باهلة اللسان (نفل).

(٣٢٨) ديوانه (٢/١١) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٤٠) واللسان (نفل).

(٣٢٩) رواه ابن جرير (١٣/٣٦٧) والحاكم (٢/٣٢٦) وصححه ووافقه الذهبي وأبو داود (٢٧٣٧) والبيهقي (٦/٣١٥) وزاد السيوطي في الدر (٤/٦) نسبته لابن أبي شيبة وابن حبان وابن مردويه وأبي الشيخ. وابن المنذر والنسائي.

(٣٣٠) سقط هنا بقية الاسم والتكملة من الطبري هكذا «عبيدالله».

(٣٣١) كذا هنا وفي الدر المنثور (٤/٣) «ذا الكتيعة» بالعين بدلاً من الفاء.

(٣٣٢) رواه ابن جرير (١٣/٣٧٣) وأحمد رقم (١٥٥٦) وأبو عبيدة في الأموال ٣٠٣ وابن أبي شيبة وابن مردويه كما في الدر (٤/٣) وفي الحديث انقطاع بين محمد بن عبيدالله وسعد راجع ما كتب في حاشية الطبري عن هذا الحديث.

القَبض» . فطرحته ورجعت وبي من الغم ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي ، قال : فما تجاوزت إلا قريباً حتى نزلت عليه سورة الأنفال فقال : « **اذْهَبْ فَخُذْ سَيفَكَ** » .

الثالث : أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً فاختلفوا وكانوا أثلاثاً فنزلت ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ**﴾ الآية . فملّكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله ، قاله عكرمة والضحاك وابن جريج .

والرابع : أنهم لم يعلموا حكمها وشكّوا في إحلالها لهم مع تحريمها على من كان قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ثم اختلف أهل العلم في نسخ هذه الآية على قولين :

أحدهما : أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ**﴾ [الانفال : ٤١] . الآية ، قاله عكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

والقول الثاني : أنها ثابتة الحكم ومعنى ذلك ؛ قل الأنفال لله ، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة ، والرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيها ، قاله ابن زيد .

﴿**فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يرد أهل القوة على أهل الضعف .

الثاني : أن يسلّموا لله وللرسول ليحكما في الغنيمة بما شاء الله .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قوله عز وجل : ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ فيه وجهان :

أحدهما: خافت.

الثاني: رَقَّتْ.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيهِمْ ءَايَاتُهُ﴾ يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر ونهي.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تصديقاً.

الثاني: خشية.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فيما يخافونه من الشدة في الدنيا.

الثاني: فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة.

كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾
وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ
ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾

قوله عز وجل: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهه فريق من المؤمنين كذلك ينجز وعدك في نصرك على أعدائك بالحق.

والثاني: كما أخرجك ربك من بيتك مِن المدينة إلى بدر بالحق كذلك جعل لك غنيمة بدر بالحق.

وفي قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وجهان:

أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق.

الثاني: أنه أخرجك بالحق الذي وجب عليك.

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كارهون خروجك.

الثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم لأنهم لم يعلموا أن الله تعالى قد جعلها لرسوله دونهم.

قوله عز وجل: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ يعني في القتال يوم بدر.

و ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بعد ما تبين لهم صوابه.

الثاني: بعد ما تبين لهم فرضه.

وفي المجادل له قولان:

أحدهما: أنهم المشركون، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم طائفة من المؤمنين(٣٣٣)، وهو قول ابن عباس، وابن إسحاق. لأنهم خرجوا لأخذ العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان فلما فاتهم ذلك أمروا بالقتال فجادلوا طلباً للرخصة وقالوا ما تأهبنا في الخروج لقتال العدو، فأنزل الله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ يعني كأنهم في قتال عدوهم يساقون إلى الموت، رعباً وأسفاً لأنه أشد لحال من سيق إلى الموت أن يكون ناظراً له وعالماً به.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ الآية. وسبب ذلك(٣٣٤) أن عير قريش لما أقبلت من الشام مع أبي سفيان همّ رسول الله ﷺ بالخروج لأخذها، وسار فبلغ ذلك قريشاً فخرجت للمنع عنها، فلما علم النبي ﷺ بخروجها شاور أصحابه، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد وقال: «سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ ٱللَّهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَينِ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الآنَ إِلَى مَصَارِعِ ٱلْقَومِ». فذلك معنى قوله ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني العير التي مع أبي سفيان أو الظفر بقريش الخارجين للمنع منها.

---

(٣٣٣) واختاره الطبري (١٣/٣٩٦).

(٣٣٤) رواه ابن جرير (١٣/٣٩٩) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٢٦) لابن اسحاق وابن المنذر واختصره المؤلف هنا.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي غير ذات الحرب وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن، وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج.

وفي الشوكة التي كُني بها عن الحرب وجهان:

أحدهما: أنها الشدة فكُني بها عن الحرب لما فيها من الشدة، وهذا قول قطرب.

والثاني: أنها السلاح، وكُني بها عن الحرب لما فيها من السلاح، من قولهم رجل شاكٍ في السلاح، قاله ابن قتيبة.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إظهار الحق بإعزاز الدين في وقته على ما تقدم من وعده.

والثاني: أن الحق في أمره لكم أن تجاهدوا عدوكم.

وفي صفة ذلك وجهان لأصحاب الخواطر.

أحدهما: يحق الحق بالإقبال عليه ويبطل الباطل بالإعراض عنه.

الثاني: يحق الحق بالقبول ويبطل الباطل بالرد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ معناه ليظهر الحق يعني الإسلام.

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ﴾ أي يذهب بالباطل يعني الشرك.

قال الحسن. هذه الآية نزلت قبل قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهي في القراءة بعدها.

روى سماك عن عكرمة قال(٣٣٥): قيل لرسول الله ﷺ يوم بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فقال له العباس وهو أسير في أيديهم: ليس لك ذلك، فقال: «لم؟» فقال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

---

(٣٣٥) والحديث مرسل من مرسلات عكرمة كما ترى ولم اظفر بمن خرجه ولا من وصله والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تستنصرون.

الثاني: تستجيرون.

والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر: طالب الظفر، والمستجير: طالب الخلاص.

والفرق بين المستغيث والمستعين أن المستغيث: المسلوب القدرة، والمستعين الضعيف القدرة.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ أي فأعانكم.

والفرق بين الاستجابة والإجابة أن الإجابة ما لم يتقدمها امتناع.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مع كل ملك ملك، وهو قول ابن عباس فتكون الألف ألفين. قال الشاعر(٣٣٦):

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

الثاني: معناه متتابعين، قاله السدي، وقتادة.

الثالث: معنى مردفين أي ممدّين، والإرداف إمداد المسلمين بهم، قاله مجاهد.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن البشرى هي في مددهم بألف من الملائكة بشروهم بالنصر فكانت، هي البشرى التي ذكرها الله تعالى.

والثاني: البشرى النصرة التي عملها الله لهم.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالبشرى.

والثاني: بالملائكة.

واختلفوا في قتال الملائكة معهم على قولين:

---

(٣٣٦) هو خزيمة بن زيد والبيت في الأغاني (١٣/٧٨) واللسان (ردف) والمعارف لابن قتيبة ٣٠٢ والأمثال للميداني (١/٦٥). وجمهرة الأمثال ٣١.

أحدهما: لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم، وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط.

الثاني: أن الملائكة قاتلت مع النبي ﷺ كما روى ابن مسعود أنه سأله أبو جهل: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: «مِن قِبَلِ ٱلْمَلَائِكَةِ» فقال: هم غلبونا لا أنتم.

وقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة لا من قبل الله تعالى.

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ
وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ
﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وكثيراً من أصحابه غشيهم النعاس ببدر.

قال سهل بن عبدالله: النعاس يحل في الرأس مع حياة القلب، والنوم يحل في القلب بعد نزوله من الرأس، فهوَّم(٣٣٧) رسول الله ﷺ حتى ناموا فبشر جبريل رسول الله ﷺ بالنصر فأخبر به أبا بكر.

وفي امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أمّنهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال: الأمن منيم، والخوف مسهر.

(٣٣٧) من التهويم وهو أول النوم وهو دون النوم الشديد (النهاية ٥/٢٨٣).

وقوله تعالى: ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ يعني به الدعة وسكون النفس من الخوف وفيه وجهان:

أحدهما: أمنة من العدو.

الثاني: أمنة من الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ لأن الله تعالى أنزل عليهم ماء السماء معونة لهم بثلاثة أمور:

أحدها: الشرب وإن كانوا على ماء.

الثاني: وهو أخص أحواله بهم في ذلك المكان وهو أن الرمل تلبد بالماء حتى أمكن المسلمين القتال عليه.

والثالث: ما وصفه الله تعالى به من حال التطهير.

وفي تطهيرهم به وجهان:

أحدهما: من وساوس الشيطان التي ألقى بها في قلوبهم الرعب، قاله زيد بن أسلم.

والثاني: من الأحداث والأنجاس التي نالتهم، قاله الجمهور.

قال ابن عطاء: أنزل عليهم ماءً طهر به ظواهر أبدانهم، وأنزل عليهم رحمة نقّى بها سرائر قلوبهم.

وإنما خصه الله تعالى بهذه الصفة لأمرين.

أحدهما: أنها أخص صفاته.

والثاني: أنها ألزم صفاته.

ثم قال: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وسوسته أن المشركين قد غلبوهم على الماء، قاله ابن عباس.

والثاني: كيده وهو قوله: ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة، قاله ابن زيد.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: ثقة بالنصر.

والثاني: باستيلائهم على الماء.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالصبر الذي أفرغه الله تعالى حتى يثبتوا لعدوهم، قاله أبو عبيدة.

والثاني: تلبيد الرمل بالمطر الذي لا يثبت عليه قدم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ معناه معينكم [٣٣٨] ويحتمل أن يكون معناه إني معكم في نصرة الرسول، فتكون الملائكة لتثبيت المؤمنين، والله تعالى متولي النصر بما ألقاه من الرعب في قلوب المشركين.

﴿فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: فثبوتهم بحضوركم معهم في الحرب.

والثاني: بقتالكم معهم يوم بدر، قاله الحسن.

والثالث: بإخبارهم أنه لا بأس عليهم من عدوهم.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾ يعني الخوف، ويحتمل أحد وجهين: إما أن يكون إلقاء الرعب بتخاذلهم، وإما أن يكون بتكثير المسلمين في أعينهم.

وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنه قال ذلك للملائكة معونة لهم.

والثاني: أنه قال ذلك لهم ليثبتوا به الذين آمنوا.

﴿فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: فاضربوا الأعناق، وفوق صلة زائدة[٣٣٩] في الكلام، قاله عطية والضحاك.

وقد روى المسعودي[٣٤٠] عن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِأُعَذِّبَ بِعَذَابِ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ بِضَرْبِ ٱلْأَعْنَاقِ وَشَدِّ ٱلْوَثَاقِ».

والثاني: معناه واضربوا الرؤوس فوق الأعناق، قاله عكرمة.

---

(٣٣٨) وهو أحد أنواع المعية الخاصة وهي هنا معية النصر والتأييد وهي خاصة لأوليائه من المؤمنين.

(٣٣٩) لكن نقل الشوكاني في فتح القدير (٢٩١/٣) عن محمد بن يزيد قوله. هذا خطأ لأن فوق يفيد معنى لا يجوز زيادتها ولكن المعنى أنه أبيح لهم ضرب الوجوه وما قرب منها أ هـ.

(٣٤٠) رواه الطبري (٢٩/١٣) وهو حديث معضل.

والثالث: فاضربوا على الأعناق.

والرابع: فاضربوا على الأعناق(٣٤١).

والخامس: فاضربوا فوق جلدة الأعناق.

﴿وَٱضْرِبُوا مِنهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ يعني المفاصل من أطراف الأيدي والأرجل والبنان: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفاً﴾ والزحف: الدنو قليلاً قليلاً.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ يعني بالهزيمة منهم والانصراف عنهم. وفيه قولان:

أحدهما: أن هذا على العموم في تحريم الهزيمة بعد لقاء العدو.

والثاني: مخصوص وهو أن الله تعالى أوجب في أول الإسلام على كل رجل من المسلمين أن يقف بإزاء عشرة من المشركين لا يحل له بعد اللقاء أن ينهزم عنهم وذلك بقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفاً مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] وفيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من الإسلام.

الثاني: لا يعلمون ما فرضه الله تعالى عليهم من القتال.

ثم نسخ ذلك عنهم بعد كثرتهم واشتداد شوكتهم فأوجب الله تعالى على كل رجل لاقى المشركين محارباً أن يقف بإزاء رجلين بعد أن كان عليه أن يقف بإزاء عشرة تخفيفاً ورخصة وذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْأَنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُم ضَعْفاً﴾.

---

(٣٤١) وإذا كان القول الرابع هكذا فهو كالقول الثالث تماماً ولعل القول الرابع يقصد به المؤلف رحمه الله الضرب على المذابح (أي أماكن الذبح) وهي في أعالي الأعناق والله أعلم.

قريء بضم الضاد[٣٤٢] وفتحها، وفي اختلاف القراءتين وجهان:

أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الفراء.

والثاني: معناهما مختلف.

وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: أنها بالفتح: الضعف في الأموال، وبالضم: الضعف في الأحوال.

الثاني: أنها بالفتح: الضعف في النيات، وبالضم: الضعف في الأبدان. وقيل بعكس الوجهين في الوجهين.

ثم قال: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مع الصابرين على القتال في معونتهم على أعدائهم.

الثاني: مع الصابرين على الطاعة في قبول عملهم وإجزال ثوابهم، فصار حتماً على من لاقى عدوه من المشركين زحفاً أن لا ينهزم مع القوة على المصابرة حتى يقضي الله من أمره ما شاء، فأما الهزيمة مع العجز عن المصابرة فإن قاتله أكثر من مثليه جاز أن يُولي عنهم منهزماً، وإن قاتله مثلاه فمن دون حرم عليه أن يولّي عنهم منهزماً إلا على صفتين: إما أن يتحرف لقتال وهو أن يهرب ليطلب، ويفر ليكر فإن الحرب كرٌّ وفرٌ، وهرب وطلب، وإما أن يتحيز إلى فئة أخرى ليقاتل معها، قربت الفئة أو بعدت، وذلك ظاهر في قوله تعالى:

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي صار بالمكان الذي يحق عليه غضب الله، مأخوذ من المبوأ وهو المكان.

ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيه أن هذا على العموم[٣٤٣]، محكوم به في كل مسلم لاقى عدواً، وبه قال عبدالله بن عباس.

---

(٣٤٢) وهي قراءة بضم الضاد وفتح العين وهي قراءة ابن جعفر هكذا «وعلم أن فيكم ضعفاء» على وزن فُعلاء جمع ضعيف المبسوط ص ٢٢٢ وزاد المسير (٣/ ٣٧٩).

(٣٤٣) قال أبو جعفر الطبري (٣/ ٤٤٠) «وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي قول من قال حكمها محكم [أي غير منسوخة] وأنها نزلت في أهل بدر وحكمها ثابت في جميع المؤمنين وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرف لقتال أو التحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كان

وحكي عن الحسن، وقتادة، والضحاك: أن ذلك خاص في أهل بدر، وبه قال أبو حنيفة.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى أمكنكم منهم.

والثاني: ولكن الله قتلهم بمعونته لكم حين ألقى في قلوبهم الرعب وفي قلوبكم النصر.

وفيه وجه ثالث قاله ابن بحر: ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم.

وقيل لم تقتلوهم بقوتكم وسلاحكم ولكن الله قتلهم بخذلانهم وقبض أرماحهم(٣٤٤).

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: ما حكاه ابن عباس، وعرة، والسدي: أن النبي(٣٤٥) ﷺ قبض يوم بدر قبضة من تراب رماهم بها وقال: «شَاهَتِ ٱلْوُجُوهُ» أي قبحت ومنه قول الحطيئة(٣٤٦):

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه . . فقُبح من وجهٍ وقبح حامله.

فألقى اللّه تعالى القبضة في أبصارهم حتى شغلتهم بأنفسهم وأظفر اللّه المسلمين بهم، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

الثاني: معناه وما ظفرت إذ رميت ولكن الله أظفرك، قاله أبو عبيدة.

الإسلام وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

(٣٤٤) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب أرواحهم والله أعلم.

(٣٤٥) وقال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٢٩٤) «وهو الصحيح» يعني من القول ورواه الطبري من رواية السدي (١٣/ ٤٤٥).

(٣٤٦) ديوانه:

الثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ولكن الله ملأ قلوبهم رعباً.

والقول الرابع: أنه أراد رمى أصحابه بالسهم فأصاب رميهم(*).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني بما أرسله من الريح المعينة لسهامهم حتى سددت وأصابت. والمراد بالرمي الإصابة لأن معنى الرمي محمول على الإصابة، فإن لم يصب قيل رمى فأخطأ. وإذا قيل مطلقاً: قد رمى، لم يعقل منه إلا الإصابة، ألا ترى إلى قول امرىء القيس:

فرماها في فرائصها.

فاستغنى بذكر الرمي عن وصفه بالإصابة.

وقال ذو الرمة في الرأي(٣٤٧):

رمى فأخطأ والأقدار غالبةٌ.. فانصاع والويل هجيراه والحربُ

قوله عز وجل: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ قال أصحاب الخواطر: البلاء الحسن ما يورثك الرضا به والصبر عليه.

وقال المفسرون: البلاء الحسن ها هنا النعمة بالظفر والغنيمة.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله عز وجل ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن تستنصروا الله، فالفتح النصر، فقد جاءكم فضل الله بنصرنا، حكاه ابن الأنباري.

والثاني: معناه إن تستنصروا الله، والفتح النصر، فقد جاءكم نصر الله لنا عليكم. وفي هذا الخطاب قولان.

أحدهما: أنه خطاب للمشركين لأنهم استنصروا يوم بدر بأن قالوا: اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه، فنصر الله تعالى نبيه والمسلمين عليهم.

(*) بياض في الأصل مقدار ثلاث كلمات.

(٣٤٧) اللسان (هجر) والشطر الثاني فيه فانصعن والويل هجِّيراه والحرب.

ثم قال ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن الاستنصار كان عليهم لا لهم. ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإن تعودوا إلى مثل هذا التكذيب نعد إلى مثل هذا التصديق.

والثاني: وإن تعودوا إلى مثل هذا الاستفتاح نعد إلى مثل هذا النصر.

والقول الثاني: أنه خطاب للمؤمنين نصرهم الله تعالى يوم بدر حين استنصروه ﴿وَإِن تنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعني عما فعلتموه في الأسرى والغنيمة. ﴿وإن تَعودوا نعد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإن تعودوا إلى الطمع **نعد** إلى المؤاخذة.

الثاني: وإن تعودوا إلى مثل ما كان منكم في الأسرى والغنيمة نعد إلى الإنكار عليكم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ
وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أما الدواب فاسم لكل ما دب على الأرض من حيوانها لدبيبه عليها مشياً، وكان بالخيل أخص. والمراد بِشَرِّ الدواب الكفار لأنهم شر ما دبّ على الأرض من الحيوان.

ثم قال: ﴿الصُّمُّ﴾ لأنهم لا يسمعون الوعظ. ﴿الْبُكْمُ﴾ والأبكم هو المخلوق أخرس، وإنما وصفهم بالبكم لأنهم لا يقرون بالله تعالى ولا بلوازم طاعته.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه.

والثاني: لا يعتبرون اعتبار العقلاء.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار.

قوله عز وجل: ﴿وَلَو عَلِمَ اللَّهُ فِيهِم خَيْراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: اهتداء.

الثاني: إصغاء.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدهما: لأسمعهم الحجج والمواعظ سماعَ تفهيم وتعليم، قاله ابن جريج وابن زيد.

الثاني: لأسمعهم كلام الذين طلبوا إحياءهم من قصي بن كلاب وغيره يشهدون بنبوتك قاله بعض المتأخرين.

والثالث: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه، قاله الزجاج.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ولو أسمعهم الحجج والمواعظ لأعرضوا عن الإصغاء والتفهم.

والثاني: ولو أجابهم إلى ما اقترحوه لأعرضوا عن التصديق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني أجيبوا الله والرسول قال كعب بن سعد الغنوي[٣٤٨].

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وإجابة الله تعالى هي طاعة أمره، وإنما خرجت عن هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء إليها فصارت إجابة لها.

﴿إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: إذا دعاكم إلى الإيمان، قاله السدي.

والثاني: إذا دعاكم إلى الحق، قاله مجاهد.

والثالث: إذا دعاكم إلى ما في القرآن، قاله قتادة.

والرابع: إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو، قاله ابن إسحاق.

---

(٣٤٨) فتح القدير (٢/ ٢٩٩).

والخامس: إذا دعاكم إلى ما فيه دوام حياتكم في الآخرة، ذكره علي بن عيسى.

والسادس: إذا دعاكم إلى ما فيه إحياء أمركم في الدنيا، قاله الفراء.

والسابع: أنه على عموم الدعاء فيما أمرهم به.

روى العلاء بن عبد الرحمن(٣٤٩) عن أبيه عن أبي هريرة قال: مر سول الله ﷺ على أبيّ وهو قائم يصلي فصرخ به قال «يَا أُبيّ»، قال فعجل في صلاته، ثم جاء، فقال رسول الله ﷺ «مَا مَنَعَكَ إذْ دَعَوتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟» قال: يا رسول الله كنت أصلي، فقال «أَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إلَيَّ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال بلى يا رسول الله، لا أعود(٣٥٠).

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فيه لأهل التأويل سبعة أقاويل:

أحدها: يحول بين الكافر والإيمان، وبين المؤمن والكفر، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك.

والثاني: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل، قاله مجاهد.

والثالث: يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه، قاله السدي.

والرابع: معناه أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفى عليه شيء من سره أو جهره فصار أقرب إليه من حبل الوريد، وهذا تحذير شديد، قاله قتادة.

والخامس: معناه يفرق بين المرء وقلبه بالموت فلا يقدر على استدراك فائت. ذكره علي بن عيسى.

والسادس: يحول بين المرء وما يتمناه بقلبه من البقاء وطول العمر والظفر والنصر، حكاه ابن الأنباري.

---

(٣٤٩) رواه الطبري (١٣/٤٦٧) واللفظ له وأحمد (٢/٤١٢/٤١٣) والترمذي (٣٠٣٦) وصححه وللحديث روايات أخرى راجعها في الفتح (٨/١١٩ ـ ٢٣١).

(٣٥٠) قال العلامة الشوكاني (٢/٢٩٩).

«ويستدل بهذه الآية على أنه يجب على كل مسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائناً ما كان ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال وفي هذه الآية الشريفة أعظم باعث على العمل بنصوص الأدلة وترك الاعتداد بالرأي وعدم الاعتداد بما يخالف ما في الكتاب والسنة كائناً ما كان.

والسابع: يحول بين المرء وما يوقعه في قلبه من رعب وخوف أو قوة وأمن، فيأمن المؤمن من خوفه، ويخاف الكافر عذابه.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنه المنكر، أمر الله تعالى المؤمنين ألا يقروه بين أظهرهم فيعمهم العذاب قاله ابن عباس.

والثاني: أنها الفتنة بالأموال والأولاد كما قال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[الأنفال: ٢٨] قاله عبدالله بن مسعود.

والثالث: أن الفتنة ها هنا البلية التي يبلى الإنسان بها، قاله الحسن.

والرابع أنها نزلت في النكاح بغير وليّ، قاله بشر بن الحارث(٣٥١).

ويحتمل خامساً: أنها إظهار البدع.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُم خَاصَّةً﴾ وجهان:

أحدهما: لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا.

الثاني: لا يصيبن عقابُ الفتنة، فتكون لأهل الجرائم عقوبة، ولأهل الصلاح ابتلاء.

وفيه وجه ثالث: أنه دعاء للمؤمن أن لا تصيبه فتنة، قاله الأخفش.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُواْ إِذْ أَنتُم قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد بذلك قلتهم إذ كانوا بمكة وذلتهم باستضعاف قريش لهم.

وفي هذا القول وجهان:

---

(٣٥١) هو بشر بن الحارث الزاهد المعروف بالحافي كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد وأخباره كثيرة. وشمائله في التقشف والزهد والورع شهيرة له ترجمة في تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٩، ٣٩٠).

أحدهما: أن الله ذكّرهم بذلك نعمه عليهم.

والثاني: الإخبار بصدق وعده لهم.

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني بالناس كفار قريش، قاله عكرمة وقتادة.

والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه.

ثم بيّن ما أنعم به عليهم فقال ﴿فَئَاوَاكُمْ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أي جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين.

والثاني: فآواكم بالهجرة إلى المدينة، قاله السدي.

﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ أي قواكم بنصره لكم على أعدائكم يوم بدر.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني من الحلال، وفيه قولان:

أحدهما: ما مكنكم فيه من الخيرات.

والثاني: ما أباحكم من الغنائم، قاله السدي.

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في المهاجرين خاصة بعد بدر.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُواْ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا تخونوا الله سبحانه والرسول عليه السلام كما صنع المنافقون في خيانتهم، قاله الحسن والسدي.

والثاني: لا تخونوا الله والرسول فيما جعله لعباده من أموالكم.

ويحتمل ثالثاً: أن خيانة الله بمعصية رسوله، وخيانة الرسول، بمعصية كلماته.

﴿وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم.

الثاني: فيما ائتمن(٣٥٢) الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها.

(٣٥٢) وقد جمعنا في شرح الأمان وصورها رسالة خاصة بعنوان طلب الإعانة في شرح حديث الأمانة يسر الله طبعها.

والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان.

﴿وَأَنتُم تَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة،

والثاني: وأنتم تعلمون ما في الخيانة من المأثم بخلاف من جهل.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في أبي لُبابَة بن عبد المنذر أرسله رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم سعد فاستشاروه وكان قد أحرز أولاده وأمواله عندهم فأشار عليهم أن لا يفعلوا وأومأ بيده إلى حلقه أنه الذبح، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية إلى قوله:

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُم فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن ما عند الله تعالى من الأجر خير من الأموال والأولاد.

والثاني: أن ما عند الله تعالى من أجر الحسنة التي يجازي عليها بعشر أمثالها أكثر من عقوبة السيئة التي لا يجازي عليها إلا بمثلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معنى فرقاناً أي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، قاله ابن زيد وابن إسحاق.

والثاني: يعني مخرجاً في الدنيا والآخرة، قاله مجاهد.

والثالث: يعني نجاة، قاله السدي.

والرابع: فتحاً ونصراً، قاله الفراء.

ويحتمل خامساً: يفرق بينكم وبين الكافر في الآخرة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ وذلك أن قريشاً تآمروا في دار الندوة على رسول الله ﷺ فقال عمرو بن هشام: قيدوه واحبسوه في بيت نتربص به ريب المنون. وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم على بعير مطرود تستريحوا منه ومن أذاه لكم. قال أبو جهل: ما هذا برأي ولكن اقتلوه وليجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية. فأوحى الله عز وجل بذلك إلى نبيه ﷺ فخرج إلى الغار مع أبي بكر رضي الله عنه ثم هاجر منه إلى المدينة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

فهذا بيان قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليثبتوك في الوثاق، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة.

والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء وعبد الله بن كثير والسدي.

والثالث: معنى يثبتوك أي يخرجوك، كما يقال قد أثبته في الحرب إذا أخرجته، قاله بعض المتأخرين.

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أو يخرجوك من مكة إلى طرف من أطراف الأرض كالنفي.

والثاني: أو يخرجوك على بعير مطرود حتى تهلك، أو يأخذك بعض العرب فتقتلك فتريحهم منك، قاله الفراء.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : قد سمعنا هذا منكم ولا نطيعكم .

والثاني : قد سمعنا قبل هذا مثله فماذا أغناكم .

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَا﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : مثل هذا في النظم والبيان معارضة له في الإعجاز .

والثاني : مثل هذا في الاحتجاج معارضة له في الاستدعاء إلى الكفر .

﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني أحاديث الأولين ويحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قصص من مضى وأخبار من تقدم .

والثاني : أنه مأخوذ عمن تقدم وليس بوحي من الله تعالى .

وقيل إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة ، وقد قتله النبي ﷺ صبراً في جملة ثلاثة من قريش : عقبه بن أبي معيط ، والمطعم بن عدي ، والنضر بن الحارث وكان أسير المقداد ، فلما أمر رسول الله ﷺ بقتل النضر قال المقداد : أسيري يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ «اللَّهُمَّ أَعِنِ[٣٥٣] المِقْدَادَ» ، فقال : هذا أردت . وفيه أنزل الله تعالى الآية التي بعدها .

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي هذا القول وجهان :

أحدهما : أنهم قالوا ذلك عناداً للحق وبغضاً للرسول ﷺ .

والثاني : أنهم قالوا ذلك اعتقاداً أنه ليس بحق . وفيهم نزل قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : ١] وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص : ١٦] . قال عطاء : لقد نزلت في النضر بضع عشرة آية من كتاب الله تعالى .

قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه قال ذلك إكراماً لنبيه وتعظيماً لقدره أن يعذب قوماً هو بينهم تعظيماً لحرمته .

(٣٥٣) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب «اللهم أغن المقداد» والتصحيح من الطبري (١٣ / ٥٠٤) والأثر من قول سعيد بن جبير ولم يعزه المؤلف هنا إليه وعلى هذا فالأثر مرسل .

والثاني: إرساله فيهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون وهذا قول الضحاك وأبي مالك وعطية.

والثاني: لا يعذبهم في الدنيا وهم يستغفرون فيها فيقولون: غفرانك.

قال ابن عباس(٣٥٤): كان المشركون بمكة يطوفون بالبيت ويقولون: لبيك لبيك لا شريك لك، فيقول النبي ﷺ «قَدْ قَدْ»(٣٥٥) فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، ويقولون غفرانك، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قاله أبو موسى ويزيد(٣٥٦) بن رومان ومحمد بن قيس.

والثالث: أن الاستغفار في هذا الموضع الإسلام، ومعنى الكلام: وما كان الله معذبهم وهم يسلمون، قاله عكرمة ومجاهد.

والرابع: وما كان الله معذب من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام، قاله ابن عباس.

والخامس: معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا استدعاء لهم إلى الاستغفار، قاله قتادة والسدي وابن زيد.

والسادس: وما كان الله معذبهم أي مهلكهم وقد علم أن لهم أولاد وذرية يؤمنون ويستغفرون

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا

(٣٥٤) رواه الطبري (١٣/ ٥١١، ٥١٢) وزاد السيوطي في الدر نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الشيخ وابن مردويه. والبيهقي في سننه الدر، (٤/ ٥٥).

(٣٥٥) أي حسبكم لا تزيدوا.

(٣٥٦) هو أبو روح المدني يزيد بن رومان مولى آل الزبير قرأ القرآن على عبدالله بن عباس بن ابي ربيعة وكان عالماً كثير الحديث ثقة توفي سنة ثلاثين ومائة له ترجمة في تهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٤).

كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلبَيتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ في المكاء قولان:

أحدهما: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم، قاله مجاهد.

والثاني: هو أن يشبك بين أصابعه ويصفر في كفه بفيه فيكون المكاء هو الصفير، ومنه قول عنترة:(٣٥٧)

وحليل غانيةٍ تركت مُجدّلا ... تمكو فريصته بشدق الأعلم

أي تصفر بالريح لما طعنته.

وأما التصدية ففيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه التصفيق، قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وقتادة والسدي ومنه قول عمرو بن الإطنابة(٣٥٨).

وظلوا جميعاً لهم ضجة ... مكاء لدى البيت بالتصدية

والثاني: أنه الصد عن البيت الحرام، قاله سعيد (٣٥٩)بن جبير وابن زيد.

والثالث: أن يتصدى بعضهم لبعض ليفعل مثل فعله، ويصفر له إن غفل عنه، قاله بعض المتأخرين.

الرابع: أنها تفعلة من صد يصد، وهو الضجيج، قاله أبو عبيدة. ومنه قوله تعالى ﴿إِذَا قَومُكَ مِنهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] أي يضجون.

الخامس: أنه الصدى الذي يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله، قاله ابن بحر.

فإن قيل: فلم سمّى الله تعالى ما كانوا يفعلونه عند البيت من المكاء والتصدية صلاة وليس منها؟

(٣٥٧) سيرة ابن هشام (٢/٣٢٦) والمعاني الكبير (٩٨١) واللسان (مكا) والبيت من معلقة عنترة المشهورة.

(٣٥٨) فتح القدير (٢/٣٠٦).

(٣٥٩) قال العلامة الألوسي معقباً على قول سعيد(٩/٢٠٣) تفسير التصدية لصد الناس عن المسجد الحرام قال «فيه بعد وأبعد من ذلك تفسير عكرمة لها بالطواف على الشمال بل لا يكاد يسلم» وقال العلامة ابن جرير (١٣/٥٢٧) عن قول سعيد «قول لا وجه له».

قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: أنهم كانوا يقيمون التصفيق والصفير مقام الدعاء والتسبيح فجعلوا ذلك صلاة وإن لم يكن في حكم الشرع صلاة.

والثاني: أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: عذاب السيف يوم بدر، قاله الحسن والضحاك وابن جريج وابن إسحاق.

والثاني: أنه يقال لهم في الآخرة ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: فالقوا.

الثاني: فجربوا.

وحكى مقاتل في نزول هذه الآية أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام من كفار بني عبد الدار بن قصي رجلان عن يمين النبي ﷺ يصفران كما يصفر المكاء والمكاء طائر، ورجلان منهم عن يساره يصفقان بأيديهما ليخلطوا عليه صلاته وقراءته، فنزلت هذه الآية فيهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ
﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها نفقة قريش في قتال رسول الله ﷺ يوم بدر، قاله الضحاك.

والثاني: أنه أبو سفيان استأجر معه يوم أُحد ألفين من الأحابيش ومنه كنانة(٣٦٠)

(٣٦٠) كذا هنا وفي المطبوعة ولعله «من بني كنانة» كما في الطبري (١٣/ ٥٣٠).

ليقاتل بهم رسول الله ﷺ، سوى من انحاز إليه من العرب، قاله سعيد ومجاهد والحكم بن عيينة، وفي ذلك يقول كعب بن مالك:

وجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسرٌ ومقنع
ثلاثة آلافٍ ونحن نَصِيَّة ثلاثُ مئينٍ إن كثرنا فأربع

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيهِم حَسْرَةً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يكون إنفاقها عليهم حسرة وأسفاً عليها.

والثاني: تكون خيبتهم فيما أملوه من الظفر عليهم حسرة تحذرهم بعدها.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ وعد بالنصر فحقق وعده.

قوله عز وجل ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحلال من الحرام.

الثاني: الخبيث ما لم تخرج منه حقوق الله تعالى، والطيب: ما أخرجت منه حقوق الله تعالى.

ويحتمل ثالثاً: أن الخبيث: ما أنفق في المعاصي، والطيب: ما أنفق في الطاعات.(٣٦١)

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي يجمعه في الآخرة وإن تفرق في الدنيا ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾ أي يجعل بعضه فوق بعض، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾ [النور: ٤٣].

وفي قوله تعالى ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ وإن كانت الأموال لا تعذّب وجهان:

أحدهما: أن يجعلها عذاباً في النار يعذبون بها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥] الآية.

الثاني: أنه يجعل أموالهم معهم في جهنم لأنهم استطالوا بها وتقووا على معاصي الله فجعلها معهم في الذل والعذاب كما كانت لهم في الدنيا عزاً ونعيماً

---

(٣٦١) سيرة ابن هشام (٣/١٤١) ونسب قريش (٩) وطبقات فحول الشعراء (١٨٣) والطبري (١٣/٥٣٠) وفي السيرة إن كدنا وأربع واستصوبه محقق الطبري.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ
مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة إلى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المؤاخذة والمعاقبة.

والثاني: إن ينتهوا عن الكفر بالإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الآثام.

﴿**وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ**﴾ تأويله على احتمال الوجهين الأولين:

فعلى الوجه الأول: تأويله: وإن يعودواْ إلى المحاربة فقد مضت سنة الأولين فيمن قتل يوم بدر وأسر، قاله الحسن ومجاهد والسدي.

وعلى الوجه الثاني: فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة فيما أخذهم الله به في الدنيا من عذاب الاستئصال.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله ﷺ عام الفتح وقال لهم: «**مَا ظَنُّكُم بِي وَمَا ٱلَّذِي تَرَونَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُم؟**» قالوا: ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا، فقال ﷺ: «**أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ ٱليَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾.**» [يوسف: ٩٢] فأنزل الله تعالى هذه الآية.

۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ
عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل: ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ مَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ذكر الله تعالى الفيء في سورة[٣٦٢] الحشر والغنيمة في هذه السورة.

واختلفوا في الفيء والغنيمة على ثلاثة أقاويل.

أحدها: أن الغنيمة ما ظهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرض، قاله عطاء بن السائب:

والثاني: أن الغنيمة ما أخذ عنوة، والفيء ما أخذ عن صلح، قاله الشافعي وسفيان الثوري.

والثالث: أن الفيء والغنيمة سواء وهو كل مال أخذ من المشركين، وآية الفيء التي هي في سورة الحشر منسوخة بآية الغنيمة التي في سورة الأنفال، قاله قتادة[٣٦٣].

وقوله تعالى ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ يريد جميع ما وقع عليه اسم شيء مباح حواه المسلمون من أموال المشركين.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه استفتاح كلام، فلله الدنيا والآخرة وما فيهما، ومعنى الكلام فأن للرسول خمسه، قاله الحسن وعطاء وقتادة وإبراهيم والشافعي، وروى نهشل عن الضحاك عن ابن[٣٦٤] عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرّية فغنموا خمّس الغنيمة فصرف ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ وإنما قوله ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ مفتاح كلام، ولله ما في السموات وما في الأرض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحد.

والثاني: أن سهم الله مستحق لبيته، ومعناه فإن لبيت الله خمسه وللرسول وقد روى الربيع بن أنس عن أبي العالية[٣٦٥] الرياحي قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى

---

(٣٦٢) في قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ [الحشر: ٧].

(٣٦٣) وقد عقب العلامة ابن جرير على قول قتادة هذا بقوله: وأما قول من قال الآية التي في سورة الأنفال ناسخة للآية التي في سورة الحشر فلا معنى له إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ينفي حكم الأخرى.

(٣٦٤) إسناده ضعيف جداً رواه الطبري (١٣/ ٥٤٩) مطولاً وفي (١٣/ ٥٥٦) مختصراً وفي سنده نهشل وهو ابن سعيد بن وردان قال إسحق بن إبراهيم كان نهشل كذاباً وبذلك يسقط الخبر.

(٣٦٥) وقول أبي العالية هذا يقتضي أن يقسم على ستة أسهم وهو قول تفرد به عن الجمهور.

بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل.

وقوله تعالى ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه مفتاح كلام اقترن بذكر الله وليس للرسول من ذلك شيء كما لم يكن لله من ذلك شيء، وأن الخمس مقسوم على أربعة أسهم، وهذا قول ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة.

والثاني: أن ذلك للرسول وهو قول الجمهور.

واختلفوا في سهم رسول الله ﷺ بعده على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة.

والثاني: أنه لقرابة النبي ﷺ إرثاً، وهذا قول من جعل النبي موروثاً.

والثالث: أن سهم الرسول ﷺ مردود على السهام الباقية ويقسم الخمس على أربعة.

والرابع: أنه مصروف في مصالح المسلمين العامة، قاله الشافعي.

والخامس: أن ذلك مصروف في الكراع[٣٦٦] والسلاح، وروي أن ذلك فعل أبي بكر وعمر، رواه النخعي.

أما قوله تعالى ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فاختلف فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم بنو هاشم، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم قريش كلها، روى سعيد المقري قال: كتب[٣٦٧] نجدة إلى عبدالله بن عباس يسأله عن ذي القربى، قال: فكتب إليه عبدالله بن عباس: كنا نقول إننا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا: قريش كلها ذوو قربى.

الثالث: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، قاله الشافعي والطبري.

واختلفوا في سهمهم اليوم على أربعة أقاويل:

(٣٦٦) الكراع اسم يجمع الخيل.

(٣٦٧) رواه الطبري (١٣/٥٥٤، ٥٥٥) وابو عبيدة في كتاب الأموال بنحوه (رقم ٨٥٠ ـ ٨٥٢).

أحدها: أنه لهم أبداً كما كان لهم من قبل، قاله الشافعي.

والثاني: أنه لقرابة الخليفة القائم بأمور الأمة.

والثالث: أنه إلى الإمام يضعه حيث شاء.

والرابع: أن سهمهم وسهم رسول الله ﷺ مردود على باقي السهام وهي ثلاثة، قاله أبو حنيفة.

وأما ﴿وَٱلْيَتَامَىٰ﴾ فهم من اجتمعت فيهم أربعة شروط:

أحدها: موت الأب وإن كانت الأم باقية، لأن يتم الآدميين بموت الآباء دون الأمهات ويتم البهائم بموت الأمهات دون الآباء.

والثاني: الصغر، لقول رسول الله ﷺ: «**لَا يُتْم بَعْدَ حُلُمٍ**»(٣٦٨).

والثالث: الإسلام لأنه مال المسلمين.

والرابع: الحاجة لأنه معد للمصالح.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنه لأيتام أهل الفيء خاصة.

والثاني: أنه لجميع الأيتام.

وأما ﴿ٱلْمَسَاكِينِ﴾ فهم الذين لا يجدون ما يكفيهم.

وأما أبناء السبيل فهم المسافرون من ذوي الحاجات، والإسلام فيهم معتبر. وهل يختص بأهل الفيء؟ على القولين. وقال مالك: الخمس موقوف على رأي الإمام فيمن يراه أحق به، وإنما ذكرت هذه الأصناف لصدق حاجتها في وقتها.

قوله عز وجل ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ وهو يوم بدر فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل.

إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ

---

(٣٦٨) رواه أبو داود (٢٧٨٣) وسنده ضعيف من أجل يحيى بن محمد المدني ولكن للحديث شواهد من حديث أنس وجابر وغيرهما كما قال السخاوي ما في المقاصد الحسنة وحسنه الأرناءوط في تخريج جامع الأصول (٦٤٢/١١).

مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني شفير الوادي ببدر، الأدنى إلى المدينة.

﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ يعني شفير الوادي الأقصى إلى مكة. وقال الأخفش: عدوة الوادي هو ملطاط(٣٦٩) شفيره الذي هو أعلى من أسفله، وأسفل من أعلاه.

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني عير أبي سفيان أسفل الوادي، قال الكلبي: على شاطىء البحر بثلاثة أميال.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَادِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ولو تواعدتم أن تتفقوا مجتمعين لاختلفتم في الميعاد، بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان من غير قصد لذلك.

والثاني: ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، قاله ابن إسحاق.

والثالث: ولو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عدوكم من غير معونة الله لكم لأخلفتم بالقواطع والعوائق في الميعاد.

قوله عز وجل ﴿... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فيه وجهان.

أحدهما: ليقتل ببدر من قتل من مشركي قريش عن حجة، وليبقى من بقي عن قدرة.

والثاني: ليكفر من قريش من كفر بعد الحجة ببيان ما وعدوا، ويؤمن من آمن بعد العلم بصحة إيمانهم.

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ

(٣٦٩) هو حافة الوادي.

فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ
إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ فيه وجهان.

أحدهما: أن الله أرى نبيه ﷺ قلة المشركين عياناً، وقوله ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ يريد في عينيك التي هي(٣٧٠) محل النوم، قاله الحسن.

والثاني: أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه، وهو الظاهر، وعليه الجمهور.

وإنما أراه ذلك على خلاف ما هو به لطفاً أنعم به عليه وعلى أمته، ليكون أثبت لقلوبهم وأقدم لهم على لقاء عدوهم، ولولا ذلك لما جازت هذه الحالة من الله تعالى في نبيه ﷺ.

﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لاختلفتم في لقائهم أو الكف عنهم.

والثاني: لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم.

﴿. . . وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: سلّم من الفشل.

والثاني: لجبنتم عنهم وانهزمتم منهم ولكن الله سلم من العدو.

وفيه ثالث: ولكن الله سلم أمره فيهم حتى نفذ ما حكم فيهم به من هلاكهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

---

(٣٧٠) وهذا القول قول أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٤٧) وقول كثير من النحويين وأورده الطبري (١٣/٥٧٠) ولم يصرح بالقائل بل قال «وزعم بعضهم».

وأما نسبة الاثر للحسن البصري ففيه غرابة ولهذا قال الحافظ ابن كثير (٢/٣١٥) «وهذا القول غريب» يعني من قول الحسن. وقال الزمخشري في الكشاف (٢/١٢٨) وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته. وبنحوه قال الآلوسي في روح المعاني (١٠/٨).

تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل ﴿. . . وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ والفشل هو التقاعد عن القتال جبناً.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يريد بالريح القوة، وضرب الريح لها مثلاً.

والثاني: يريد بالريح الدولة. ومعناه فتذهب دولتكم، قاله أبو عبيدة.

والثالث: يريد ريح النصر التي يرسلها الله عز وجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه قاله قتادة وابن زيد.

ويحتمل رابعاً: أن الريح الهيبة، وريح القوم هيبتهم التي تتقدمهم كتقدم الريح. ويكون معنى الكلام: فتذهب ريحكم وهيبتكم.

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ﴾ هم قريش حين خرجوا في حماية العير فنجا بها أبو سفيان، فقال لهم أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدراً وننحر جزوراً ونشرب خمراً وتعزف علينا القيان، فكان من أمر الله فيهم ما كان.

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال المفسرون: ظهر لهم في

صورة سراقة[٣٧١] بن جعشم من بني كنانة فزين للمشركين أعمالهم.

يحتمل وجهين:

أحدهما: زين لهم شركهم.

والثاني: زين لهم قتال رسول الله ﷺ.

وفيه وجه ثالث: أنه زين لهم قوتهم حتى اعتمدوها.

﴿وَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ يعني أنكم الغالبون دون المؤمنين.

﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أني معكم. وفي جواركم ينالني ما نالكم.

الثاني: مجير لكم وناصر. فيكون على الوجه الأول من الجوار، وعلى الوجه الثاني من الإجارة.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فئة المسلمين وفئة المشركين.

والثاني: المسلمون ومن أمدوا به من الملائكة، فكانوا فئتين.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ والنكوص أن يهرب ذليلاً خازياً، قال الشاعر:

وما ينفع المستأخرين نكوصهم ولا ضرّ أهل السابقات التقدم.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني من الملائكة الذين أمد الله بهم رسوله والمؤمنين.

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ وإنما ذكر خوفه من الله تعالى في هذا الموضع ولم يذكره في امتناعه من السجود لآدم لأنه قد كان سأل الإنظار إلى قيام الساعة فلما رأى نزول الملائكة ببدر تصور قيام الساعة فخاف فقال ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قوله عز وجل ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة، قاله ابن عباس ومجاهد.

(٣٧١) وفي هامش المخطوطة [بن مالك].

والثاني: أنهم المشركون، قاله الحسن.

والثالث: أنهم قوم مرتابون لم يظهروا العداوة للنبي ﷺ بخلاف المنافقين.

والمرض في القلب كله هو الشك، وهو مشهور في كلام العرب، قال الشاعر:

ولا مرضاً أتقيه إني لصائن لعرضي ولي في الأليّة مفخر

وقوله تعالى ﴿غرَّ هَـٰؤُلَآءِ﴾ يعني المسلمين.

﴿دِينُهُمْ﴾ يعني الإسلام، لأن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين ليتقدموا عليهم، وقلَّل المسلمين في أعين المشركين ليستهينوا بهم حتى أظفر بهم المسلمين فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يتوفاهم ملك الموت عند قبض أرواحهم، قاله مقاتل.

والثاني: قتل الملائكة لهم حين قاتلوهم يوم بدر.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ تأويله على القول الأول: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا واجهوهم، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار.

وتأويله على القول الثاني يحتمل وجهين:

أحدهما: يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا.

والثاني: أنهم جاءوهم من أمامهم وورائهم، فمن كان من أمامهم ضرب وجوههم، ومن كان من ورائهم ضرب أدبارهم.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً

أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ
ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل **﴿ذَالِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾** يحتمل خمسة أوجه:

أحدها: لم يك مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه.

والثاني: لم يك مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته.

والثالث: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم من تأدية حق الله تعالى منه.

والرابع: لم يك مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.

والخامس: لم يك مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ
مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي
ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

قوله عز وجل **﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾** فيه وجهان:

أحدهما: تصادفهم.

والثاني: تظفر بهم.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنذر بهم من خلفهم، قال الشاعر من هذيل(٣٧٢):

أطوِّف في الأباطح كلَّ يوم مخافة أن يشرِّد بي حكيم

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ يعني في نقض العهد.

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي فالق إليهم عهدهم حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم. والنبذ هو الإلقاء. قال الشاعر(٣٧٣):

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وفي قوله تعالى ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ خمسة أوجه:

أحدها: على مهل، قاله الوليد بن مسلم(٣٧٤).

والثاني: على محاجزة مما يفعل بهم، قاله ابن بحر.

والثالث: على سواء في العلم حتى لا يسبقوك إلى فعل ما يريدونه بك.

والرابع: على عدل من غير حيف، واستشهد بقول الراجز.

فاضرب وجوه الغد والأعداء حتى يجيبوك إلى السواء(٣٧٥)

أي إلى العدل.

والخامس: على الوسط واستشهد قائله بقول حسان(٣٧٦):

يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد

وذكر مجاهد أنها نزلت في بني قريظة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم

(٣٧٢) اللسان (شرد) وحكيم هو رجل من بن سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

(٣٧٣) اللسان (صدى) والشاعر هو القطامي.

(٣٧٤) هو أبو العباس الدمشقي عالم دمشق القرشي مات في المحرم سنة خمس وتسعين وقيل غير ذلك والأول أشهر تهذيب التهذيب (١٠/١٣٣ ـ ١٣٦).

(٣٧٥) الطبري (١٤/٢٧) وفتح القدير للشوكاني (٢/٣٢٠).

(٣٧٦) ديوان حسان (٩٨) والطبري (٢/٤٩٦، (١٤/٢٧).

مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن القوة ذكور الخيل، ورباط الخيل إناثها، وهذا قول عكرمة.

والثاني: القوة السلاح، قاله الكلبي.

والثالث: القوة التصافي واتفاق الكلمة.

والرابع: القوة الثقة بالله تعالى والرغبة إليه.

والخامس: القوة الرمي. روى يزيد بن أبي حبيب(٣٧٧) عن أبي عليّ الهمزاني(٣٧٨) عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ(٣٧٩) يقول على المنبر: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قوة﴾ ألا إنَّ القُوةَ الرميُ» قالها ثلاثاً(٣٨٠).

---

(٣٧٧) وفي الطبري (٣٢/١٤) يزيد بن ابي حبيب وعبد الكريم بن الحارث عن أبي علي.....

(٣٧٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو تصحيف والصواب الهمداني بالدال والتصويب من الطبري (٣٢/١٤) واسم أبي علي ثمامة بن شفي.

(٣٧٩) وهذا لفظ الطبري(٣٢/١٤) وفي سنده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ وضعف الطبري سند هذه الرواية في (٣٧/١٤).
لكن الحديث له طرق صحيحة أخرى عن عقبة بن عامر.

فرواه مسلم (٦٤/١٣) وأبو داود (٢٥١٤) وابن ماجه (٢٨١٣). والحاكم (٣٢٨/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابي الشيخ وابن مردوية وأبي يعقوب إسحق بن إبراهيم القراب في كتاب فضل الرمي والبيهقي في شعب الايمان.

(٣٨٠) ولا يخفى على المسلم المجاهد البصير بأمر دينه أن العدو اليوم قد طور أسلحته فينبغي أن لا يغفل المسلم عن ذلك بل عليه أن يعد العدة ويواجه بالمثل ولا حرج عليه في ذلك الإعداد مادياً كان أو معنوياً فكلاهما مطلوب قال العلامة الآلوسي (٢٥/١٠) وأنت تعلم أن الرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو لأنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع ولا يكاد ينفع معهما نبل وإذا لم يقابلوا بالمثل عم الداء العضال واشتد الوبال والنكال وملك البسيطة أهل الكفر والضلال فالذي أراه والعلم عند الله تعالى تعين تلك المقابلة على أئمة المسلمين وحماة الدين اهـ وقلت وفي كلامه رحمه الله الإشارة إلى إعداد العدة بما يلائم الوقت والعصر فتنبه.

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ على قول عكرمة إناثها خاصة، وعلى قول الجمهور على العموم الذكور والإناث. وقد روى عبدالله بن عمرو بن العاص قال(٣٨١): قال رسول الله ﷺ «ارتبطوا الخيل فإنَّ ظُهُورَهَا لَكُم عِزٌّ، وَأَجْوَافَهَا لَكُم كَنزٌ».

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عدو الله بالكفر وعدوكم بالمباينة.

والثاني: عدو الله هو عدوكم لأن عدو الله عدو لأوليائه. والإرهاب: التخويف.

﴿وَآخرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: هم بنو قريظة، قاله مجاهد.

والثاني: أهل فارس والروم قاله السدي.

والثالث: المنافقون؛ قاله الحسن وابن زيد.

والرابع: الشياطين(٣٨٢)، قاله معاذ بن جبل.

والخامس: كل من لا تعرفون عداوته، قاله بعض المتأخرين.

۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وإن مالوا إلى الموادعة فمِلْ إليها.

---

(٣٨١) لم اهتد إليه بنصه ولكن روى ابو داود (٣٥٤٤) والنسائي (٦/٢١٨، ٢١٩) جزء منه بنحوه ضمنه حديث ابي وهب الجشمي مرفوعاً ولفظه «ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها أو قال أكفالها وقلّدوها ولا تقلدوها الأوتار».

(٣٨٢) وفي نسخة «الجن» وهو اختيار الطبري.

قلت وسند من قال ذلك حديث منكر لا يصح سنداً ولا متناً كما قال الحافظ ابن كثير بعدما ساقه (٢/٣٢٢).

والثاني : وإن توقفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم .

والثالث: وإن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن تخلف باطن اعتقادهم .

وفيه ثلاثة أقاويل :

أحدها: أنها عامة في موادعة كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] قاله الحسن وقتادة وابن زيد .

والثاني : أنها في أهل الكتاب خاصة إذا بذلوا الجزية .

والثالث: أنها في قوم معينين سألوا الموادعة فأمر بإجابتهم .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن
يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: حسبك وحسب من[٣٨٣] اتبعك من المؤمنين الله، قاله الكلبي ومقاتل :

والثاني : حسبك الله أن تتوكل عليه والمؤمنون أن تقاتل بهم .

قال الكلبي : نزلت هذه الآية بالبيداء من غزوة بدر قبل القتال .

---

(٣٨٣) وقد تحدث ابن القيم معلقاً على هذه الآية والأوجه النحوية فيها بكلام طيب في زاد المعاد (١/ ٣٥، ٣٦) فراجعه .

قوله عـز وجل ﴿يَـآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مَاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً﴾ يعني يقاتلوا ألفاً قال مجاهد: وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين فشق ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى: ﴿الْأَنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُم﴾.

وقال ابن بحر: معناه أن الله تعالى ينصر كل رجل من المسلمين على عشرة من المشركين، وقد مضى تفسير هاتين الآيتين من قبل.

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قوله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهذا نزل في أسرى بدر حين استقر رأي النبي ﷺ فيهم بعد مشاورة أصحابه على الفداء بالمال، كل أسير بأربعة آلاف درهم، فأنكر الله تعالى ذلك عليه وأنه ما كان له أن يفادي الأسرى.

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هو الغلبة والاستيلاء، قاله السدي.

والثاني: هو كثرة القتل ليُعزَّ به المسلمون ويذل به المشركين. قاله مجاهد.

﴿يُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني المال، سماه عرضاً لقلة بقائه.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ يعني العمل بما يوجب ثواب الآخرة.

﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني ما أخذتموه من المال في فداء أسرى بدر.

وفي قوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن يعذبهم لمسهم فيما أخذوه من فداء أسرى بدر عذاب عظيم، قاله مجاهد وسعيد بن جبير.

والثاني: لولا كتاب من الله سبق في أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجلها من أهل بدر عذاب عظيم، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وعبيدة.

والثالث: لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحداً بعمل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، قاله ابن اسحاق.

والرابع: لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن الذي آمنتم به المقتضي غفران الصغائر لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وكان النبي ﷺ(٣٨٤) شاور أبا بكر وعمر في أسرى بدر فقال أبو بكر: هم قومك وعشيرتك فاستبقهم لعل الله أن يهديهم، وقال عمر: هم أعداء الله وأعداء رسوله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم، فمال رسول الله ﷺ بعد انصرافه عنهم إلى قول أبي بكر وأخذ فداء الأسرى ليتقوى به المسلمون، وقال «**أَنْتُم عَالَةٌ بعيني المُهَاجِرِينَ**. فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «**لَو عُذِّبْنَا فِي هَذَا الأَمْرِ يَا عُمَرُ لَمَا نَجَا غَيْرُكَ**» ثم إن الله تعالى بيَّن تحليل الغنائم والفداء بقوله ﴿**فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً**﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١

قوله عز وجل ﴿**يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ ٱلأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنْكُمْ**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أحل مما أخذ منكم.

الثاني: أكثر مما أخذ منكم.

قيل إن هذه الآية(٣٨٥) نزلت لما أسر العباس بن عبد المطلب مع أسرى بدر وأخذ منه رسول الله ﷺ فداء نفسه وابني أخويه عقيل ونوفل فقال: يا رسول الله كنت

---

(٣٨٤) وبنحوه روى ابن المنذر وابو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنها كما في الدر (١٠٨/٤).

(٣٨٥) وهو قول مقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي (٣٨٢/٣، ٣٨٣).

مسلماً وأخرجت مكرهاً ولقد تركتني فقيراً أتكفف الناس. قال: «**فَأَيْنَ ٱلْأَمْوَالُ ٱلَّتِي دَفَعْتَهَا إِلَى أُمِّ ٱلْفَضْلِ عِنْدَ خُرُوجِكَ**» فقال: إن الله ليزيدنا ثقة بنبوتك. قال العباس فصدق الله وعده فيما آتاني وإن لي لعشرين مملوكاً كل مملوك يضرب بعشرين الفاً في التجارة فقد أعطاني الله عز وجل خيراً مما أخذ مني يوم بدر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾ يعني بالله.

﴿**وَهَاجَرُواْ**﴾ يعني هاجروا وتركوا ديارهم في طاعة الله.

﴿**وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ والمجاهدة بالمال: النفقة، والمجاهدة بالنفس القتال. وهؤلاء هم المهاجرون مع النبي ﷺ إلى المدينة.

ثم قال ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُواْ**﴾ يعني الأنصار الذين آووا المهاجرين في منازلهم ونصروا النبي ﷺ ونصروهم.

﴿**أُوْلَـٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أولئك بعضهم أعوان بعض، قاله الجمهور.

والثاني: أولئك بعضهم أولى بميراث بعض. قال ابن عباس: جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام.

ثم قال تعالى ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُمْ مِّن وَلاَيَتِهِمْ مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ**﴾ يعني ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فكانوا يعلمون ذلك حتى أنزل الله تعالى ﴿**وَأُولُواْ ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ**﴾ يعني في الميراث فنسخت التي قبلها وصار التوارث لذوي الأرحام، قاله مجاهد وعكرمة والحسن والسدي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾

قوله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بعضهم أنصار بعض، قاله قتادة وابن إسحاق.

والثاني: بعضهم وارث بعض، قاله ابن عباس وأبو مالك.

﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ . . .﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إلاّ تناصروا أيها المؤمنون ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني بغلبة الكفار.

﴿وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ بضعف الإيمان، قاله ابن اسحاق وابن جرير(٣٨٦).

والثاني: إلاّ تتوارثوا بالإسلام والهجرة ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ باختلاف الكلمة. ﴿وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ بتقوية الخارج على الجماعة، قاله ابن عباس وابن زيد والله أعلم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾

(٣٨٦) لكن في الطبري (١٤/٨٦) قال قوله «وفساد كبير» قال يعني «ومعاص لله».



مدنية عند جميعهم. روي عن ابن عباس أن سورة براءة تسمى على عهد رسول الله ﷺ «الفاضحة» لأنها فضحت المنافقين(٣٨٧).

وحكى محمد بن اسحاق أنها كانت تسمى في زمن رسول الله ﷺ «المبعثرة» لما كشفته من أسرار الناس. وهي مدنية عند جميعهم(٣٨٨).

قال مقاتل وحده: إلا آيتين من آخرها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] نزلتا بمكة.

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾

قوله عز وجل ﴿بَرَآءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في ترك افتتاح هذه السورة بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها والأنفال كالسورة الواحدة في المقصود لأن الأولى في ذكر العهود، والثانية في رفع العهود، وهذا قول أُبي بن(٣٨٩) كعب قال ابن عباس: وكانتا تدعيان القرينتين، ولذلك وضعتا في السبع الطول. وحكاه عن عثمان بن عفان.

---

(٣٨٧) ولها اسماء اخرى مثل المقشقة والمبعثرة والفاضحة والبحوث والمشردة والمخزية والحافرة والمنكلة والمدمدمة وسورة العذاب راجع زاد المسير (٣/ ٣٨٩) والزمخشري من الكشاف (٢/ ١٣٦، ١٣٧).

(٣٨٨) وحكاه القرطبي (٨/ ٦١).

(٣٨٩) وأولى الأقوال أنها نزلت هكذا بدون بسملة.

الثاني: أن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت برفع الأمان، وهذا قول ابن عباس، ونزلت سنة تسع فأنفذها رسول الله ﷺ(٣٩٠) مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأها في الموسم بعد توجه أبي بكر رضي الله عنه إلى الحج، وكان أبو بكر صاحب الموسم، وقال النبي ﷺ «لا يُبَلِّغُ عَنِّي إلاَّ رَجُلٌ مِنِّي(٣٩١)» حكى ذلك الحسن وقتادة ومجاهد.

وحكى الكلبي أن الذي أنفذه رسول الله ﷺ من سورة التوبة عشر آيات من أولها.

وحكى مقاتل أنها تسع آيات تقرأ في الموسم، فقرأها علي رضي الله عنه في يوم النحر على جمرة العقبة.

وفي قوله تعالى ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وجهان:

أحدهما: أنها انقطاع العصمة منهما.

والثاني: أنها انقضاء عهدهما.

ثم قال تعالى ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وهذا أمان.

وفي قوله ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجهان:

أحدهما: انصرفوا فيها إلى معايشكم.

والثاني: سافروا فيها حيث أردتم.

وفي السياحة وجهان:

أحدهما: أنها السير على مهل.

والثاني: أنها البعد على وجل.

واختلفوا فيمن جعل له أمان هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقاويل:

أحدها: أن الله تعالى جعلها أجلاً لمن كان رسول الله ﷺ قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب، فأما من لا أمان له فهو حرب، قاله ابن إسحاق.

---

(٣٩٠) وقد ورد حديث مرفوع في ذلك رواه أحمد (١/٣٩٩) والترمذي (٢/١٣٤) وحسنه وأبو داود (١/٢٩٠) والحاكم (٢/٣٣٠) وضعفه الشيخ أحمد شاكر في المسند وقال لا أصل له.

(٣٩١) وقد ظن بعضهم أن هذا تفضيل لعلي بن أبي طالب على أبي بكر وليس هذا بشيء وقد أجاد ابن الجوزي رحمه الله في الرد على من ظن ذلك راجع زاد المسير (٣/٣٩١، ٣٩٢).

والثاني: أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها، ومن كان عهده أقل منها رفع إليها، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلى سلخ المحرم لقوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ قاله ابن عباس والضحاك وقتادة.

والثالث: أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة، المعاهد منهم وغير المعاهد، قاله الزهري ومحمد بن كعب ومجاهد.

والرابع: أن الأربعة الأشهر عهد وأمان لمن لم يكن له من رسول الله ﷺ عهد ولا أمان. فأما أصحاب العهود فهم على عهودهم إلى انقضاء مددهم، قاله الكلبي.

واختلفوا في أول مَدَى الأربعة الأشهر على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر، قاله محمد بن كعب ومجاهد والسدي.

والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، قاله الزهري.

والثالث: أن أولها يوم العشرين من ذي القعدة، وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة وفيها حجة الوداع، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من النسيء، فأقره النبي ﷺ فيه حتى نزل تحريم النسيء وقال[٣٩٢]: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ».

﴿وَٱعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي لا تعجزونه هرباً ولا تفوتونه طلباً.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالسيف لمن حارب والجزية لمن استأمن.

والثاني: في الآخرة بالنار.

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ

---

(٣٩٢) رواه البخاري (٣/٤٥٩)(٨/٢٤٤) (٦/١٠) ومسلم (١٦٧٩) واحمد (٥/٣٧) وأبو داود (١٩٤٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

﴿مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾

قوله عز وجل ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ في الأذان ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه القصص، وهذا قول تفرد به سليمان بن موسى النشابي(٣٩٣).

والثاني: أنه النداء بالأمر الذي يسمع بالأذن، حكاه علي بن عيسى.

الثالث: أنه الإعلام، وهذا قول الكافة.

وفي ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه يوم عرفة، قاله عمر بن الخطاب وابن المسيب وعطاء. وروى ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة(٣٩٤) أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة وقال: «هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ».

والثاني: أنه يوم النحر، قاله عبدالله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي.

وروي مرة عن رجل من أصحاب(٣٩٥) النبي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته الحمراء وقال «أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَـٰذَا؟ هَـٰذَا يَوْمُ النَّحْرِ وَهَـٰذَا يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ».

والثالث: أنها أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، قاله مجاهد وسفيان. قال سفيان: كما يقال يوم الجمل ويوم صفين، أي أيامه كلها.

واختلفوا في تسميته يوم الحج الأكبر على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه سمي بذلك لأنه كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين، ووافق أيضاً عيد اليهود والنصارى، قاله الحسن.

والثاني: أن الحج الأكبر القِران، والأصغر الإفراد، قاله مجاهد.

والثالث: أن الحج الأكبر هو الحج، والأصغر هو العمرة، قاله عطاء والشعبي.

---

(٣٩٣) كذا هنا وهو خطأ والصواب الشامي والتصويب من التهذيب والطبري وهو سليمان بن موسى الأموي الدمشقي الأشدق فقيه أهل الشام في زمانه مات سنة (١٥) وقيل غير ذلك تهذيب التهذيب (٤/١٩٧، ١٩٨).

(٣٩٤) وهذا الحديث من مرسلات محمد بن قيس بن مخرمة ورواه الطبري (١٤/١١٥) (١٤، ١١٦).

(٣٩٥) رواه الطبري (١٤/١٢٥).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾

قوله عز وجل ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ الآية. في الأشهر الحرم قولان:

أحدهما: أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ثلاثة سرد وواحد فرد، وهذا رأي الجمهور.

والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جعلها الله تعالى أن يسيحوا فيها آمنين وهي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع وعشر من شهر ربيع الآخر، قاله الحسن.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في حل أو حرم.

والثاني: في الأشهر الحرم وفي غيرها. والقتل وإن كان بلفظ الأمر فهو على وجه التخيير لوروده بعد حظر اعتباراً بالأصلح.

﴿وَخُذُوهُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على التقديم والتأخير، وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم.

والثاني: أنه على سياقه من غير تقديم ولا تأخير، وتقديره: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم.

﴿وَٱحْصُرُوهُم﴾ على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين.

وفي قوله ﴿وَٱحْصُرُوهُم﴾ وجهان:

أحدهما: أنه استرقاقهم.

والثاني: أنه الفداء بمال أو شراء.

﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يطلبوا في كل مكان فيكون القتل إذا وجدوا ، والطلب إذا بعدوا .

والثاني : أن يفعل بهم كل ما أرصده الله تعالى لهم فيما حكم به تعالى عليهم من قتل أو استرقاق أو مفاداة أو منٍّ ليعتبر فيها فعل الأصلح منها .

ثم قال تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ أي أسلموا ، لأن التوبة من الكفر تكون بالإسلام .

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي اعترفوا بإقامتها ، وهو مقتضى قول أبي حنيفة ، لأنه لا يقتل تارك الصلاة إذا اعترف بها .

الثاني : أنه أراد فعل الصلاة ، وهو مقتضى قول مالك والشافعي ، لأنهما يقتلان تارك الصلاة وإن اعترف بها .

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ﴾ يعني اعترفوا بها على الوجهين معاً ، لأن تارك الزكاة لا يقتل مع الاعتراف بها وتؤخذ من ماله(٣٩٦) جبراً ، وهذا إجماع .

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ . . .﴾ الآية : وفي كلام الله وجهان أي إن استأمنك فأمِّنه .

أحدهما :أنه عني سورة براءة خاصة ليعلم ما فيها من حكم المقيم على العهد وحكم الناقض له والسيرة في المشركين والفرق بينهم وبين المنافقين .

الثاني : يعني القرآن كله ، ليهتدي به من ضلاله ويرجع به عن كفره .

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ يعني إن أقام على الشرك وانقضت مدة الأمان .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : الرشد من الغيّ .

والثاني : استباحة رقابهم عند انقضاء مدة أمانهم .

---

(٣٩٦) لقوله في الحديث «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» رواه البخاري وغيره .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾

قوله عز وجل ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِيْنَ عَهْدٌ عِنْدَ آللَّهِ...﴾ الآية. يحتمل وجهين:

أحدهما: إذا لم يعطوا أماناً.

الثاني: إذا غدروا وقاتلوا.

وفي قوله ﴿إِلَّا آلَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ آلْمَسْجِدِ آلْحَرَامِ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم قوم من بني بكر بن كنانة، قاله ابن إسحاق.

والثاني: أنهم قريش، وهو قول ابن عباس.

والثالث: خزاعة، قاله مجاهد.

والرابع: بنو ضمرة، قاله الكلبي.

﴿فَمَا آسْتَقَامُواْ لَكُم فَآسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾ يعني فما أقاموا على الوفاء بالعهد فأقيموا عليه، فدل على أنهم إذا نقضوا العهد سقط أمانهم وحلّت دماؤهم.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾

قوله عز وجل ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يقووا حتى يقدروا على الظفر بكم. وفي الكلام محذوف وتقديره: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم.

﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يخافوا، قاله السدي(٣٩٧).

الثاني: لا يراعوا(٣٩٨).

(٣٩٧) وقول السدي في الطبري (١٤/١٤٧) قوله «لا يرقبوا فيكم عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً».

(٣٩٨) وهو قول قطرب كما في زاد المسير (٣/٤٠١). وزاد ابن الجوزي قولاً ثالثاً وهو لا يحفظوا ولم ينسبه لأحد».

﴿إلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ وفي الإلّ سبعة تأويلات.

أحدها: أنه العهد، وهو قول ابن زيد.

والثاني: أنه اسم الله تعالى، قاله مجاهد. ويكون معناه لا يرقبون الله فيكم.

والثالث: أنه الحلف، وهو قول قتادة.

والرابع: أن الإل اليمين، والذمة العهد، قاله أبو عبيدة، ومنه قول ابن مقبل(٣٩٩):

أفسد الناس خلوف خلفوا ... قطعوا الإلَّ وأعراق الرَّحِم

والخامس: أنه الجوار، قاله الحسن.

والسادس: أنه القرابة، قاله ابن عباس والسدي، ومنه قول حسان(٤٠٠):

وأُقسم إن إلَّك من قريش ... كإل السَّقْبِ من رَأل النعام

والسابع: أن الإل العهد والعقد والميثاق واليمين، وأن الذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له، قاله بعض البصريين.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: الجوار، قاله ابن بحر.

الثاني: أنه التذمم ممن لا عهد له، قاله بعض البصريين.

والثالث: أنه العهد وهو قول أبي عبيدة.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر.

والثاني: يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية.

والثالث: يرضونكم بأفواههم في الوعد بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك، لأن النبي ﷺ لا يرضيه من المشركين إلا بالإيمان.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في نقض العهد وإن كان جميعهم بالشرك فاسقاً.

---

(٣٩٩) الطبري (١٤/١٤٨).

(٤٠٠) ديوانه (٤٠٧) واللسان (ألل) والطبري (١٤/١٤٩) زاد المسير (٣/٤٠٢) والبيت في هذه المصادر لعمرك إن إلك بدلاً من وأقسم.

والثاني: وأكثرهم فاسق في دينه وإن كان كل دينهم فسقاً.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله عز وجل ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ في آيات الله تعالى ها هنا وجهان:

أحدهما: حججه ودلائله.

والثاني: آيات الله التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ.

والثمن القليل: ما جعلوه من ذلك بدلاً. وفي صفته بالقليل وجهان:

أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل.

والثاني: لأنها من عروض الدنيا التي بقاؤها قليل.

وفيمن أريد بهذه الآية قولان:

أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، وهذا قول مجاهد ومن زعم أن الآيات حجج الله تعالى.

والثاني: أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: عن دين الله تعالى في المنع منه.

والثاني: عن طاعة الله في الوفاء بالعهد.

والثالث: عن قصد بيت الله حين أحصر بالحديبيّة.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَانَهُمْ مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي نقضوا عهدهم الذي عقدوه بأيمانهم.

﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إظهار الذم له.

والثاني: إظهار الفساد فيه.

﴿فَقَاتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم رؤساء المشركين.

والثاني: أنهم زعماء قريش، قاله ابن عباس.

والثالث: أنهم الذين كانوا قد هموا بإخراج رسول الله ﷺ، قاله قتادة.

﴿إِنَّهُم لَآ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ قراءة الجمهور بفتح الألف، من اليمين لنقضهم إياها. وقرأ ابن عامر(٤٠١): ﴿إِنَّهُم لَآ إِيمَانَ لَهُمْ﴾ بكسر الألف(٤٠٢)، وهي قراءة الحسن. وفيها إذا كسرت وجهان:

أحدهما: أنهم كفرة لا إيمان لهم.

والثاني: أنهم لا يعطون أماناً.

أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ

---

(٤٠١) المبسوط في القراءات ص ٢٢٥.

(٤٠٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله (١٤/١٥٧) «والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الألف دون كسرها لإجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم والأيمان التي هي بمعنى العهد لا تكون إلا بفتح الألف لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله عز وجل: ﴿... وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الخيانة، قاله قتادة.

والثاني: أنهم البطانة، قاله قطرب ومقاتل، ومنه قول الشاعر:

وجعلت قومك دون ذاك وليجة ... ساقوا إليك الخير غير مشوب

والثالث: أنه الدخول في ولاية المشركين، من قولهم ولج فلان في كذا إذا دخل فيه قال طرفة بن العبد(٤٠٣).

رأيت القوافي يتلجن موالجاً ... تضايق عنها أن تولجها الإبر

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ
إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ﴾ يعني المسجد الحرام. وفيه وجهان:

أحدهما: ما كان لهم أن يعمروها بالكفر لأن مساجد الله تعالى تعمر بالإيمان.

والثاني: ما كان لهم أن يعمروه بالزيارة له والدخول إليه.

﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن فيما يقولونه أو يفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم،

(٤٠٣) ديوانه: ٤.

فكأن ذلك منهم هو شهادتهم على أنفسهم، قاله الحسن.

والثاني: يعني شاهدين على رسول الله ﷺ بالكفر لأنهم كذبوه وأكفروه وهو من أنفسهم، قاله الكلبي.

والثالث: أن النصراني إذا سئل ما أنت؟ قال: نصراني، واليهودي إذا سئل قال: يهودي، وعابد الوثن يقول: مشرك، وكان هؤلاء كفار وإن لم يقروا بالكفر، قاله السدي.

ثم قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ في هذه المساجد قولان:

أحدهما: أنها مواضع السجود من المصلي، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: بالمحافظة على إقامة الصلاة.

والثاني: بترك الرياء.

والثالث: بالخشوع والإعراض عما ينهى.

والقول الثاني: أنها بيوت الله تعالى المتخذة لإقامة الصلوات، فعلى هذا عمارتها تحتمل ثلاثة أوجه.

أحدها: إنما يعمرها بالإيمان من آمن بالله تعالى.

والثاني: إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالى.

والثالث: إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالى(٤٠٤).

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيه وجهان:

---

(٤٠٤) ولا مانع من دخول هذه الصور كلها في عمارة المساجد قال العلامة الآلوسي (٦٥/١٠).. والمراد بعمارتها ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش لا على وجه يشغل قلب المصلي من الصور ولعل ما هو من جنس ما يخرج من الأرض كالقطن والحصر السامانية أولى من نحو الصوف إذ قيل بكراهة الصلاة عليه وتنويرها بالسرج ولو لم يكن هناك من يستضيء بها على ما نص عليه جمع وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له في نظر الشارع كحديث الدنيا ومن ذلك الغناء على مآذنها كما هو معتاد الناس اليوم لا سيما بالأبيات التي فيها هجر القول.... الخ.

أحدهما: أنه قال ذلك لهم تحذيراً من فعل ما يخالف هدايتهم.

والثاني: أن كل ﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة وإن كانت من غيره ترجياً، قاله ابن عباس والسدي.

۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ
فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني بعمارته السدانة والقيام به.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾ لأن قريشاً فضلت ذلك على الإيمان بالله، فرد الله تعالى ذلك عليهم وأعلمهم أنهما لا يستويان، وأن ذلك مع الكفر محبط.

وحكى مقاتل أن هذه الآية نزلت في العباس بن عبد المطلب، وهو صاحب السقاية، وفي شيبة بن عثمان وهو صاحب السدانة وحاجب الكعبة أُسرا يوم بدر فعيرا بالمقام على الكفر بمكة وأغلظ لهما المهاجرون، فقالا نحن أفضل منكم أجراً نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فنزل هذا فيهم.

يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾
قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ
اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عز وجل ﴿قُلْ إن كَانَ ءَآبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ آقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ يعني اكتسبتموها.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها أموال التجارات إذا نقص سعرها وكسد سوقها.

والثاني: أنهن البنات الأيامى إذا كسدن عند آبائهن ولم يخطبن.

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ وهذا نزل في قوم أسلموا بمكة فأقاموا بها ولم يهاجروا إشفاقاً على فراق ما ذكره الله تعالى ميلاً إليه وحبّاً له فذمهم الله تعالى على ذلك وقال.

﴿... فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ آللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد.

والثاني: حتى يأتي الله بأمره من عقوبة عاجلة أو آجلة، قاله الحسن.

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَنزَلَ آللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ...﴾ الآية. وفي السكينة ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الرحمة، قاله علي بن عيسى.

والثاني: أنها الأمن والطمأنينة.

والثالث: أنها الوقار، قاله الحسن.

﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الملائكة.

والثاني: أنه تكثيرهم في أعين أعدائهم، وهو محتمل.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالخوف والحذر.

والثاني: بالقتل والسبي.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل ﴿قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾ فإن قيل: فأهل الكتاب قد آمنوا بالله واليوم الآخر فكيف قال ذلك فيهم، ؟

ففيه جوابان:

أحدهما: أن إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بجميع حقوقه، فكانوا بترك الإقرار بحقوقه كمن لا يقرّ به.

والثاني: أنه ذمّهم ذم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر للكفر بنعمته، وهم في الذم بالكفر كغيرهم.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه ما أمر الله سبحانه وتعالى بنسخه من شرائعهم.

والثاني: ما أحله لهم وحرمه عليهم.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ والحق هنا هو الله تعالى. وفي المراد بدينه في هذا الموضع وجهان:

أحدهما: العمل بما في التوراة من اتباع الرسول، قاله الكلبي.

والثاني: الدخول في دين الإسلام لأنه ناسخ لما سواه من الأديان، وهو قول الجمهور.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني من آباء الذين أوتوا الكتاب.

الثاني: من الذين أوتوا الكتاب بين أظهرهم لأنهم في اتباعه كآبائهم.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: حتى يضمنوا الجزية وهو قول الشافعي لأنه يرى أن الجزية تجب بالقضاء[٤٠٥] الحول وتؤخذ معه.

والثاني: حتى يدفعوا الجزية.

وفي الجزية وجهان:

أحدهما: أنها من الأسماء المجملة لا يوقف على علمها إلا بالبيان.

والثاني: أنها من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خص بالدليل.

ثم قال تعالى ﴿عَن يَدٍ﴾ وفيه أربعة تأويلات:

أحدها: عن غنى وقدرة.

والثاني: أنها من عطاء لا يقابله جزاء، قاله أبو عبيدة.

والثالث: أن يروا أن لنا في أخذها منهم يداً عليهم بحقن دمائهم بها.

والرابع: يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم كما يفعله المتكبرون.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن يكونوا قياماً والآخذ لها جالساً، قاله عكرمة.

والثاني: أن يمشوا بها وهم كارهون، قاله ابن عباس[٤٠٦].

والثالث: أن يكونوا أذلاء مقهورين، قاله الطبري[٤٠٧].

---

(٤٠٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب بانقضاء الحول والتصويب من زاد المسير (٣/٤٢٢). والمعاني (١٠/٨٠) والكشاف (٢/١٤٨).

(٤٠٦) لكن قال الطبري رحمه الله (١٤/٢٠١). وقد روي عن ابن عباس من وجه فيه نظر.

(٤٠٧) جامع البيان (١٤/٢٠٠).

والرابع: أن دفعها هو الصَّغار بعينه.

والخامس: أن الصغار أن تجري عليهم أحكام الإسلام، قاله الشافعي.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾

قوله عز وجل ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ الآية. أما قول اليهود ذلك فسببه أن بختنصر لما أخرب بيت المقدس أحرق التوراة حتى لم يبق بأيديهم شيء منها، ولم يكونوا يحفظونها بقلوبهم. فحزنوا لفقدها وسألوا الله تعالى ردها عليهم، فقذفها الله في قلب عزير، فحفظها وقرأها عليهم فعرفوها فلأجل ذلك قالوا إنه ابن الله.

واختلف فيمن قال ذلك على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن ذلك كان قول جميعهم، وهو مروي عن ابن عباس.

والثاني: أنه قول طائفة من سلفهم.

والثالث: أنه قول جماعة ممن كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

واختلف فيهم على قولين:

أحدهما: أنه فنحاص وحده، ذكر ذلك عبيد[٤٠٨] بن عمير وابن جريج.

والثاني: أنهم جماعة وهم سلام بن مشكم ونعمان[٤٠٩] بن أبي أوفى وشاس[٤١٠] بن قيس ومالك بن الصيف، وهذا مروي عن ابن عباس[٤١١].

---

(٤٠٨) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب عبدالله بن عبيد بن عمير كما في الطبري (٢٠١/١٤).

(٤٠٩) كذا هنا وفي المطبوعة وفي الطبري(٢٠٢/١٤)ولكن في سيرة ابن هشام (٢١٩/٢) نعمان بن أوفى أبو أنس ومحمود بن دحية.

(٤١٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب كما في الطبري (٤٠٢/١٤) وسيرة ابن هشام (٢١٩/٢) وشأس بالهمزة.

(٤١١) كما في الطبري (٢٠٢/١٤).

فإن قيل: فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم؟

قيل: لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره[٤١٢]، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وهذا قول جميعهم. واختلف في سبب قولهم لذلك على قولين:

أحدهما: أنه لما خلق من غير ذكر من البشر قالوا إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك.

الثاني: أنهم قالوا ذلك لأجل من أحياه من الموتى وأبرأه من المرضى.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ معنى ذلك: وإن كانت الأقوال كلها من الأفواه: أنه لا يقترن به دليل ولا يعضده برهان، فصار قولاً لا يتجاوز الفم فلذلك خص به.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ من قبل﴾ أي يشابهون، مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء إذا لم تحض تشبيهاً بالرجال[٤١٣]. ومنه ما جاء في الحديث: «أَجْرَأُ النَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَى ٱلَّذِينَ يُضَاهِئُونَ خَلْقَهُ[٤١٤]» أي يشبهون به.

وفيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن قولهم ذلك يضاهي قول عبدة الأوثان في اللات والعزى ومناة وأن الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني: أن قول النصارى المسيح ابن الله يضاهي قول اليهود عزير ابن الله، قاله الطبري[٤١٥].

والثالث: أنهم في تقليد أسلافهم يضاهون قول من تقدمهم، قاله الزجاج.

﴿قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه لعنهم الله، قاله ابن عباس ومنه قول عبيد بن الأبرص[٤١٦]:

---

(٤١٢) لأنهم سكتوا ورضوا واتبعوهم على هذا الباطل فكانوا شركاء معهم في الإثم والوزر سواء بسواء.

(٤١٣) وقيل هي التي لا ينبت لها ثدي كما قال الزجاج راجع زاد المسير (٣/٤٢٥).

(٤١٤) رواه بنحوه البخاري (١٠/٣١٥ ـ ٣٢٧) وأحمد (٦/٣٦، ٨٢، ٣١٩) والنسائي (٨/٢١٣) ولفظه أشد الناس عذاباً ومالك في الموطأ (٢/٩٩٦، ٩٦٧).

(٤١٥) جامع البيان (١٤/٢٠٥).

(٤١٦) وفي فتح القدير للشوكاني (٢/٣٥٣) نسبه لأبان بن تغلب.

قاتلها الله تلحاني وقد علمت أني لنفسي إفسادي وإصلاحي

والثاني: معناه قتلهم الله، قاله بعض أهل العربية.

والثالث: أن الله تعالى فيما أعده لعذابهم وبينه من عداوتهم التي هي في مقابلة عصيانهم وكفرهم كأنه مقاتل لهم.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ معناه كيف يُصرفون عن الحق إلى الإفك وهو الكذب.

قوله عز وجل ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أما الأحبار منهم العلماء، واحدهم حَبْر سمي بذلك لأنه يحبر المعاني أي يحسنها بالبيان عنها.

وأما الرهبان فجمع راهب، مأخوذ من رهبة الله تعالى وخشيته، غير أنه صار بكثرة الاستعمال يتناول نُسّاك النصارى.

وقوله ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني آلهة لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه[٤١٧] عليهم وتحليل ما يحلونه لهم، فلذلك صاروا لهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب، وقد روي مثل ذلك عن النبي ﷺ[٤١٨].

---

(٤١٧) وقال الإمام الشوكاني في فتح القدير (٢/٣٥٣): وفي هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله وتأثير ما يقوله الأسلاف على ما في الكتاب والسنة المطهرة فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدي بقوله من علماء هذه الأمة مع مخالفته لما جاءت به النصوص وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت به كتبه وانبياؤه هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبار والرهبان أرباباً من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل أطاعوهم وحرموا ما حرموا وحللوا ما حللوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة وهذا أشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء. فيا عباد الله ويا أتباع محمد بن عبدالله ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانباً وعمدتم إلى رجال هم مثلكم في تعبد الله لهم بهما وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وافاده ما فعلتم...... إلى قوله ونصوص الكتاب والسنة تنادي بأبلغ نداء وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه فاعرتموهما آذاناً صماً وقلوباً غلفا وأفهاماً مريضة وعقولاً مهيضة وأذهاناً كليلة وخواطر عليلة..... الخ قلت وهذا كلام رصين حقاً فرحم الله الشوكاني.

(٤١٨) كما في حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءه «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه».

رواه الترمذي واللفظ له (٣٠٩٥) وابن جرير (١٠/٨٠، ٨١) والبيهقي في السنن (١٠/١١٦) والمزي في تهذيب الكمال (٢/١٠٩٠) وحسنه الألباني في غاية المرام (٦) وخرجه السيوطي في الدر (١٤) ونسبه لغير من سبق فراجعه.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وفي نوره قولان:

أحدهما: أنه القرآن والإسلام، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أنه آياته ودلائله لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار.

وإنما خص ذلك بأفواههم لما ذكرنا أنه ليس يقترن بقولهم دليل.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ وليس يريد تمامه من نقصان لأن نوره لم يزل تاماً. ويحتمل المراد به وجهين.

أحدهما: إظهار دلائله.

والثاني: معونة أنصاره.

قوله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ يعني محمداً ﷺ أرسله الله إلى خلقه بالهدى ودين الحق.

وفيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن الهدى البيان، ودين الحق الإسلام، قاله الضحاك.

والثاني: أن الهدى الدليل، ودين الحق المدلول عليه.

والثالث: معناه بالهدى إلى دين الحق.

والرابع: أن معناهما واحد وإنما جمع بينهما تأكيداً لتغاير اللفظين.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: يعني عند نزول عيسى(٤١٩) عليه السلام فإنه لا يعبد الله تعالى إلاّ بالإسلام، قاله أبو هريرة.

---

(٤١٩) وذلك قبل قيام الساعة ليكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتكون الملة في عهده واحدة وهي الإسلام ولا يقبل من النصارى إلا الإسلام وإلا فالسيف على رقابهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة..

والثاني: معناه أن يعلمه شرائع الدين كله ويطلعه عليه، قاله ابن عباس.

والثالث: ليظهر دلائله وحججه، وقد فعل الله تعالى ذلك، وهذا قول كثير من العلماء.

والرابع: ليظهره برغم المشركين من أهله.

والخامس: أنه وارد على سبب، وهو أنه كان لقريش رحلتان رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن والعراق فلما أسلموا انقطعت عنهم الرحلتان للمباينة في الدين فذكروا ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾ يعني في بلاد الرحلتين وقد أظهره الله تعالى فيهما.

والسادس: أن الظهور الاستعلاء، ودين الإسلام أعلى الأديان(٤٢٠) كلها وأكثرها أهلاً، قد نصره الله بالبر والفاجر والمسلم والكافر. فروى الربيع بن أنس عن الحسن(٤٢١) أن النبي ﷺ قال «إِنَّ ٱللَّهَ يُؤَيِّدُ دِينَهُ بِأَقْوَامٍ مَا لَهُم فِي الأَخِرةِ مِن خَلَاقٍ».

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ

(٤٢٠) وروي الإمام أحمد (٣/ ١٠٤) عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يعز عزيز أو يذل ذليل عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل به الكفر وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١ وروى مسلم (٤/ ٢٢٣٠) من عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون». أن ذلك تاماً قال «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة...» الحديث ففي هذه الأحاديث بشارة طيبة لانتشار الإسلام على ربوع هذه البسيطة وهذا يستلزم من المؤمنين أن يعودوا إلى كتاب ربهم ويعتصموا بهدي نبيهم ﷺ.

(٤٢١) وهو حديث مرسل هنا من مرسلات الحسن.

وقد ورد في البخاري (٦/ ١٢٥) ومسلم (رقم ١١١) من حديث أبي هريرة بلفظ «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

قال العلامة الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/ ٣٥٦): «وقد اقتدى بهؤلاء الأحبار والرهبان من علماء الإسلام لا يأتي عليه الحصر في كل زمان فالله المستعان أ. هـ قلت رحم الله الشوكاني فكيف لو رأى حال علماء زماننا الآن رحمه الله وما يصنعون ويصدرون من فتاوى توافق هوى السلطان حيناً من أجل دريهمات معدودة ومنصب زائل نسأل الله السلامة والعافية.

ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُون أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ﴾ الآية: فيه قولان.

أحدهما: أنه أخذ الرشا في الحكم، قاله الحسن.

والثاني: أنه على العموم من أخذه بكل وجه[٤٢٢] محرم.

وإنما عبر عن الأخذ بالأكل لأن ما يأخذونه من هذه الأموال هي أثمان ما يأكلون، وقد يطلق على أثمان المأكول اسم الأكل، كما قال الشاعر[٤٢٣]:

ذر الآكلين الماء فما أرى ... ينالون خيراً بعد أكلهم الماء

أي ثمن الماء.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه منعهم من الحق في الحكم بقبول الرشا.

والثاني: أنه منعهم أهل دينهم من الدخول في الإسلام بإدخال الشبهة عليهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي هذا الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الكنز كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤدَّ زكاته، سواء كان مدفوناً أو غير مدفون، قاله ابن عمر[٤٢٤] والسدي والشافعي والطبري[٤٢٥].

والثاني: أن الكنز ما زاد على أربعة آلاف درهم، أديت منه الزكاة أم لم تؤد،

---

(٤٢٢) اللسان «أكل» ولم ينسبه لأحد وشطره الأول فيه.

«من الآكلين الماء ظلماً فما أرى........

(٤٢٣) وهو القول الراجح والصواب ورجحه الشوكاني (٢/٣٥٦).

(٤٢٤) رواه الطبري (١٤/٢١٧) وإسناده صحيح ورواه مالك في الموطأ بمعناه (١/٢٥٦).

(٤٢٥) جامع البيان (١٤/٢٢٣).

قاله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز.

والثالث: أن الكنز ما فضل من المال عن الحاجة إليه. روى عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال: لما نزل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ...﴾ الآية. قال النبي ﷺ: «تبّاً لِلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ» قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: فأي المال نتخذ؟ فقال عمر بن الخطاب: أنا أعلم لكم ذلك، فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا: فأي المال نتخذ؟ فقال «لِسَاناً ذَاكِراً وَقَلْباً شَاكِراً وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُم عَلَى دِينِهِ(٤٢٦)».

وروى قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة(٤٢٧) صدي بن عجلان قال: مات رجل من أهل الصفّة فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ: «كَيَّةٌ» ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي ﷺ: «كَيَّتَانِ»

والكنز في اللغة هو كل شيء مجموع بعضه إلى بعض سواء كان ظاهراً على الأرض أو مدفوناً فيها، ومنه كنز البرّ، قال الشاعر(٤٢٨):

لا دَرَّ دري إن أطعمت نازلهم ... قِرف الحتى وعندي البُرّ مكنوز

الحتى: سَويق المقل. يعني وعندي البُرّ مجموع(٤٢٩).

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ فذكر جنسين ثم قال ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ والهاء كناية ترجع إلى جنس واحد، ولم يقل: وَلَا يُنفِقُونَهَما لترجع الكناية إليهما.

---

(٤٢٦) قال الزمخشري في الكشاف (٢/١٥٠) «وما روي عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الأفضل».

(٤٢٧) رواه الطبراني (رقم ١٦٦١)، (١٦٦٦٣) وأحمد (٥/٢٧٨) مرسلاً ثم رواه الطبراني (١٦٦٦٢) وأحمد (٥/٢٨٢) موصولاً من حديث ثوبان والترمذي في كتاب التفسير بنحوه (٥٠٩٢) وقال: حديث حسن.

وفي سند الحديث انقطاع بين سالم بن أبي الجعد وثوبان فإن الأول لم يسمع من الثاني كما حكاه الترمذي عن البخاري. وأما تحسين الترمذي للحديث فلعله لشواهده والله أعلم.

(٤٢٨) رواه الطبري رقم ١٦٦٦٤، ١٦٦٦ وأحمد (٥/٢٥٢، ٢٥٣) وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق.

(٤٢٩) البيت للمتنحل الهذلي في اللسان «كنز».

فعن ذلك جوابان:

أحدهما: أن الكناية راجعة إلى الكنوز، وتقديره: ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله.

والثاني: أنه قال ذلك اكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام على اشتراكهما فيه، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً﴾ [الجمعة: ١١] ولم يقل إليهما، وكقول الشاعر(٤٣٠):

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعاص كان جنوناً

ولم يقل يعاصيا.

ثم إن الله تعالى غلَّظ حال الوعيد بما ذكره بعد هذا من قوله:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ وإنما غلظه بهذا الوعيد لما في طباع النفوس من الشح بالأموال ليسهل لهم تغليظ الوعيد إخراجها في الحقوق.

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً﴾ يعني شهور السنة، وإنما كانت اثني عشر شهراً لموافقة الأهلة ولنزول الشمس والقمر في اثني عشر برجاً يجريان فيها على حساب متفق كما قال الله تعالى ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

﴿... مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يعني أن من الاثني عشر شهراً أربعة حرم، يعني

(٤٣٠) هو حسان بن ثابت والبيت في ديوانه: ٤١٣، مجاز القرآن (٢٥٨/١)، الكامل (٧٩/٢)، والجمهرة (٢٠٧/٢)، اللسان (شرخ).

بالحرم تعظيم انتهاك المحارم فيها،وهو ما رواه صدقة بن يسار عن ابن عمر قال(٤٣١): خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى في وسط أيام التشريق فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ فَهُوَ اليَوْمُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ السَّمٰوٰاتِ وَٱلأَرْضَ وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، أَوَّلُهُنَّ رَجَبُ مُضَرَ بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ وَذُو ٱلْقِعْدَةِ وَذُو ٱلْحِجَّةِ وَٱلْمُحَرَّمُ».

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوفي، قاله ابن قتيبة.

والثاني: يعني القضاء الحق المستقيم، قاله الكلبي.

﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فلا تظلموها بمعاصي الله تعالى في الشهور الاثني عشر كلها، قاله ابن عباس.

والثاني: فلا تظلموها بمعاصي الله في الأربعة الأشهر، قاله قتادة.

والثالث: فلا تظلموا أنفسكم في الأربعة الأشهر الحرم بإحلالها بعد تحريم الله تعالى لها، قاله الحسن وابن إسحاق.

والرابع: فلا تظلموا فيها أنفسكم أي تتركوا فيها قتال عدوكم، قاله ابن بحر.

فإن قيل: فلم جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض؟

قيل: ليكون كفهم فيها عن المعاصي ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها توطئة للنفس على فراقها مصلحة منه في عباده ولطفاً بهم.

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

(٤٣١) رواه الطبري (١٤/ ٣٣٤).

وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي وهو منكر الحديث ضعيف جداً لكن الحديث ورد من رواية أبي بكرة وهي في البخاري ومسلم.

قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ...﴾ أما النسيء في الأشهر فهو تأخيرها، مأخوذ من بيع النسيئة، ومنه قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْنُنسِهَا﴾ أي نؤخرها.

وفي نَسْء الأشهر قولان.

أحدهما: أنهم كانوا يؤخرون السنة أحد عشر يوماً حتى يجعلوا المحرم صفراً، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا يؤخرون الحج في كل سنتين شهراً.

قال مجاهد(٤٣٢): فحج المسلمون في ذي الحجة عامين، ثم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، ثم في ذي القعدة عامين الثاني منهما حجة أبي بكر قبل حجة النبي ﷺ ثم حج النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ ٱسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ» وكان المنادى بالنسيء في الموسم: من بني كنانة على ما حكاه أبو عبيدة، وقال شاعرهم عمير بن قيس(٤٣٣):

ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ شهور الحل نجعلُها حَراماً

واختلف في أول من نسأ الشهور منهم، فقال الزبير بن بكار: أول من نسأ الشهور نعيم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة.

وقال أيوب بن عمر الغفاري: أول من نسأ الشهور القَلَمّس (٤٣٤) الأكبر وهو عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، وآخر من نسأ الشهور أبو ثمامة جنادة بن عوف إلى أن نزل هذا التحريم سنة عشر وكان ينادي إني أنسأ الشهور في كل عام، ألا أن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، فحرم الله سبحانه بهذه الآية النسيء وجعله زيادة في الكفر.

---

(٤٣٢) وهذا مرسل من مرسلات مجاهد رواه الطبري (برقم ١٦٧١٤).
وقد مر تخريجه من رواية أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤٣٣) اللسان «نسأ».

(٤٣٤) قال الشوكاني في فتح القدير (٢/٣٥٩): وقد وقع الخلاف في أول من فعل ذلك فقيل هو رجل من بني كنانة يقال له حذيفة بن عتيد ويلقب القلمس.... وقيل هو عمرو بن لحي وقيل هو نعيم بن ثعلبة من بني كنانة.

ثم قال تعالى ﴿. . . لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا فحرموا أربعة أشهر كما حرم الله تعالى أربعة أشهر.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى زينها بالشهرة لها والعلامة المميزة بها لتجتنب.

الثاني: أن أنفسهم والشيطان زين لهم ذلك بالتحسين والترغيب ليواقعوها، وهو معنى قول الحسن.

وفي ﴿سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ ها هنا وجهان:

أحدهما: أنه ما قدمه من إحلالهم ما حرم الله تعالى وتحريمهم ما أحله الله.

الثاني: أنه الرياء، قاله جعفر بن محمد.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال الحسن ومجاهد: دُعوا إلى غزوة تبوك فتثاقلوا فنزل ذلك فيهم.

وفي قوله ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم.

والثاني: إلى الأرض حين أخرجت الثمر والزرع. قال مجاهد: دعوا إلى ذلك أيام إدراك النخل ومحبة القعود في الظل.

الثالث: اطمأننتم إلى الدنيا، فسماها أرضاً لأنها فيها، وهذا قول الضحاك.

وقد بينه بقوله تعالى ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ يعني بمنافع الدنيا بدلاً من ثواب الآخرة.

والفرق بين الرضا والإرادة أن الرضا لما مضى، والإرادة لما يأتي.

﴿فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ لانقطاع هذا ودوام ذاك.

قوله عز وجل ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ يعني في الجهاد.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ قال ابن عباس: احتباس القطر عنهم هو العذاب الأليم الذي أوعدتم ويحتمل أن يريد بالعذاب الأليم أن يظفر بهم أعداؤهم(٤٣٥).

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ يعني ممن ينفر إذا دُعي ويجيب إذا أُمر.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن.

والثاني: ولا تضرّوا الرسول، لما تكفل الله تعالى به من نصرته، قاله الزجاج.

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني إلا تنصروا أيها الناس النبي ﷺ بالنفير معه وذلك حين استنفرهم إلى تبوك فتقاعدوا فقد نصره الله.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني من مكة ولم يكن معه من يحامي عنه ويمنع منه إلا الله تعالى، ليعلمهم بذلك أن نصره نبيه ليس بهم فيضره انقطاعهم وقعودهم، وإنما هو من قبل الله تعالى فلم يضره قعودهم عنه.

وفي قوله ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ وجهان:

أحدهما: بإرشاده إلى الهجرة حتى أغناه عن معونتهم.

والثاني: بما تكفل به من إمداده بملائكته.

---

(٤٣٥) رواه الطبري رقم(١٦٧٢١، ١٦٧٤٢)ورواه أبو داودبنحوه (٢٥٠٦) والبيهقي (٤٨/٩) وزاد السيوطي في الدر (٤/) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه.

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي أحد اثنين، وللعرب في هذا مذهب أن تقول خامس خمسة أي أحد خمسة.

﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ يعني النبي ﷺ وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غاراً في جبل ثور ليخفيا على من خرج من قريش في طلبهم.

والغار عمق في الجبل يدخل إليه.

قال مجاهد: مكث رسول الله ﷺ في الغار مع أبي بكر ثلاثاً.

قال الحسن: جعل الله على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة، وقال غيره: ألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار.

وذهب بعض المتعمقة في غوامض المعاني إلى أن قوله تعالى ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ أي في غيرة على ما كانوا يرونه من ظهور الكفر فغار على دين ربه. وهو خلاف ما عليه الجمهور.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ يريد أن النبي ﷺ قال لصاحبه أبي بكر «لَا تَحْزَنْ» فاحتمل قوله ذلك له وجهين:

أحدهما: أن يكون تبشيراً لأبي بكر بالنصر من غير أن يظهر منه حزن.

والثاني: أن يكون قد ظهر منه حزن فقال له ذلك تخفيفاً وتسلية. وليس الحزن خوفاً وإنما هو تألم القلب بما تخيله من ضعف الدين بعد الرسول فقال له النبي ﷺ ﴿«لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا»﴾ أي ناصرنا على أعدائنا.

﴿. . . فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: على النبي ﷺ، قاله الزجاج.

والثاني: على أبي بكر لأن الله قد أعلم نبيه بالنصر.

وفي السكينة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها الطمأنينة(٤٣٦)، قاله الضحاك.

والثالث: الوقار، قاله قتادة.

---

(٤٣٦) وقال ابن قتيبة هو أصح زاد المسير (٣/ ٤٤٠).

والرابع: أنها شيء يسكن الله به قلوبهم، قاله الحسن وعطاء.
﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: بالملائكة(٤٣٧).
والثاني: بالثقة بوعده واليقين بنصره.
وفي تأييده وجهان:
أحدهما: إخفاء أثره في الغار حين طلب.
والثاني: المنع من التعرض له حين هاجر.
﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: بانقطاع الحجة.
والثاني: جعل كلمة الذين كفروا السفلى بذُلّ الخوف، وكلمة الله هي العليا بعز الظفر.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ بظهور الحجة.

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

قوله عز وجل ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ فيه عشرة تأويلات:
أحدها: يعني شباباً وشيوخاً، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد(٤٣٨).
والثاني: في اليسر والعسر فقراء وأغنياء، قاله أبو صالح.
والثالث: مشاغيل وغير مشاغيل، قاله الحكم.
والرابع: نشاطاً وغير نشاط، قاله ابن عباس وقتادة.
والخامس: ركباناً ومشاة، قاله أبو عمرو الأوزاعي.
والسادس: ذا صنعة وغير ذي صنعة(٤٣٩)، قاله ابن زيد.
والسابع: ذا عيال وغير ذي عيال، قاله زيد بن أسلم.
والثامن: أصحاء وغير أصحاء ومرضى، قاله جويبر.

(٤٣٧) ولا شك في أرجحية هذا القول لأن السياق يدل على ذلك في الآية.
(٤٣٨) لكن قول مجاهد في الطبري (١٤/٢٦٤) قال: شيباً وشيوخاً وأغنياء ومساكين.
(٤٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة وفيه تحريف والصواب ذا ضيعة وغير ذي ضيعة كما في الطبري (١٤/٢٢٦).

والتاسع: على خفة البعير وثقله، قاله علي بن عيسى والطبري(٤٤٠).

والعاشر: خفافاً إلى الطاعة وثقالاً عن المخالفة.

ويحتمل حادي عشر: خفافاً إلى المبارزة، وثقالاً في المصابرة.

﴿وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أما الجهاد بالنفس فمن فروض الكفايات إلا عند هجوم العدو فيصير متعيناً(٤٤١).

وأما بالمال فبزاده وراحلته إذا قدر على الجهاد بنفسه، فإن عجز عنه بنفسه فقد ذهب قوم إلى أن بذل المال يلزم بدلاً عن نفسه. وقال جمهورهم: لا يجب لأن المال في الجهاد تبع النفس إلا سهم سبيل الله من الزكاة.

﴿ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الجهاد خير لكم من تركه إلى ما أبيح من القعود عنه.

والثاني: معناه أن الخير في الجهاد لا في تركه.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إن كنتم تعلمون صدق الله تعالى فيما وعد به من ثوابه وجنته.

والثاني: إن كنتم تعلمون أن الخير في الجهاد.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: إن كنتم تعلمون أن الله تعالى يريد لكم الخير.

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾

---

(٤٤٠) وقول الطبري (١٤/٢٦٩) «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافاً وثقالاً وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادر على الظهر والركاب ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال. . . . . الخ.

(٤٤١) وكذا عند النفير العام من الإمام الأعظم وكذا عند التقاء الصفين أي جيش المسلمين وجيش الكافرين يصير الجهاد فرض عين.

قوله عز وجل ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ أي لو كان الذي دُعيتم إليه عرضاً قريباً.
وفيه وجهان:

أحدهما: يعني بالعرض ما يعرض من الأمور السهلة.

والثاني: يعني الغنيمة.

﴿وَسَفَراً قَاصِداً﴾ أي سهلاً مقتصداً.

﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ يعني في الخروج معك.

﴿وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ والشقة هي القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لو استطعنا فراق أوطاننا وترك ثمارنا.

والثاني: لو استطعنا مالاً نستمده ونفقةً نخرج بها لخرجنا معكم في السفر الذي دعوا إليه فتأخروا عنه وهو غزوة تبوك.

ثم جاءوا بعد ذلك يحلفون بما أخبر الله عنهم من أنهم لو استطاعوا لخرجوا تصديقاً لقوله تعالى وتصحيحاً لرسالة نبيه ﷺ.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يهلكون أنفسهم باليمين الكاذبة.

والثاني: يهلكون أنفسهم بالتأخر عن الإجابة.

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ
ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ
ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟

فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صدق العزم ونشاط النفس.

والثاني: الزاد والراحلة في السفر، ونفقة الأهل في الحضر.

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ وإنما كره انبعاثهم لوقوع الفشل بتخاذلهم كعبدالله بن أبي بن سلول، والجد بن قيس.

﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مع القاعدين بغير عذر، قاله الكلبي.

والثاني: مع القاعدين بعذر من النساء والصبيان، حكاه علي بن عيسى.

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: أنه النبي ﷺ، غضباً عليهم، لعلمه بذلك منهم.

والثاني: أنه قول بعضهم لبعض.

قوله عز وجل ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ يعني اضطراباً حكاه ابن عيسى.

والثاني: فساداً، قاله ابن عباس.

فإن قيل: فلم يكونوا في خبال فيزدادوا بهؤلاء الخارجين خبالاً.

قيل هذا من الاستثناء المنقطع، وتقديره: ما زادوكم قوة، ولكن أوقعوا بينكم خبالاً.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أما الإيضاع فهو إسراع السير، ومنه قول الراجز(٤٤٢):

يا ليتني فيها جذع أخُبّ فيها وأضَعْ

(٤٤٢) هو دريد بن الصمة والبيت في اللسان «وضع» وسيرة ابن هشام (٤/٨٢) ونسب البيت لورقة بن نوفل الشوكاني في فتح القدير (٢/٣٦٦).

وأما الخلال فهو من تخلل الصفوف وهي الفُرَج تكون فيها، ومنه قول النبي ﷺ: «تَرَاصُّوا فِي الصُّفُوفِ وَلاَ يَتَخَلَّلْكُم، كَأَوْلاَدِ الحذف يَعْنِي الشَّيَاطِينَ»

والخلال هو الفساد، وفيه ها هنا وجهان:

أحدهما: لأسرعوا في إفسادكم.

والثاني: لأوضعوا الخلف بينكم(٤٤٣).

وفي الفتنة التي يبغونها وجهان:

أحدهما: الكفر.

والثاني: اختلاف الكلمة وتفريق الجماعة.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ وفيهم ثلاثة أقاويل.

أحدها: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة وابن إسحاق.

والثاني: وفيكم عيون منكم ينقلون إلى المشركين أخباركم، قاله الحسن(٤٤٤).

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٤٨﴾

قوله عز وجل ﴿لَقَدْ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ يعني إيقاع الخلاف وتفريق الكلمة.

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ يحتمل أربعة أوجه:(٤٤٥)

أحدها: معاونتهم في الظاهر وممالأة المشركين في الباطن.

والثاني: قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

والثالث: توقع الدوائر وانتظار الفرص.

والرابع: حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم.

---

(٤٤٣) ذكره الطبري (١٤/٢٧٩) معلقاً ورواه أبو داود (٦٦٧) والنسائي (٢/٩٢) بنحوه. الحذف: هي الغنم السود الصغار.

(٤٤٤) أي أفشوا بينكم حب التخلف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ.

(٤٤٥) واختاره الطبري (١٤/٢٨٢) وقال لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم سماع وصف من وصف به أنه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه «سماعون للكذب» واصفاً بذلك قوماً بسماع الكذب من الحديث وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه فإنما تصفه بأنه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو سماع مطيع.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني النصر.
﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ يعني الدين.
﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ يعني النصر وظهور الدين.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ يعني في التأخر عن الجهاد.
﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة، قاله الحسن وقتادة وأبو عبيدة والزجاج.

والثاني: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

والثالث: أنها نزلت في الجد بن قيس قال: ائذن لي ولا تفتني ببنات بني الأصفر(٤٤٦) فإني مشتهر بالنساء، قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد.

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ فيها وجهان:

أحدهما: في عذاب جهنم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾.

والثاني: في محنة النفاق وفتنة الشقاق.

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

قوله عز وجل ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ يعني بالحسنة النصر.
﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي أخذنا حذرنا فسلمنا.
﴿وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ أي بمصيبتك وسلامتهم.
قال الكلبي: عنى بالحسنة النصر يوم بدر، وبالمصيبة النكبة يوم أحد.

---

(٤٤٦) هم الروم.

قوله عز وجل ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ أنه يصيبنا من خير أو شر، لا أن ذلك بأفعالنا فنذمّ أو نحمد، وهو معنى قول الحسن.

والثاني: إلا ما كتب الله لنا في عاقبة أمرنا أنه ينصرنا ويعز دينه بنا.

﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مالكنا.

والثاني: حافظنا وناصرنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي على معونته وتدبيره.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

قوله عز وجل ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني النصر أو الشهادة وكلاهما حسنة لأن في النصر ظهور الدين، وفي الشهادة الجنة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عذاب الاستئصال في الدنيا.

والثاني: عقاب العصيان في الآخرة.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني بقتل الكافر عند الظفر والمنافق مع الإذن فيه.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ

﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله عز وجل ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُم وَلَا أَوْلَادُهُمْ. . .﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، قاله ابن عباس وقتادة ويكون فيه تقديم وتأخير.

والثاني: إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم، يعني المنافقين. وهذا قول الحسن.

والثالث: ليعذبهم بمصائبهم في أموالهم(٤٤٧) أولادهم، قاله ابن زيد.

والرابع: ليعذبهم ببني أولادهم وغنيمة أموالهم، يعني المشركين، قاله بعض المتأخرين.

والخامس: يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها، وكل هذا عذاب.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي تهلك بشدة، من قوله تعالى ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

قوله عز وجل ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ. . .﴾ الآية. أما الملجأ ففيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الحرز، قاله ابن عباس.

والثاني: الحصن، قاله قتادة.

والثالث: الموضع الحريز من الجبل، قاله الطبري(٤٤٨).

والرابع: المهرب، قاله السدي. ومعاني هذه كلها متقاربة.

وأما المغارات ففيها وجهان:

---

(٤٤٧) لعله وأولادهم وقول ابن زيد في الطبري (١٤/٢٩٦) ونصه: قوله «انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا» بالمصائب فيها هي لهم عذاب وهي للمؤمن أجر أ هـ.

(٤٤٨) وقول أبي جعفر في جامع البيان (١٤/٢٩٨).

قال: «ملجأ» يقول: عصراً يعتصرون به من حصن ومعقلاً يعتقلون فيه منكم.

أحدهما: أنها الغيران في الجبال، قاله ابن عباس.

والثاني: المدخل الساتر لمن دخل فيه، قاله علي بن عيسى.

وأما المدَّخل ففيه وجهان:

أحدهما: أنه السرب في الأرض، قاله الطبري(٤٤٩).

والثاني: أنه المدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة.

﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ يعني هرباً من القتال وخذلاناً للمؤمنين.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي يسرعون، قال مهلهل(٤٥٠):

لقد جمحت جماحاً في دمائهم ... حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا!

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ...﴾ الآية، فيه قولان:

أحدهما: أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء ويتكلم بالنفاق فإن أعطي رضي وإن منع سخط، فنزلت فيه الآية.

الثاني: ما روى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال(٤٥١): بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدْل يا رسول الله، فقال: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلْ إن لَّمْ أَعْدِلْ؟ فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، فقال: دَعْهُ. فأنزل الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.

وفي معنى يلمزك ثلاثة أوجه:

---

(٤٤٩) جامع البيان (١٤/٢٩٨).

(٤٥٠) الطبري (١٤/٢٩٩).

(٤٥١) رواه الطبري (١٤/٣٠٣) واللفظ له والقصة في البخاري أيضاً (٦/٤٥٥).

ومسلم (٧/١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولكن ليس فيها أن هذه الحادثة سبب لنزول الآية.

أحدها: يروزك[٤٥٢] ويسألك، قاله مجاهد.

والثاني: يغتابك، قاله ابن قتيبة.

والثالث: يعيبك، قال رؤبة [٤٥٣]:

قــاربت بين عَنَقي وحجــزي في ظل عصري بـاطلي ولمزي

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ﴾ اختلف أهل العلم فيها على ستة أقاويل:

أحـدها: أن الفقيـر المحتاج المتعفف عن المسـألة. والمسكين: المحتـاج السائل، قاله ابن عباس والحسن وجابر وابن زيد[٤٥٤] والزهري ومجاهد وزيد[٤٥٥].

والثاني: أن الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة، والمسكين: هو الصحيح الجسم منهم، قاله قتادة.

والثالث: أن الفقراء هم المهـاجرون، والمسـاكين: غير المهـاجرين، قـاله الضحاك بن مزاحم وإبراهيم.

والرابع: أن الفقير من المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة.

والخامس: أن الفقير الذي لا شيء له لأن الحاجة قد كسرت فقاره، والمسكين الذي له ما لا يكفيه لكن يسكن إليه، قاله الشافعي.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس المسكين[٤٥٦] الذي لا مال له ولكن

(٤٥٢) يعني يختبرك ويمتحنك ويذوق أمرك هل تخاف لائمة أم لا. يقال «رزت ما عند فلان إذا اختبرته وامتحنته».

(٤٥٣) ديوانه: ٦٤.

(٤٥٤) كذا في المطبوعة والصواب جابر بن زيد والتصويب من الطبري (١٤/ ٣٠٥) وزاد المسير (٣/ ٤٥٥).

(٤٥٥) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب ابن زيد والتصويب من الطبري (١٤/ ٣٠٦) وزاد المسير (٣/ ٤٥٥).

(٤٥٦) وفي الطبري (١٤/ ٣٠٨) ليس المسكين بالذي........

المسكين الأخلق الكسب. قال ابن عليّة: الأخلق المحارف(٤٥٧) عندنا وقال الشاعر(٤٥٨):

لما رأى لُبَدُ النُّسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الأعزل

والسادس: أن الفقير الذي له ما لا يكفيه، والمسكين: الذي ليس له شيء يسكن إليه قاله أبو حنيفة.

ثم قال ﴿وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهم السعاة المختصون بجبايتها وتفريقها قال الشاعر:

إن السُّعاة عصوك حين بعثتهم لم يفعلوا مما أمرت فتيلا

وليس الإمام من العاملين عليها ولا والي الإقليم.

وفي قدر نصيبهم منها قولان:

أحدهما: الثمن، لأنهم أحد الأصناف الثمانية، قاله مجاهد والضحاك.

والثاني: قدر أجور أمثالهم، قاله عبدالله بن عمر(٤٥٩).

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم بالعطية، وهم صنفان: مسلمون ومشركون.

فأما المسلمون فصنفان: صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم، كعقبة بن زيد وأبي سفيان بن حرب والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس. وصنف آخر منهم كانت نياتهم في الإسلام حسنة فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين مثل عدي بن حاتم. ويعطى كِلا الصنفين من سهم المؤلفة قلوبهم.

وأما المشركون فصنفان: صنف يقصدون المسلمين بالأذى فيتألفهم دفعاً

(٤٥٧) قال صاحب تحقيق جامع البيان (١٤/٣٠٨): أراد عمر أن الفقير هو الذي لم يقدم لآخرته شيئاً يثاب عليه وأن الفقير الأكبر إنما هو فقير الآخرة وأن فقير الدنيا أهون الفقيرين والأخلق من قولهم هضبة خلقاء ملساء لا نبات فيها وللجبل المصمت الذي لا يؤثر فيه شيء «أخلق» وفي حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها «وأما معاوية فرجل أخلق من المال» أي خلو عارضه وأما المحارف كما فسره ابن علية فهو المنقوص الحظ فهو محدود محروم إذا طلب الرزق لم يرزق ضد المبارك.

(٤٥٨) هو لبيد والبيت في ديوانه ٢٧٤، الحيوان (٦/٣٢٦) ومعجم مقاييس اللغة (٤/٩٠) ومعجم البلدان (٦/٧٨) واللسان «فقر».

(٤٥٩) وفي نسخة: عبد الله عمرو بن العاص.

قلت: وهو الصواب، لما ثبت ذلك عن عبد الله في الطبري برقم (١٦٨٤٢).

لأذاهم مثل عامر بن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا مثل صفوان بن أمية.

وفي تألفهم بعد رسول الله ﷺ بالسهم المسمى لهم من الصدقات قولان:

أحدهما: يعطونه ويتألفون به، قاله الحسن وطائفة.

والثاني: يمنعون منه ولا يعطونه لإعزاز الله دينه عن تألفهم، قاله جابر، وكلا القولين محكي عن الشافعي.

وقد روى حسان بن عطية قال: قال عمر رضي الله عنه وأتاه عيينة بن حصن يطلب من سهم المؤلفة قلوبهم فقال قد أغنى الله عنك وعن ضربائك ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي ليس اليوم مؤلفة.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم المكاتبون، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشافعي.

والثاني: أنهم عبيد يُشترون بهذا السهم قاله ابن عباس ومالك.

﴿وَٱلْغَارِمِينَ﴾ وهم الذين عليهم الدين يلزمهم غرمه، فإن ادّانوا في مصالح أنفسهم لم يعطوا إلا مع الفقر، وإن ادّانوا في المصالح العامة أعطوا مع الغنى والفقر.

واختلف فيمن ادّان في معصية على ثلاثة أقاويل.

أحدها: لا يعطى لئلا يعان على معصية.

والثاني: يعطى لأن الغرم قد وجب، والمعصية قد انقضت.

والثالث: يعطى التائب منها ولا يعطى إن أصر عليها.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله يعطون سهمهم من الزكاة مع الغنى والفقر.

﴿وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هو المسافر لا يجد نفقة سفره، يعطى منها وإن كان غنياً في بلده، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه الضيف، حكاه ابن الأنباري.

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يصغي إلى كل أحد، فيسمع منه، قال عدي بن زيد(٤٦٠):

أيها القلب تعلّل بددن ... إن هَمي من سماع وأذن

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي يسمع الخير ويعمل به، لا أذن شر يفعله إذا سمعه.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يعيبون النبي ﷺ ويقولون فيه ما لا يجوز، فنزلت هذه الآية فيهم.

وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا يعيبونه بأنه أذن يسمع جميع ما يقال له، فجعلوا ذلك عيباً فيه.

والثاني: أنهم عابوه فقال أحدهم: كفوا فإني أخاف أن يبلغه فيعاقبنا، فقالوا: هو أذن إذا أجبناه وحلفنا له صدقنا، فنسبوه بذلك إلى قبول العذر في الحق والباطل، قاله الكلبي ومقاتل.

وقيل إن قائل هذا نفيل بن الحارث(٤٦١).

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

قوله عز وجل ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فيها ثلاثة أقوال:

---

(٤٦٠) أمالي الشريف المرتضي (١/٣٣) واللسان (أذن) و (ددن).

(٤٦١) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب نبتل بن الحارث والتصويب من الطبري (١٤/٣٢٥) وسيرة ابن هشام (٢/١٦٨) وزاد المسير (٣/٤٦٠).

أحدها: من يخالف الله ورسوله، قاله الكلبي.

والثاني: مجاوزة حدودها، قاله علي بن عيسى.

والثالث: أنها معاداتها مأخوذ من حديد السلاح لاستعماله في المعاداة، قاله ابن بحر.

﴿فأنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا وعيد، وإنما سميت النار جهنم من قول العرب بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر، فسميت نار الآخرة جهنم لبعد قعرها، قاله ابن بحر.

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ. . . .﴾ الآية. فيه وجهان:

أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى عن حذرهم، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أنه أمر من الله تعالى لهم بالحذر، وتقديره ليحذر المنافقون، قاله الزجاج.

وفي قوله تعالى ﴿. . . تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم﴾ وجهان:

أحدهما: ما أسرّوه من النفاق.

والثاني: قولهم في غزوة تبوك: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟هيهات هيهات. فأطلع الله تعالى نبيّه ﷺ على ما قالوا، قاله الحسن وقتادة.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِئُواْ﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر للتهديد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مظهر ما تسرون.

والثاني: ناصر من تخذلون.

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

قوله عز وجل ﴿ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن بعضهم يجتمع مع بعض على النفاق.

والثاني: أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعضٍ. وقال الكلبي: بعضهم على دين بعض.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ في المنكر والمعروف قولان:

أحدهما: أن المنكر كل ما أنكره العقل من الشرك[٤٦٢]، والمعروف: كل ما عرفه العقل من الخير.

والثاني: أن المعروف في كتاب الله تعالى كله الإيمان، والمنكر في كتاب الله تعالى كله الشرك، قاله أبو العالية.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد.

والثاني: يقبضونها عن كل خير، قاله قتادة.

والثالث: يقبضونها عن الجهاد مع النبي ﷺ، قاله بعض المتأخرين.

والرابع: يقبضون أيديهم عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى.

﴿نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا أمره فترك رحمتهم.

قال ابن عباس: كان المنافقون بالمدينة من الرجال ثلاثمائة، ومن النساء سبعين ومائة امرأة.

(٤٦٢) وهو قول المعتزلة وقد كتب في التعليق على هامش المخطوطة:

«هذا اعتقاد المعتزلة والذي عليه جميع أهل السنة والجماعة أن المنكر ما أنكره الشرع والمعروف ما عرفه الشرع» أهـ.

وروى مكحول عن أبي الدرداء أنه(٤٦٣) سأل رسول الله ﷺ عن صفة المنافق: فقال «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ نَقَضَ، لاَ يَأْتِي الصَّلاَةَ إِلاَّ دُبراً وَلاَ يَذْكُرِ ٱللَّهَ إِلاَّ هَجْراً».

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله عز وجل ﴿.. فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلاَقِهِمْ..﴾.

قيل بنصيبهم من خيرات الدنيا.

ويحتمل استمتاعهم باتباع شهواتهم.

وفيه وجه ثالث: أنه استمتاعهم بدينهم الذي أصروا عليه.

﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في شهوات الدنيا.

والثاني: في قول الكفر.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم فارس والروم.

والثاني: أنهم بنو اسرائيل(٤٦٤).

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا

(٤٦٣) هذا الحديث منقطع بين مكحول وأبي الدرداء ويغني عنه حديث أبي هريرة مرفوعاً آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذ وعد أخلف وإذا عاهد غدر. رواه البخاري (١/٨٣) ومسلم (٥٩ في الإيمان) الترمذي (٢٦٣٣) النسائي (٨/١١٧) وفي الباب عن إبن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤٦٤) إن أصل الضلال هو الخوض في آيات الله تعالى استخفافاً واستهزاء كما هو حال الكثيرين الذين ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً.

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ
سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ
عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل ﴿. . وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المساكن الطيبة قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر.

الثاني: أنها المساكن التي يطيب العيش فيها، وهو محتمل.

وأما جنات عدن فيها خمسة أوجه:

أحدها: أنها جنات خلود وإقامة، ومنه سمي المعدن لإقامة جوهره فيه، ومنه قول الأعشى(٤٦٥):

فإن تستضيفوا إلى حِلمِه ... تضافوا إلى راجح قد عدَن

يعني ثابت الحلم. وهذا مروي عن ابن عباس.

والثاني: أن جنات عدن هي جنات كروم وأعناب بالسريانية، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث: أن عدن اسم لبطنان الجنة أي وسطها، قاله عبدالله بن مسعود.

والرابع: أن عدن اسم قصر في الجنة، قاله عبدالله بن عمرو بن العاص والحسن.

(٤٦٥) ديوانه: ١٧، ومجاز القرآن (١/٢٦٤) والطبري (١٤/٣٥٠) واللسان «وزن» وفي اللسان «قد وزن» بدلاً من عدن.

وفي الديوان «إلى حكمه» بدلاً من «إلى حكمه» وفي زاد المسير (٣/٤٦٨) «وإن تستضيفوا» وفي الطبري وزاد المسير واللسان وغيرها وإن خلافاً لما هنا «فإن».

والخامس: أن جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبيّ(٤٦٦) أو صديق أو شهيد أو إمام عدل(٤٦٧).

وجنة المأوى في السماء الدنيا تأوي إليها أرواح المؤمنين رواه معاذ بن جبل مرفوعاً(٤٦٨).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

قوله عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أما جهاد الكفار فبالسيف وأما جهاد المنافقين ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وقلبه، فإن لم يستطع فليكفهر(٤٦٩) في وجوههم، قاله ابن مسعود.

والثاني: جهادهم باللسان، وجهاد الكفار بالسيف، قاله ابن عباس.

(٤٦٦) وقد روى الطبري (١٤/٣٥١، ٣٥٢) والبخاري في الكبير (٢/١/٤٠٧) والبزار كما في المجمع (١٠/٤١٢) من حديث أبي الدرداء مرفوعاً «إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات الحديث وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي داره التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر..... ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء.» وضعف الحديث الهيثمي قائلاً «رواه البزار وفيه زيادة بن محمد وهو ضعيف وضعفه أيضاً الذهبي في الميزان (١/٣٦١) وقال: هذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة.

(٤٦٧) وقوله هنا إلى إمام عدل ثبت من قول الحسن رواه الطبري (١٤/٣٥٤).

(٤٦٨) أما حديث معاذ فلم أهتد إليه وأما الاختلاف في سبب التسمية فقد عقب ابن القيم عليه في حادي الأرواح ص ٨٣ بقوله «والصحيح أن [أي المأوى] اسم من أسماء الجنة» كما قال تعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» وقال في النار (فإن الجحيم هي المأوى» «ومأواكم النار».

(٤٦٩) أي بوجه عابس منقبض لا انبساط فيه ولا بشر.

والثالث: أن جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن وقتادة. وكانوا أكثر من يصيب الحدود.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تعجيل الانتقام منهم.

والثاني: ألا يصدق لهم قولاً، ولا يبر لهم قسماً.

قوله عز وجل ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير، ثم حلف أنه ما قال، وهذا قول عروة ومجاهد وابن إسحاق.

والثاني: أنه عبدالله بن أبي بن سلول. قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قاله قتادة.

والثالث: أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك، قاله الحسن.

﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني ما أنكروه مما قدمنا ذكره تحقيقاً لتكذيبهم فيما أنكروه وقيل بل هو قولهم إن محمداً ليس بنبي.

﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: كفروا بقلوبهم بعد أن آمنوا بأفواههم.

والثاني: جرى عليهم حكم الكفر بعد أن جرى عليهم حكم الايمان.

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنالُواْ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المنافقين هموا بقتل الذي أنكر عليهم، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم هموا بما قالوه ﴿لَئِن رَجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ وهذا قول قتادة.

والثالث: أنهم هموا بقتل النبي ﷺ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً وقيل إنه كان ذلك في غزوة تبوك.

۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ. . .﴾ الآية والتي بعدها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري(٤٧٠). وفي سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه، فلما قدم عليه بخل به، قاله الكلبي.

والثاني: أن مولى لعمر قتل رجلاً لثعلبة فوعد إن أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالى منها، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالى أن يخرجه، قاله مقاتل.

وقيل إن ثعلبة لما بلغه ما نزل فيه أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ مَنَعَنِي أَن أَقْبَلَ مِنكَ صَدَقَتَكَ» فجعل يحثي على رأسه التراب. وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً.

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ قرىء بضم الجيم وفتحها وفيه وجهان:

أحدهما: أنهما يختلف لفظهما ويتفق معناهما، قاله البصريون.

---

(٤٧٠) ولم يثبت في ذلك حديث صحيح بل كل ما ورد لم يصح سنده ولا متنه عند التحقيق بعد أن ضعف هذه الرواية كلًا من الحافظ ابن حجر والبيضاوي والسيوطي وابن حزم والهيثمي وغيرهم فالعجب من ذكر المفسرين رحمهم الله لهذه القصة بعد عدم ثبوتها وقد جمع أحد الفضلاء ما قيل في هذه القصة وفنّد اسانيدها في رسالة بعنوان الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلبة بن حاطب فراجعها فإنها مهمة جداً.

والثاني: أن معناهما مختلف، فالجهد بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة، قاله بعض الكوفيين.

وقيل: كان ذلك في غزاة تبوك نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي وأبي عقيل الأراشي[٤٧١] وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ حث على الصدقة ليتجهز للجهاد، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال هذا شطر مالي صدقة، وجاء عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر وقال: إني آجرت نفسي بصاعين فذهبت بأحدهما إلى عيالي وجئت بالآخر صدقة، فقال قوم من المنافقين حضروه: أما عبد الرحمن وعاصم فما أعطيا إلا رياءً، وأما صاع أبي عقيل[٤٧٢] فالله غني عنه، فنزلت فيهم هذه الآية.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم أظهروا حمدهم واستبطنوا ذمهم.

والثاني: أنهم نسبوا إلى الرياء وأعلنوا الاستهزاء.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه ما أوجبه[٤٧٣] عليهم من جزاء الساخرين.

والثاني: بما أمهلهم من المؤاخذة.

قال ابن عباس: وكان هذا في الخروج إلى غزاة تبوك.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

قوله عز وجل ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن

---

(٤٧١) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب أبو عقيل الإراش واسمه عبد الرحمن الإراش الأنيفي ولم يذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣١/٨) أنه صاحب الصاع ولا فيمن ذكرهم هناك وقد ترجم ابن سعد في الطبقات (٤١/٢/٣) ولم يذكر أنه صاحب الصاع.

(٤٧٢) وقد ذكر الحافظ ابن حجر الاختلاف في تعيين صاحب الصاع وذكر الاختلاف في اسمه في الفتح وقال (٣٣١/٨): وهذا يدل على تعدد من جاء بالصاع.

(٤٧٣) والصواب من القول في ذلك إثبات ذلك على ما يليق بالله تعالى على جهة العدل من غير اشتقاق اسم منها فلا يقال ساخر أو كائد أو مخادع أو ما شابه ذلك والله أعلم.

﴿يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ وهذا على وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان على صيغة الأمر، ومعناه أنك لو طلبتها لهم طلب المأمور بها أو تركتها ترك المنهي عنها لكان سواء في أن الله تعالى لا يغفر لهم.

قوله **﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾** ليس بحد لوقوع المغفرة بعدها، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد لأن العرب تبالغ بالسبع وبالسبعين لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة، ولذلك(٤٧٤) قالوا للأسد سبُع أي قد ضوعفت قوته سبع مرات، وهذا ذكره علي بن عيسى.

وحكى(٤٧٥) مجاهد وقتادة(٤٧٦) أن النبي ﷺ قال «**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً**» فأنزل الله تعالى **﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾** فكف.

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

قوله عز وجل **﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾** أي المتروكون.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني مخالفة رسول الله ﷺ وهذا قول الأكثرين.

والثاني: معناه بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٤٧٧).

---

(٤٧٤) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٣/٤٧٧): «فإن قيل كيف جاز أن يستغفر لهم وقد أخبر بأنهم كفروا فالجواب أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام ولا يجوز أن يقال علم كفرهم ثم استغفر.

(٤٧٥) رواه الطبري (١٤/٣٩٦).

(٤٧٦) رواه عبد بن حميد كما في الفتح (٨/٣٣٥) وروى الطبري (١٤/٣٩٥) وابن أبي حاتم كما في الفتح (٨/٣٣٥) عن عروة بن الزبير مثله وقال الحافظ ابن حجر عن أثر مجاهد وقتادة وعروة وهذه طرق وإن كانت مراسيل فإن بعضها يعضد بعضاً.

(٤٧٧) هو الحارث بن خالد المخزومي.

=

عفت الديار خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيراً

أي بعدهم.

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: هذا قول بعضهم لبعض حين قعدوا.

والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين ليقعدوا معهم. وهؤلاء المخلفون عن النبي ﷺ في غزاة تبوك وكانوا أربعة وثمانين نفساً.

قوله عز وجل ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً﴾ هذا تهديد وإن خرج مخرج الأمر، وفي قلة ضحكهم وجهان:

أحدهما: أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد.

الثاني: أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت قليل، لأن الفاني قليل.

﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الآخرة لأنه يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهم فيه يبكون، فصار بكاؤهم كثيراً، وهذا معنى قول الربيع بن خيثم.

الثاني: في النار على التأبيد لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه، وهذا قول السدي.

ويحتمل أن يريد بالضحك السرور، وبالبكاء الغم.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

= ووقع في نسخة أخرى للمخطوطة عقب الربيع وهو الصواب وقد أورده هكذا الطبري (١٤/٣٩٨) واللسان (عقب) (خلف) ومجاز القرآن لأبي عبيدة وقد أورده صاحب الاغاني (٣/٣٣٦) بلفظ عقب الرذاذ والرذاذ هو صغار المطر وأما قوله هنا عقب الديار فقد وقعت هذه الرواية للبيت في القرطبي (   ).

قوله عز وجل ﴿. . . إِنَّكُم رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أول مرة دعيتم.

الثاني: يعني قبل استئذانكم.

﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَالِفِينَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: هم الرجال الذين تخلفوا بأعذار وأمراض، قاله ابن عباس.

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ لما احتضر عبدالله بن أبي بن سلول أتى ابنُه النبي ﷺ فسأله أن يصلي عليه وأن يعطيه قميصه ليكفن فيه فأعطاه إياه وهو عرق فكفنه فيه وحضره، فقيل إنه أدركه حياً، فقال النبي ﷺ «أَهْلَكَهُمُ اليَهُودُ» فقال: يا رسول الله لا تؤنبني واستغفر لي، فلما مات ألبسه قميصه وأراد الصلاة عليه فجذبه عمر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله أليس الله قد نهاك عن الصلاة عليهم؟ فقال: يَا عُمَرُ خَيَّرَنِي رَبِّي فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لأَزِيدَنَّ عَلَى ٱلسَّبْعِينَ». فصلى عليه(٤٧٨). فنزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ الآية، فما صلى بعدها على منافق، وهذا قول ابن(٤٧٩) عباس وابن عمر(٤٨٠) وجابر(٤٨١) وقتادة.

---

(٤٧٨) قال الحافظ في الفتح (٨/٣٣٦): «وقد قال بعض أهل الحديث تصحيح إسلام عبدالله بن أبي لكون النبي ﷺ صلى عليه وذهل عن الوارد من الآيات والأحاديث المصرحة في حقه بما ينافي ذلك ولم يقف على جواب شاف في ذلك فأقدم على الدعوى المذكورة وهو محجوج بإجماع من قبله على نقيض ما قال. وإطباقهم على ترك ذكره في كتب الصحابة مع شهرته وذكر من هو دونه في الشرف والشهرة بأضعاف مضاعفة أ هـ.

(٤٧٩) رواه الطبري (١٤/٤٠٨) واللفظ له والبخاري (٨/٣٣٣).

(٤٨٠) رواه البخاري (٨/٣٣٧) ومسلم (١٧/١٢١) والطبري (١٤/٤٠٦) وابن ابي حاتم وأبو الشيخ وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي والدلائل كما في الدر (٤/).

(٤٨١) رواه البزار ( ) والطبري (١٤/٤٠٧) وفي سنده مجالد بن سعيد وهو ليس بالقوي ولكن الحديث له شواهد ولهذا قال الحافظ ابن كثير. (٢/٣٧٩): «إسناده لا بأس به وما قبله شاهد له».

وقال أنس بن مالك(٤٨٢): أراد أن يصلي عليه فأخذ جبريل بثوبه وقال ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ يعني قيام زائر ومستغفر.

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ
أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ
رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

قوله عز وجل ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: يعذبهم بحفظها في الدنيا والإشفاق عليها.

والثاني: يعذبهم بما يلحقهم منها من النوائب والمصائب.

والثالث: يعذبهم في الآخرة بما صنعوا بها في الدنيا عند كسبها وعند إنفاقها.

وحكى ابن الأنباري وجهاً رابعاً: أنه على التقديم والتأخير، وتقديره: ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة.

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: استديموا الإيمان بالله.

والثاني: افعلوا فعل من آمن بالله.

والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بأفواهكم، ويكون خطاباً للمنافقين.

﴿وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أهل الغنى، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني: أهل القدرة. وقال محمد بن إسحاق. نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول والجد بن قيس.

قوله عز وجل ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

(٤٨٢) رواه الطبري (١٤/٤٠٧) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك.

أحدها: مع المنافقين، قاله مقاتل.

والثاني: أنهم خساس الناس وأدناهم مأخوذ من قولهم فلان خالفه أهله إذا كان دونهم، قاله ابن قتيبة.

والثالث: أنهم النساء، قاله قتادة والكلبي.

لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ وهو جمع خيرة، وفيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها غنائم الدنيا ومنافع الجهاد.

والثاني: فواضل العطايا.

والثالث: ثواب الآخرة.

والرابع: حُور الجنان، من قوله تعالى ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

قوله عز وجل ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنهم المعتذرون بحق اعتذروا به فعذروا، قاله ابن عباس وتأويل قراءة من قرأها بالتخفيف(٤٨٣).

والثاني: هم المقصرون المعتذرون بالكذب، قاله الحسن وتأويل من قرأها بالتشديد، لأنه إذا خفف مأخوذ من العذر، وإذا شدد مأخوذ من التعذير، والفرق بينهما أن العذر حق والعذير كذب.

وقيل إنهم بنو أسد وغطفان.

قوله عز وجل ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الآية. وفي الضعفاء ها هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الصغار لضعف أبدانهم.

الثاني: المجانين لضعف عقولهم.

الثالث: العميان لضعف بصرهم. كما قيل في تأويل قوله تعالى في شعيب ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ [هود: ٩١] أي ضريراً.

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا برئوا من النفاق.

الثاني: إذا قاموا بحفظ المخلفين من الذراري والمنازل.

فإن قيل بالتأويل الأول كان راجعاً إلى جميع من تقدم ذكره من الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون ما ينفقون.

وإن قيل بالتأويل الثاني كان راجعاً إلى الذين لا يجدون ما ينفقون خاصة.

وقيل إنها نزلت في عائذ بن عمرو وعبدالله بن مُغَفّل.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لم يجد لهم زاداً لأنهم طلبوا ما يتزودون به، قاله أنس بن مالك.

والثاني: أنه لم يجد لهم نعالاً لأنهم طلبوا النعال، قاله الحسن.

---

(٤٨٣) وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن يعمر ويعقوب وقرأ ابن مسعود المعتذرون وفيها قراءة أخرى هي «المعاذرون» بألف وهي قراءة ابن السميفع راجع زاد المسير (٤٨٣/٣).

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال في هذه الغزاة وهي تبوك «**أَكْثِرُوا**[٤٨٤] **مِنَ النِّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَزَالُ رَاكِباً مَا كَانَ مُنْتَعِلاً**».

وفيمن نزلت فيه خمسة أقاويل:

أحدها: في العرباض بن سارية، قاله يحيى بن أبي المطاع[٤٨٥].

والثاني: في عبدالله بن الأزرق وأبي ليلى[٤٨٦]، قاله السدي.

والثالث: في بني مقرّن من مُزينة، قاله مجاهد.

والرابع: في سبعة من قبائل شتى، قاله محمد بن كعب.

والخامس: في أبي موسى وأصحابه، قاله الحسن.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)﴾

قوله عزوجل: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ**﴾ في السبيل هاهنا وجهان:

أحدهما: الإنكار.

الثاني: الإثم.

---

(٤٨٤) اخرجه مسلم (٣/١٦٦٠) وأبو داود (٤١٣٣) وأحمد (٣/٣٣٧، ٣٦٠) والخطيب في التاريخ (٣/٤٢٥).

ومعناه أنه شبيه بالراكب في خفة المشقة عليه وقله تعبه وسلامة رجله مما يعرض في الطريق من خشونة وشوك وأذى ونحو ذلك «هامش صحيح مسلم».

(٤٨٥) هو يحيى بن أبي المطاع القرشي الأردني ابن أخت بلال ثقة معروف روى عن العرباض بن سارية وغيره تهذيب التهذيب (١١/٢٤٥، ٢٤٦).

(٤٨٦) هو عبد الرحمن بن كعب كما في زاد المسير (٣/٢٨٦).

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ يعني في التخلف عن الجهاد. ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ يعني بالمال والقدرة.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم الذراري من النساء والأطفال.

الثاني: أنهم المتخلفون بالنفاق.

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا
وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ
عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۗ إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تلاوتهم القرآن وسماعهم السنن.

الثاني: أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم لأنهم أجفى طباعاً وأغلظ قلوباً.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ومعنى أجدر أي أقرب، مأخوذ من الجدار الذي يكون بين مسكني المتجاورين.

وفي المراد بحدود الله ما أنزل الله وجهان:

أحدهما: فروض العبادات المشروعة.

الثاني: الوعد والوعيد في مخالفة الرسول ﷺ والتخلف عن الجهاد.

قوله عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما يدفع من الصدقات.

الثاني: ما ينفق في الجهاد مع الرسول ﷺ مغرماً، والمغرم التزام ما لا يلزم، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [الفرقان: ٦٥] أي لازماً، قال الشاعر:

فَمَا لَكَ مَسْلُوبَ العَزَاءِ كَأَنَّمَا تَرَى هَجْرَ لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غَارِمُهُ

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ جمع دائرة وهي انقلاب النعمة إلى ضدها، مأخوذة من الدور ويحتمل تربصهم الدوائر وجهين:

أحدهما: في إعلان الكفر والعصيان.

والثاني: في انتهاز الفرصة بالانتقام.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ رد لما أضمروا وجزاء لما مكروا.

قوله عز وجل ﴿وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَن يُؤمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾ قال مجاهد: هم بنو مقرن من مزينة.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها تقربة من طاعة الله ورضاه.

الثاني: أن ثوابها مذخور لهم عند الله تعالى فصارت قربات عند الله ﴿وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنه استغفاره لهم، قاله ابن عباس.

الثاني: دعاؤه لهم، قاله قتادة.

﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون راجعاً إلى إيمانهم ونفقتهم أنها قربة لهم.

الثاني: إلى صلوات الرسول أنها قربة لهم.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ ، قاله أبـو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب.

الثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، قاله الشعبي وابن(٤٨٧) سيرين.

الثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء.

الرابع: أنهم السابقون بالموت والشهادة من المهاجرين والأنصار سبقوا إلى ثواب الله تعالى و حسن جزائه.

و يحتمل خامساً(٤٨٨): أن يكون السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين آمنوا بمكة قبل هجرة رسول اللّه ﷺ عنهم، والسابقون الأولون من الأنصار هم الذين آمنوا برسول اللّه ورسوله قبل هجرته إليهم(٤٨٩).

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الإيمان.

الثاني: من الأفعال الحسنة.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: رضي الله عنهم بالإيمان، ورضوا عنه بالثواب، قاله ابن بحر.

الثاني: رضي الله عنهم في العبادة، ورضـوا عنه بـالجزاء، حكـاه علي بن عيسى.

الثالث: رضي الله عنهم بطاعة الرسول ﷺ، ورضوا عنه بالقبول.

---

(٤٨٧) كذا في المطبوعة والذي في الدر (٤/ ٢٦٩) قاله ابن سيرين هم الذين يصلون القبلتين جميعاً وهم أهل بدر، ونسبه لابن المنذر وأبي نُعيـم.

(٤٨٨) وهذا القول ذكره أبو يعلى كما في زاد المسير (٣/ ٤٩١).

(٤٨٩) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/ ٣٩٨). وفي الآية تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الذين صلوا القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة أو الذين شهدوا بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية في قول الشعبي أو أهل بدر في قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها قال أبو منصور البغـدادي أصحابنـا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ا هـ.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ يعني حوله المدينة: قال ابن عباس: مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون كما كان من الأنصار لدخول جميعهم تحت القدرة فتميزوا بالنفاق وإن عمتهم الطاعة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أقاموا عليه ولم يتوبوا منه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: مردوا عليه أي عتوا فيه، ومنه قوله عز وجل ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾ [النساء: ١١٧].

الثالث: تجردوا فيه فظاهروا به، مأخوذ منه تجرد خد(٤٩٠) الأمرد لظهوره وهو محتمل.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تعلمهم حتى نعلمك بهم.

الثاني: لا تعلم أنت عاقبة أمورهم وإنما نختص نحن بعملها، وهذا يمنع أن يحكم على أحد بجنة أو نار.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والجزع من المسلمين، والآخر عذاب القبر، قاله ابن عباس(٤٩١).

---

(٤٩٠) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٣٩٨). وأصل مرد وتمرد اللين والملاسة والتجرد فكأنهم تجردوا للنفاق ومنه غصن أمرد لا ورق عليه وفرس أمرد لا شعر فيه وغلام أمرد لا شعر بوجهه وأرض مرداء لا نبات فيها وصرح ممرد مجرد فالمعنى أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينثنوا عنه.

قلت وإنما سمي الشيطان مارداً لأنه عرى عن كل خير ومعروف.

(٤٩١) وهذا الذي ذكره المؤلف هنا معنى قول ابن عباس ولم يصح عنه فقد رواه الطبري (١٤/٤٤١) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/٣٣) وقال الهيثمي. فيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي وهو =

والثاني: أن أحدهما عذاب الدنيا والآخر عذاب الآخرة، قاله قتادة.

والثالث: أن أحدهما الأسر والآخر القتل، قاله ابن قتيبة.

والرابع: أن أحدهما الزكاة التي تؤخذ منهم والآخر الجهاد الذي يؤمرون به لأنهم بالنفاق يرون ذلك عذاباً. قاله الحسن.

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه عذاب النار في الآخرة.

الثاني: أنه إقامة الحدود في الدنيا.

الثالث: إنه أخذ الزكاة منهم.

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم سبعة من الأنصار منهم أو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن حزام، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سواري المسجد ليطلقهم رسول الله ﷺ إن عفا عنهم، فلما عاد رسول الله ﷺ مر بهم وكانوا على طريقة فسأل عنهم فأخبر بحالهم فقال: «**لاَ أعذُرُهُم وَلاَ أُطْلِقُهم حَتَّى يَكونَ اللَّهُ تعالَى هُوَ الَّذِي يَعْذُرُهُم وَيُطْلِقُهُم**» فنزلت هذه الآية[٤٩٢] فيهم فأطلقهم، وهذا قول ابن عباس.

الثاني: أنه أبو لبابة وحده قال لبني قريظة حين أرادوا النزول على حكم النبي ﷺ إنه ذابحكم إن نزلتم على حكمه، قاله مجاهد.

﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

= ضعيف» . قلت ولابن عباس قول آخر هو أن إحدى المرتين الحدود والأخرى عذاب القبر لكن الطبري عقب على هذا القول بقوله (١٤/ ١٤٤). ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضى.

(٤٩٢) رواه الطبري (١٤/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) وزاد نسبته السيوطي في الدر (٤/ ٢٧٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وفي سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ورواه الطبري (١٤/ ٤٤٨) من طريق أخرى عن ابن عباس وهي مسلسلة بالضعفاء.

أحدها: أن الصالح: الجهاد، والسيىء: التأخر عنه، قاله السدي.

الثاني: أن السيىء: الذنب، والصالح: التوبة، قاله بعض التابعين.

الثالث: ما قاله الحسن: ذنباً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً(٤٩٣).

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله عزوجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قال ابن عباس: لما نزل في أبي لبابة وأصحابه ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِم﴾ الآية. ثم تاب عليهم قالوا يا رسول الله خذ منا صدقة أموالنا لتطهرنا وتزكينا، قال: لا أفعل حتى أؤمر. فأنزل الله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ وفيها وجهان:

أحدهما: أنها الصدقة التي بذلوها من أموالهم تطوعاً، قاله ابن زيد.

والثاني: أنها الزكاة التي أوجبها الله تعالى في أموالهم فرضاً، قاله عكرمة. ولذلك قال: ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما تجب في بعضها.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ أي تطهر ذنوبهم وتزكي أعمالهم.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: استغفر لهم: قاله ابن عباس.

الثاني: ادع لهم، قاله السدي.

﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

(٤٩٣) قال الحافظ ابن كثير (٢ / ٣٨٥) وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين.

أحدها: قربة لهم، قاله ابن عباس في رواية الضحاك.

الثاني: رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: وقار لهم، قاله قتادة.

الرابع: تثبت لهم، قاله ابن قتيبة.

الخامس: أمن لهم، ومنه قول الشاعر:

يَا جَارَةَ الحَيِّ كُنتِ لي سَكَناً ... إذْ لَيْسَ بعضُ الجِيرَانِ بالسَّكَنِ

وفي الصلاة عليهم والدعاء لهم عند أخذ الصدقة منهم ستة أوجه:

أحدها: يجب على الآخذ الدعاء للمعطي اعتباراً بظاهر الأمر.

الثاني: لا يجب ولكن يستحب لأن جزاءها على الله تعالى لا على الآخذ.

والثالث: إن كانت تطوعاً وجب على الآخذ الدعاء، وإن كانت فرضاً استحب ولم يجب.

والرابع: إن كان آخذها الوالي استحب له الدعاء ولم يجب عليه، وإن كان آخذها الفقير وجب عليه الدعاء له، لأن الحق في دفعها إلى الوالي معيّن، وإلى الفقير غير معيّن.

والخامس: إن كان آخذها الوالي وجب، وإن كان الفقير استحب ولم يجب. لأنه دفعها إلى الوالي إظهار طاعة فقوبل عليها بالشكر وليس كذلك الفقير.

والسادس: إن سأل الدافع الدعاء وجب، وإن لم يسأل استحب ولم يجب روى عبدالله بن أبي أوفى(٤٩٤) قال: أتيت النبي ﷺ بصدقات قومي فقلت يا رسول الله صلِّ عليّ، فقال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**».

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك ولم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، وهم هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك.

(٤٩٤) رواه البخاري (٣/٢٨٦) وأبو داود ١٥٩٠ والنسائي (٥/٣١) وأحمد (٤/٣٥٢).

﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالى فيهم.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يميتهم على حالهم، قاله السدي.

الثاني: يأمر بعذابهم إذا لم يعلم صحة توبتهم.

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يعلم صدق توبتهم فيطهر ما فيهم.

الثاني: أن يعفو عنهم ويصفح عن ذنوبهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم فيما فعله من إرجائهم.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً﴾ هؤلاء هم بنو عمرو بن عوف وهم اثنا عشر رجلاً من الأنصار المنافقين، وقيل: هم خذام بن خالد ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب، ومُعَتِّب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، وجارية بن عامر، وابناه مُجمِّع وزيد ابنا جارية، ونبتل بن الحارث، وبجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت، وبحرج(٤٩٥) وهو جد عبدالله بن حنيف، وله قال النبي ﷺ. «وَيْلَكَ يا بَحْرَج(٤٩٦) مَاذَا أَرَدْتَ بِمَا أَرَى؟»

---

(٤٩٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ وتحريف والصواب بحزج والتصويب من الطبري (١٤/٤٧١) وغيره.
(٤٩٦) كذا في المطبوعة والصواب سبق في التعليق السابق.

فقال يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب، فصدقه، فبنى هؤلاء مسجد الشقاق والنفاق قريباً من مسجد قباء.

﴿ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني ضراراً، وكفراً بالله، وتفريقاً بين المؤمنين أن لا يجتمعوا كلهم في مسجد قباء فتجتمع كلمتهم، ويتفرقوا فتتفرق كلمتهم، ويختلفوا بعد ائتلافهم.

﴿وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾ وفي الإرصاد وجهان:

أحدهما: أنه انتظار سوء يتوقع.

الثاني: الحفظ المقرون بفعل.

وفي محاربة الله تعالى ورسوله وجهان:

أحدهما: مخالفتهما.

الثاني: عداوتهما. والمراد بهذا الخطاب أبو عامر الراهب والد حنظلة بن الراهب كان قد حزّب على رسول الله ﷺ، ثم خاف فهرب إلى الروم وتنصر واستنجد هرقل على رسول الله ﷺ. فبنوا هذا المسجد له حتى إذا عاد من هرقل صلى فيه، وكانوا يعتقدون أنه إذا صلى فيه نُصِر، وكانوا ابتدأوا بنيانه ورسول الله ﷺ خارج إلى تبوك، فسألوه أن يصلي لهم فيه فقال(٤٩٧): «أَنَا عَلَى سَفَرٍ وَلَو قَدِمْنَا إن شَآءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُم وَصَلَّيْنَا لَكُم فِيهِ». فلما قدم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد، وقالوا قد فرغنا منه، فأتاه خبر المسجد وأنزل الله تعالى فيه ما أنزل.

وحكى مقاتل أن الذي أمّهم فيه مجمع بن جارية وكان قارئاً، ثم حسن إسلامه بعد ذلك فبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة يعلمهم القرآن، وهو علم ابن مسعود بقية القرآن.

﴿.. وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: طاعة الله تعالى.

والثاني: الجنة.

---

(٤٩٧) رواه ابن مردويه وابن إسحق في السيرة عن أبي رهم كلثوم بن العين الغفاري وهو من أصحاب بيعة الرضوان كما في الدر (٤/ ٢٨٦) وساقه الطبري عن غيره مطولاً (١٤/ ٤٦٨).

والثالث: فعل التي هي أحسن، من إقامة الدين والجماعة والصلاة، وهي يمين تحرُّج.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم خائنون في إيمانهم.

والثاني: والله يعلمك أنهم لكاذبون خائنون. فصار إعلامه له كالشهادة منه عليهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ أي لا تصلِّ فيه أبداً، يعني مسجد الشقاق والنفاق فعند ذلك أنفذ رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم وعاصم بن عدي فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه(٤٩٨). فذهبا إليه وأخذا سعفاً وحرقاه. وقال ابن جريج: بل آنهار المسجد في يوم الاثنين ولم يُحرَّق.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، قاله أبو سعيد الخدري ورواه مرفوعاً(٤٩٩).

الثاني: أنه مسجد قباء، (٥٠٠) قاله الضحاك وهو أول مسجد بني في الإسلام، قاله ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك.

---

(٤٩٨) انظر التعليق السابق.

(٤٩٩) رواه مسلم (٢/١٠١٥) وأحمد (٣/٢٤) عن أبي سعيد الخدري وقال الهيثمي في المجمع (٧/٣٤) رواه كله أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح قلت ورواه الطبري (٤٧٩/٨٤) وأحمد (٥/٣٣١) من حديث سهل بن سعد.

(٥٠٠) لكن قال الشوكاني في فتح القدير (٢/٤٠٥) «ولا يخفاك أن النبي ﷺ قد عين هذا المسجد الذي أسس على التقوى وجزم بأنه مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا من الأحاديث الصحيحة فلا يقاوم ذلك قول فرد من الصحابة ولا جماعة منهم ولا غيرهم ولا يصح لإيراده في مقابلة ما قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه ورد في فضائل مسجده صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما ورد في فضل مسجد قباء بلا شك ولا شبهة تعمّ ـ ثم ساق أحاديث في فضل مسجد قباء ثم قال: ـ ولا يخفاك أن بعض هذه الأحاديث ليس فيها تعيين مسجد قباء وأهله وبعضها ضعيف وبعضها لا تصريح فيه بأن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء وعلى كل حال لا تقاوم تلك الأحاديث المصرحة بأن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صحتها وصراحتها.

الثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة أسس على التقوى، قاله محمد بن كعب ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: من المسجد الذي أسس على التقوى رجال يحبون أن يتطهروا من الذنوب والله يحب المتطهرين منها بالتوبة، قاله أبو العالية.

والثاني: فيه رجال يحبون أن يتطهروا من البول والغائط بالاستنجاء بالماء، والله يحب المتطهرين بذلك.

روى(٥٠١) أبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك أن النبي ﷺ قال للأنصار عند نزول هذه الآية: «يَا مَعْشَرَ ٱلْأَنصَارِ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَيكُم خيراً فِي ٱلطُّهُورَ فَمَا طَهُورُكُم هَذَا» قالوا: يا رسول الله نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ «فَهَلْ مَعَ ذٰلِكَ غَيرُهُ؟» قالوا لا، غير أن أحدنا إذا خرج إلى الغائط أحب أن يستنجي بالماء، فقال «هُوَ ذٰلِكَ فَعَلَيكُمُوهُ»

الثالث: أنه عني المتطهرين عن إتيان النساء في أدبارهن، وهو مجهول، قاله مجاهد.

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾ يعني مسجد قباء والألف من ﴿أَفَمَنْ﴾ ألف إنكار.

ويحتمل قوله ﴿عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ وجهين:

---

(٥٠١) رواه ابن ماجه (٣٥٥) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/٢٨٩) للدارقطني والحاكم (٢/٣٣٤) وصححه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جارود في المنتقى وابن مردويه وابن عساكر وفي الحديث علتان الأول عتيبة بن أبي حكيم وضعفه غير واحد وانقطاع بين طلحة وأبي أيوب فإن الأول لم يدرك الثاني وأشار إلى ذلك البوصيري في الزوائد. قلت: وما سبق يرد تصحيح الحاكم رحمه الله.

أحدهما: أن التقوى اجتناب معاصيه، والرضوان فعل طاعته.

الثاني: أن التقوى اتقاء عذابه، والرضوان طلب ثوابه.

وكان عمر بن شبة يحمل قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ على مسجد المدينة، ويحتمل ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ على مسجد قباء، فيفرق بين المراد بهما في الموضعين.

﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ يعني شفير جرف وهو حرف الوادي الذي لا يثبت عليه البناء لرخاوته وأكل الماء له ﴿هَارٍ﴾ يعني هائر، والهائر: الساقط. وهذا مثل ضربه الله تعالى لمسجد الضرار.

ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين:

أحدهما: أنه لم يبق بناؤهم الذي أسس على غير طاعة الله حتى سقط كما يسقط ما بني على حرف الوادي.

الثاني: أنه لم يخف ما أسرُّوه من بنائه حتى ظهر كما يظهر فساد ما بنى على حرف الوادي بالسقوط.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم ببنيانهم له سقطوا في نار جهنم.

الثاني: أن بقعة المسجد مع بنائها وبُناتها سقطت في نار جهنم، قاله قتادة والسدي.

قال قتادة: ذكر لنا أنه حفرت منه بقعة فرئي فيها الدخان وقال جابر بن عبدالله: رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار(٥٠٢) حين انهار.

قوله عز وجل ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ﴾ يعني مسجد الضرار.

﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الريبة فيها عند بنائه.

الثاني: أن الريبة عند هدمه.

(٥٠٢) رواه ابن جرير(١٤/٤٩٣) والحاكم (٤/٥٩٦) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٤/٢٩٢) نسبته لمسدد وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وإسناد الأثر صحيح.

فإن قيل بالأول ففي الريبة التي في قلوبهم وجهان:

أحدهما: غطاء على قلوبهم[٥٠٣]، قاله حبيب بن أبي ثابت.

الثاني: أنه شك في قلوبهم، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك، ومنه قول النابغة الذبياني[٥٠٤].

حَلَفْتُ فلم أترك لِنَفْسِكَ ريبة وليس وراءَ الله للمرءِ مذهب

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون الريبة ما أضمروه من الإضرار برسول الله ﷺ والمؤمنين.

وإن قيل بالثاني أن الريبة بعد هدمه ففيها وجهان:

أحدهما: أنها حزازة في قلوبهم، قاله السدي.

الثاني: ندامة في قلوبهم، قاله حمزة.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن تكون الريبة الخوف من رسول الله ﷺ ومن المؤمنين.

﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: إلا أن يتوبوا، قاله سفيان.

والثالث: إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم، قاله عكرمة. وكان أصحاب ابن مسعود يقرأونها: ﴿وَلَوْ تَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى

---

(٥٠٣) كذا في المطبوعة والذي في الطبري (٤٩٦/١٤) والدر المنثور (٢٩٣/٤) وفتح القدير (٤٠٧/٢) «غيظاً من قلوبهم».

فلا أدري هذه الرواية التي أوردها المؤلف عن من هي. ولعله أوردها بالمعنى كعادته في كثير من النقول.

(٥٠٤) ديوانه: ٧٢.

وهي قصيدة مدح واعتذار يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر له ومطلعها:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ اشترى أنفسهم بالجهاد، ﴿وَ أَمْوَالَهُم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نفقاتهم في الجهاد.

والثاني: صدقاتهم على الفقراء.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني الجنة. وهذا الكلام مجاز معناه أن الله تعالى أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم بالجنة، فعبر عنه بالشراء لما فيه من عوض ومعوض مضار في معناه، ولأن حقيقة الشراء لما لا يملكه المشتري.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأن الثواب على الجهاد إنما يستحق إذا كان في طاعته ولوجهه.

﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قَتلُوا أو قُتِلُوا. فروى جابر بن عبدالله الأنصاري(٥٠٥) أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فكبّر الناس، فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرف ردائه على أحد عاتقيه فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟ فقال: نَعَم ،فقال الأنصاري: بيع ربيح لا نقبل ولا نستقبل.

وقال بعض الزهاد: لأنه اشترى الأنفس الفانية بالجنة الباقية.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ
ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

قوله عز وجل :﴿التَّائِبُونَ﴾ يعني من الذنوب.

(٥٠٥) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٤/٢٩٤) وروى نحوه، ابن جرير (١٤/٤٩٩) عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال عبدالله بن رواحة. . . الحديث.

ويحتمل أن يراد بهم الراجعون إلى الله تعالى في فعل ما أمر واجتناب ما حظر لأنها صفة مبالغة في المدح، والتائب هو الراجع، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين.

﴿العَابِدُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: العابدون بتوحيد الله تعالى، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: العابدون بطول الصلاة، قاله الحسن.

والثالث: العابدون بطاعة الله تعالى، قاله الضحاك.

﴿الحَامِدُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحامدون لله تعالى على دين الإسلام، قاله الحسن.

الثاني: الحامدون لله تعالى على السراء والضراء، رواه سهل بن كثير.

﴿السَّآئِحُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: المجاهدون روى أبو أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله ﷺ وفي السياحة فقال: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٥٠٦)

والثاني: الصائمون، وهو قول ابن مسعود وابن عباس، وروى أبو هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ»(٥٠٧).

الثالث: المهاجرون، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الرابع: هم طلبة العِلم، قاله عكرمة.

﴿آلرَّاكِعُونَ آلسَّاجِدُونَ﴾ يعني في الصلاة.

﴿الأَمِرُونَ بِآلْمَعْرُوْفِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالتوحيد، قاله سعيد بن جبير.

---

(٥٠٦) رواه الحاكم (٢/٧٣) وصححه ووافقه الذهبي وزاد السيوطي. نسبته في الدر (٤/٢٩٨) لابن أبي حاتم الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥٠٧) رواه ابن جرير (١٤/٥٠٣) وزاد السيوطي في الدر (٤/٢٩٧) نسبته للفريابي ومسدد والبيهقي في الشعب ثم رواه ابن جرير (١٤/٥٠٣) موقوفاً.

ورواه (١٤/٥٠٢) مرسلاً عن عبيد بن عمير سئل رسول الله ﷺ عن السائحين قال هم الصائمون.

وقال الحافظ ابن كثير (٢/٣٩٢) هذا مرسل جيد.

الثاني: بالإسلام.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن الشرك[٥٠٨]، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنهم الذين لم ينهوا عنه حتى انتهوا قبل ذلك[٥٠٩] عنه، قاله الحسن.

﴿وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: القائمون بأمر الله تعالى.

والثاني: الحافظون لفرائض الله تعالى من حلاله وحرامه، قاله قتادة.

والثالث: الحافظون لشرط الله في الجهاد، قاله مقاتل بن حيان.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني المصدقين بما وعد الله تعالى في هذه الآيات. قاله سعيد بن جبير.

والثاني: العاملين بما ندب الله إليه في هذه الآيات، وهذا أشبه بقول الحسن.

وسبب نزول هذه الآية ما روى ابن عباس[٥١٠] أنه لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ الآية. أتى رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر؟ فأنزل الله تعالى ﴿ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ﴾ الآية.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ

(٥٠٨) والأولى أن يقال إن المراد بالمنكر كل ما أنكره الشرع فيدخل في ذلك الشرك وسائر الذنوب والمعاصي وكذا تفسير المعروف كل ما عرفه الشرع فيدخل فيه التوحيد والأعمال الصالحة من صلاة وحج وزكاة وصلة رحم... الخ وقد اختار القول بالعموم ابن جرير (٥٠٧/٤) وغيره.

(٥٠٩) وفي دخول «الواو» في قوله. الناهون عن المنكر فائدة ذكرها العلامة ابن الجوزي فراجعها في زاد المسير (٥٠٦/٣).

(٥١٠) لم نعثر على تخريجه والله أعلم.

﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ اختلف في سبب نزولها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما روى مسروق(٥١١) عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام، فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعاه ثم دعانا فقال: «مَا أَبْكَاكُم؟» قلنا: بكينا لبكائك، قال: «إن القبر الذي جلست عنده قبر آمِنَةَ وَإِنِّي آسْتَأْذَنتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي، وَإِنِّي استَأْذَنتُ رَبِّي فِي الدُّعَاءِ لَهَا فَلَمْ يَأْذن لِي، وَأَنزلَ آللَّهُ عَلَيَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُربَىٰ﴾ الآية. ﴿فأخذني ما يأخذ الولد للوالد(٥١٢)، وكنتُ نَهيتُكُم عن زِيَارَةِ القُبُورِ فزُورُوهَا فإنها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ﴾.

والثاني: أنها نزلت في أبي طالب، روى سعيد بن المسيب(٥١٣) عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال ﷺ «أي عَمِّ قُلْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةٌ أُحاج لَكَ بِهَا عِندَ آللَّهِ»، فقال له أبو جهل وعبدالله بن أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر شيء كلمهم به أن قال: أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنكَ» فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية.

والثالث: أنها نزلت فيما رواه أبو (٥١٤) الخليل عن عليّ بن أبي طالب رضي الله

(٥١١) رواه الحاكم (٢/٣٣٦) وزاد السيوطي في الدر (٤/٣٠٢) نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

قلت وقال الحاكم صحيح على شرطها ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي بقوله: «قلت أيوب بن هاني ضعفه ابن معين والحديث رواه مسلم من حديث ابن مسعود مختصراً.

(٥١٢) وفي الروايات «للوالدة» وفي لفظ لوالده.

(٥١٣) رواه البخاري (٣/١٧٦ ـ ١٧٧) (٨/٢٥٨) (٨/٣٧٩) ومسلم (٨/٢١٣ ـ ٢١٦) وأحمد (٥/٤٣٣) والطبري واللفظ له (١٤/٥١٠) وزاد السيوطي في الدر (٤/٢٩٩) نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر والنسائي وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدائل.

(٥١٤) هو عبدالله بن أبي الخليل الهمداني الثقة له ترجمة في الطبقات لابن سعد (٦/١٦٩) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/٤٥) والتهذيب لابن حجر(٦/١٧٤).

عنه قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبويه؟ فذكرته للنبيﷺ(٥١٥)، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الآية.

عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام في استغفاره لأبيه مع شركه لسالف موعده ورجاء إيمانه.

وفي موعده الذي كان يستغفر له من أجله قولان:

أحدهما: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن.

والثاني: أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له لما كان يرجوه أنه يؤمن.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ وذلك بموته على شركه وإياسه من إيمانه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ أي من أفعاله ومن استغفاره له، فلم يستغفر له بعد موته.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الأوّاه: الدعَّاء، أي الذي يكثر الدعاء، قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه الرحيم، قاله الحسن.

الثالث: أنه الموقن، قاله عكرمة وعطاء.

الرابع: أنه المؤمن. بلغة الحبشة، قاله ابن عباس.

الخامس: أنه المسبِّح، قاله سعيد بن المسيب.

السادس: أنه الذي يكثر تلاوة القرآن، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

السابع: أنه المتأوّه، قاله أبو ذر.

الثامن: أنه الفقيه، قاله مجاهد.

التاسع: أنه المتضرع الخاشع، رواه عبدالله بن شداد بن الهاد(٥١٦) عن النبي ﷺ.

---

(٥١٥) رواه الطبرى (١٤/٥١٤، ٥١٥) وأحمد (١٠٨٥).

(٥١٦)رواه الطبري (١٤/٥٣٢) وهو حديث مرسل وبالإضافةإلى إرساله ففي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف وقد وثق ورواية شهر عن عبدالله تكلم فيها أهل العلم.

العاشر: أنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها، قاله أبو أيوب.

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع، ومنه قول المثقب العبدي(٥١٧):

إذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ الآية. سبب نزولها أن قوماً من الأعراب أسلموا وعادوا إلى بلادهم فعملوا بما شاهدوا رسول الله ﷺ يعمله من الصلاة إلى بيت المقدس وصيام الأيام البيض، ثم قدموا بعد ذلك على رسول الله ﷺ فوجدوه يصلي إلى الكعبة ويصوم شهر رمضان: فقالوا: يا رسول الله أضلنا الله بعدك بالصلاة. إنك على أمر وإنا على غيره فأنزل الله تعالى هذه الآية.

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الآية. هي غزوة تبوك قِبل الشام، كانوا في عسرة من الظهر، كان الرجلان والثلاثة على بعير وفي عسرة من الزاد، قال قتادة حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها أحدهم ثم يشرب عليها من الماء، ثم يمصها الآخر، وفي عسرة من الماء، وكانوا في لهبان الحر وشدته.

(٥١٧) ديوانه: ٢٩ ومجاز القرآن (١/ ٢٧٠) وطبقات فحول الشعراء (٢٣١) وسمط اللآلي: ٥٦ واللسان (أوه).

قال عبدالله(٥١٨) بن محمد بن عقيل: وأصابهم يوماً عطش شديد فجعلوا ينحرون إبلهم ويعصرون أكراشها فيشربون ماءها. قال عمر بن الخطاب فأمطر الله السماء بدعاء النبي ﷺ فعيشنا.

وفي هذه التوبة من الله على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار وجهان محتملان:

أحدهما: استنقاذهم من شدة العسر.

الثاني: أنها خلاصهم من نكاية العدوّ. وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع إلى الحالة الأولى.

﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تتلف بالجهد والشدة.

والثاني: تعدِل عن الحق في المتابعة والنصرة، قاله ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذه التوبة غير الأولى، وفيها قولان:

أحدهما: أن التوبة الأولى في الذهاب، والتوبة الثانية في الرجوع.

والقول الثاني: أن الأولى في السفر، والثانية بعد العودة إلى المدينة.

فإن قيل بالأول، أن التوبة الثانية في الرجوع، احتملت وجهين:

أحدهما: أنها الإذن لهم بالرجوع إلى المدينة.

الثاني: أنها بالمعونة لهم في إمطار السماء عليهم حتى حيوا، وتكون التوبة على هذين الوجهين عامة.

وإن قيل إن التوبة الثانية بعد عودهم إلى المدينة احتملت وجهين:

أحدهما: أنها العفو عنهم من ممالأة من تخلف عن الخروج معهم.

الثاني: غفران ما همَّ به فريق منهم من العدول عن الحق، وتكون التوبة على هذين الوجهين خاصة.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

(٥١٨) هو عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب. وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه من جهة حفظه، له ترجمة في التهذيب لابن حجر (٦/١٣).

عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ يعني وتاب على الثلاثة الذين خلّفوا وفيه وجهان:

أحدهما: خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، قاله الضحاك وأبو مالك.

الثاني: خلفوا عن بعث رسول الله ﷺ، قاله عكرمة.

وهؤلاء الثلاثةهم: هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك(٥١٩).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ لأن المسلمين امتنعوا من كلامهم.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بما لقوه من الجفوة لهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ قال كعب بن مالك: بعد خمسين ليلة من مقدم رسول الله ﷺ من غزاة تبوك.

﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ قال ابن عباس ليستقيموا لأنه قد تقدمت توبتهم وإنما امتحنهم بذلك استصلاحاً لهم ولغيرهم.

قوله عزوجل: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ في هده الآية قولان:

أحدهما: أنها في أهل الكتاب، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من اليهود بموسى، ومن النصارى بعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد ﷺ فآمنوا به، وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي ﷺ وأصحابه في جهاد المشركين، قاله مقاتل بن حيان.

---

(٥١٩) الخبر بطوله رواه البخاري (٨/٨٦) ومسلم (٤/٢١٢٠).

الثاني: أنها في المسلمين، وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من المسلمين اتقوا الله وفي المراد بهذه التقوى وجهان:

أحدهما: اتقوا الله من الكذب، قال ابن مسعود: (٥٢٠) إن الكذب لا يصلح في جدٍّ ولا هزل، اقرأوا إن شئتم ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ وهي قراءة ابن مسعود هكذا: من الصادقين.

والثاني: اتقوا الله في طاعة رسوله إذا أمركم بجهاد عدوِّه.

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: مع أبي بكر وعمر، قاله الضحاك.

الثاني: مع الثلاثة الذين خُلفوا حين صدقوا النبي ﷺ عن تأخرهم ولم يكذبوا، قاله السدي.

والثالث: مع من صدق في قوله ونيته وعمله وسره وعلانيته، قاله قتادة.

والرابع: مع المهاجرين لأنهم لم يتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ قاله ابن جريج.

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

(٥٢٠) رواه الطبري (١٤/ ٥٦٠) وزاد في الدر (٤/ ٣١٦) نسبته لابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما كان عليهم أن ينفروا جميعاً لأن فرضه صار على الكفاية وهذا ناسخ لقوله تعالى ﴿ٱنفِرُو خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ قاله ابن عباس.

والثاني: معناه وما كان للمؤمنين إذا بعث رسول الله ﷺ سَرية أن يخرجوا جميعاً فيها ويتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة حتى يقيم معه بعضهم، قاله عبدالله بن عبيد بن عمير.

قال الكلبي: وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عُيّروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله ﷺ وتركوه وحده بالمدينة، فنزل ذلك فيهم.

﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لتتفقه الطائفة الباقية إما مع رسول اللّه ﷺ في جهاده، وإما مهاجرة إليه في إقامته، قاله الحسن.

الثاني: لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله عن النفور في السرايا، ويكون معنى الكلام: فهلاّ إذا نفروا أن تقيم من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا مع رسول الله ﷺ في الدين، قاله مجاهد.

وفي قوله تعالى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ﴾ تأويلان:

أحدهما: ليتفقهوا في أحكام الدين ومعالم الشرع ويتحملوا عنه ما يقع به البلاغ وينذروا به قومهم إذا رجعوا إليهم.

الثاني: ليتفقهوا فيما يشاهدونه من نصر الله لرسوله وتأييده لدينه وتصديق وعده ومشاهدة معجزاته ليقوى إيمانهم ويخبروا به قومهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فيهم أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الروم قاله ابن عمر.

الثاني: أنهم الديلم، قاله الحسن.

الثالث: أنهم العرب، قاله ابن زيد.

الرابع: أنه على العموم في قتال الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى، قاله قتادة.

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ: أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَاناً﴾.

هؤلاء هم المنافقون. وفي قولهم ذلك عند نزول السورة وجهان:

أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض على وجه الإنكار، قاله الحسن.

الثاني: أنهم يقولون ذلك لضعفاء المسلمين على وجه الاستهزاء.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَآمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: فزادتهم خشية، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: فزادتهم السورة إيماناً لأنهم قبل نزولها لم يكونوا مؤمنين بها، قاله الطبري(٥٢١).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك.

﴿فَزَادَتْهُم رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إثماً إلى إثمهم، قاله مقاتل.

الثاني: شكاً إلى شكِّهم، قاله الكلبي.

الثالث: كفراً إلى كفرهم، قاله قطرب.

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ

(٥٢١) جامع البيان (١٤/٥٧٧).

يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

قوله عزوجل: ﴿أَوَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ الآية.

في معنى الافتتان هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: يبتلون، قاله ابن عباس.

الثاني: يضلون، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: يختبرون، قاله أبو جعفر الطبري(٥٢٢).

وفي الذي يفتنون به أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الجوع والقحط، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الغزو والجهاد في سبيل الله، قاله قتادة.

الثالث: ما يلقونه من الكذب على رسول الله ﷺ، قاله حذيفة بن اليمان.

الرابع: أنه ما يظهره الله تعالى من هتك أستارهم وسوء نياتهم، حكاه علي بن عيسى.

وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿أَوَ لَا تَرَىٰ أَنَّهُم يُفْتَنُونَ﴾ خطاباً لرسول الله ﷺ.

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

قوله عزوجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: من أنفسكم(٥٢٣) بفتح الفاء ويحتمل تأولها ثلاثة أوجه:

أحدها: من أكثركم طاعة لله تعالى.

الثاني: من أفضلكم خلقاً.

الثالث: من أشرفكم نسباً.

---

(٥٢٢) جامع البيان (١٤/٥٧٩).

(٥٢٣) وهي قراءة ابن عباس وابن العالية والضحاك وابن محيصن زاد المسير (٣/٥٢٠).

والقراءة الثانية: بضم الفاء، وفي تأويلها أربعة أوجه:

أحدها: يعني من المؤمنين لم يصبه شيء من شرك، قاله محمد بن علي.

الثاني: يعني من نكاح لم يصبه من ولادة الجاهلية، قاله جعفر بن محمد. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[٥٢٤]: «خَرَجْتُ مِن نِكَاحٍ وَلَمْ أَخرُجْ مِنْ سِفَاحٍ».

الثالث: ممن تعرفونه بينكم، قاله قتادة.

الرابع: يعني من جميع العرب لأنه لم يبق بطن من بطون العرب إلا قد ولدوه، قاله الكلبي.

﴿عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: شديد عليه ما شق عليكم، قاله ابن عباس.

الثاني: شديد عليه ما ضللتم، قاله سعيد بن أبي عروبة[٥٢٥].

الثالث: عزيز عليه عنت مؤمنكم، قاله قتادة.

﴿حَرِيصٌ عَلَيكُم﴾ قاله الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما يأمرهم به من الهداية ويؤثره لهم من الصلاح.

الثاني: بما يضعه عنهم من المشاق ويعفو عنهم من الهفوات، وهو محتمل.

قوله عز وجل ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه وجهان:

---

(٥٢٤) وردت عدة أحاديث كلها يشد بعضها بعضاً وترتقي إلى الحسن لغيره فرواه البيهقي في السنن (٧/١٩٠) وابن جرير (١١/٧٦) وابن سعد في الطبقات (١/٦٠) وابن أبي شيبة في المصنف (١١/٤٣١ ـ ٤٣٢) من طريق محمد بن جعفر عن أبيه مرسلاً.

ورواه الرامهرمزي في المحدث الفاضل (ص ١٣٦) والسهمي في تاريخ جرجان ص٣٦١ وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/١١) والطبراني في الأوسط كما في المجمع (٨/١٤) موصولاً عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.

وقال الهيثمي: «فيه محمد بن جعفر بن علي صحح له الحاكم في المستدرك وقد تكلم فيه وبقية رجال ثقات»

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وبالشواهد حسنه الألباني في الإرواء (٦/٣٢٩ ـ ٣٣٤ ـ رقم ١٩١٤).

(٥٢٥) هو سعيد بن أبي عروبة أبو النضر البصري واسم أبيه مهران العدوي وعروبة بفتح مهملة وضم الراء خفيفة ثم موحدة ثقة اختلط بآخره.

توفي سنة ١٥٠ أو قيل ١٥٥ له ترجمة في التهذيب لابن حجر (٤/٥٦ ـ ٥٩).

أحدهما: عن طاعة الله، قاله الحسن.

الثاني: عنك، ذكره عليّ بن عيسى.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: حسبي الله معيناً عليكم.

الثاني: حسبي الله هادياً لكم.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لسعته.

الثاني: لجلالته.

روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أن آخر ما أُنزل من القرآن هاتان الآيتان ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهذه الآية. وقال أُبي بن كعب[٥٢٦]: هما أحدث القرآن عهداً بالله وقال مقاتل: تقدم نزولهما بمكة. والله أعلم.

(٥٢٦) رواه الطبري (١٤/٥٨٨ ـ ٥٨٩) والحاكم في المستدرك (٢/٣٣٨) وأحمد (٥/١١٧) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان قال الهيثمي في المجمع (٧/٣٦) وهو ثقة سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات ورواه أحمد في المسند (٥/١٣٤) بأطول منه من طريق آخر عن أبي بن كعب وفي سنده عمر بن شقيق وهو مجهول وأبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.



هي مكية كلها عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات من قوله تعالى: ﴿فإن كنت في شك﴾ إلى آخرهن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

قوله عزوجل: ﴿آلر﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه أنا الله أرى، قاله ابن عباس والضحاك.

والثاني: هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن، قاله سعيد بن جبير والشعبي. وقال سالم بن عبدالله: ﴿آلر﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ للرحمن مقاطع.

الثالث: هو اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

الرابع: أنها فواتح افتتح الله بها القرآن، قاله ابن جريج.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يعني بقوله ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ﴾ أي هذه آيات، كما قال الأعشى(٥٢٧):

تلك خَيْلِي مِنْهُ وتلك رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُها كالزَّبِيبِ

(٥٢٧) اللسان (صفر) ديوان: ٢٠.

أي هذه خيلي.

وفي ﴿الكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ها هنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: التوراة والإنجيل[٥٢٨]، قاله مجاهد.

الثاني: الزبور، قاله مطر.

الثالث: القرآن، قاله قتادة.

وفي قوله ﴿الْحَكِيمِ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه بمعنى محكم، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنه كالناطق بالحكمة، ذكره علي بن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس: سبب نزولها أن الله تعالى لما بعث محمداً ﷺ رسولاً أنكر العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فنزلت هذه الآية.

وهذا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الإنكار والتعجب مِن كفر مَن كفر بالنبي ﷺ لأنه جاءهم رسول منهم، وقد أرسل الله إلى سائر الأمم رسلاً منهم.

ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن لهم ثواباً حسناً[٥٢٩] بما قدموا من صالح الأعمال، قاله ابن عباس.

الثاني: سابق صدق عند ربهم أي سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: أن لهم شفيع صدق يعني محمداً ﷺ يشفع لهم، قاله مقاتل بن حيان.

الرابع: أن لهم سلف صدق[٥٣٠] تقدموهم بالإيمان، قاله مجاهد وقتادة.

---

(٥٢٨) قال العلامة الآلوسي (١١/٥٩).

«وأما حمل الكتاب على الكتب التي خلت قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما... فهو في غاية البعد فتأمل» وبنحوه قال ابن جرير (١٥/١١/١٢) والشوكاني في فتح القدير (٢/٤٢٢).

(٥٢٩) ورجحه ابن جرير (١٥/١٦).

(٥٣٠) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٥/١٦) روى الحاكم من طريق أنس عن أُبي بن كعب في قوله: «قدم صدق» قال سلف صدق وإسناده حسن.

والخامس: أن لهم السابقة بإخلاص الطاعة، قال حسان بن ثابت(٥٣١):

لنا القدم العُلْيا إليكَ وخلْفنَا لِأوَّلنا في طَاعَةِ اللَّهِ تابعُ

ويحتمل سادساً: أن قدم الصدق أن يوافق الطاعة صدق الجزاء، ويكون القدم عبارة عن التقدم، والصدق عبارة عن الحق.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)﴾

قوله عز وجل ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يقضيه وحده، قاله مجاهد.

الثاني: يأمر به ويمضيه.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما من شفيع يشفع إلا من بعد أن يأذن الله تعالى له في الشفاعة.

الثاني: ما من أحد يتكلم عنده إلا بإذنه، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: لا ثاني معه، مأخوذ من الشفع الذي هو الزوج لأنه خلق السموات والأرض وهو واحد فرد لا حي معه، ثم خلق الملائكة والبشر.

(٥٣١) ديوانه: ٢٥٤ وسيرة ابن هشام (٣/٢٨٣) والطبري (١٥/١٦) واللسان (خلف) وفي السيرة. «في ملة الله تابع.. وفي موضع آخر من الطبري (٣/٢٠٩) لنا القدم الأولى».

وقوله ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يعني من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، قاله ابن بحر.

قوله عز وجل: ﴿. . . . إِنَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه ينشئه ثم يفنيه.

الثاني: ما قاله مجاهد: يحييه ثم يميته ثم يبيده ثم يحييه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: لا يخافون عقابنا. ومنه قول الشاعر(٥٣٢):

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَامِلُ

الثاني: لا يطمعون في ثوابنا، ومنه قول الشاعر:

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيَا

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يجعل لهم نوراً يمشون به، قاله مجاهد.

الثاني: يجعل عملهم هادياً لهم إلى الجنة، وهذا معنى قول ابن جريج.

وقد روي عن النبي(٥٣٣) ﷺ أنه قال: «يَتَلَقَّى ٱلْمُؤْمِنَ عَمَلُهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ

(٥٣٢) تقدم تخريجه.

(٥٣٣) هذا الحديث أورده المؤلف هنا بالمعنى وهو حديث مرسل.

رواه الطبري (١٥/ ٢٧) عن قتادة وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٣٤٤) وقال عن قتادة عن الحسن ونسبه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قلت لعل قوله عن الحسن سقط من الطبري والله أعلم.

وروى ابن جرير (١٥/ ٢٨) عن ابن جريج موقوفاً بنحو قول الحسن.

فَيُؤْنِسُهُ وَيَهْدِيهِ، وَيَتَلَقَّىٰ ٱلْكَافِرَ عَمَلُهُ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَيُوحِشُهُ وَيُضِلُّهُ».

الثالث: أن الله يهديهم إلى طريق الجنة.

الرابع: أنه وصفهم بالهداية على طريق المدح لهم.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَارُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من تحت منازلهم قاله أبو مالك.

الثاني: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو لقوله تعالى ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١] يعني بين يدي.

وحكى أبو عبيدة عن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود.

قوله عز وجل ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن أهل الجنة إذا اشتهوا الشيء أو أرادوا أن يدعوا بالشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم، ذلك الشيء، قاله الربيع وسفيان.

الثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله في دعاء يدعونه كان دعاؤهم له: سبحانك اللهم: قاله قتادة.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه وملكهم فيها سالم. والتحية الملك، ومنه قول زهير بن جنان (٥٣٤) الكلبي:

ولكلُّ ما نال الفتى ... قد نِلتُه إلا التحية

الثاني: أن تحية بعضهم لبعض فيها سلام. أي: سلمت وأمنت مما بلي (٥٣٥) به أهل النار، قاله ابن جرير الطبري.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن آخر دعائهم: الحمد لله رب العالمين، كما كان أول دعائهم: سبحانك اللهم، ويشبه أن يكون هذا قول قتادة.

---

(٥٣٤) طبقات فحول الشعراء: ٣٠ ـ ٣٢ وكتاب المعمرين، اللسان بجل، حيا والأغاني (٢١ ـ ٦٦) والطبري (١٥/٣٣).

(٥٣٥) ونص الطبري «مما ابتلى» (١٥/٣٢).

الثاني: أنهم إذا أجابهم فيما دعوه وآتاهم ما اشتهوا حين طلبوه بالتسبيح قالوا بعده: شكراً لله والحمد لله رب العالمين.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة(٥٣٦)، قاله ابن إسحاق.

الثاني: معناه أن الرجل إذا غضب على نفسه أو ماله أو ولده فيدعو بالشر فيقول: لا بارك الله فيه وأهلكه الله، فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب منه الخير لقضي إليهم أجلهم أي لهلكوا.

فيكون تأويلاً على الوجه الأول خاصاً في الكافر، وعلى الوجه الثاني عاماً في المسلم والكافر.

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قال قتادة: يعني مشركي أهل مكة.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في شركهم، قاله ابن عباس.

الثاني: في ضلالهم، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: في ظلمهم، قاله عليّ بن عيسى.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يترددون، قاله ابن عباس وأبو مالك وأبو العالية.

الثاني: يتمادون، قاله السدي.

الثالث: يلعبون، قاله الأعمش.

---

(٥٣٦) قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (١٢/٤).
ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه إذا مسه الضر دعا ربه في هذه الأحوال.

الثاني: دعا ربه فيكون محمولاً على عموم الدعاء في جميع أحواله.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيهِمْ ءَآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ يعني آيات القرآن التي هي تبيان كل شيء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني مشركي أهل مكة.

﴿آئتِ بِقُرْءَآنٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا

يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

وفي قولهم ذلك ثلاثة أوجه:

أحدهـا: أنهم سألوه الوعد وعيداً، والوعيد وعداً، والحلال حراماً، والحرام حلالاً، قاله ابن جرير الطبري(٥٣٧).

الثاني: أنهم سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، قاله ابن عيسى.

الثالث: أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور، قاله الزجاج.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِي نَفْسِيٓ﴾ أي ليس لي أن أتلقاه بالتبديل والتغيير كما ليس لي أنْ أتلقاه بالرد والتكذيب.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فيما أتلوه عليكم من وعد ووعيد وتحليل وتحريم أو أمر أو نهي.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ في تبديله وتغييره.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة.

قوله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن:

﴿وَلَآ أَدْرَاكُم بِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ولا أعلمكم به، قاله ابن عباس.

الثاني: ولا أنذركم به، قاله شهر بن حوشب.

الثالث: ولا أشعركم به، قاله قتادة.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد ما تقدم من عمره قبل الوحي إليه لأن عمر الإنسان مدة حياته طالت أو قصرت.

الثاني: أنه أربعون سنة، لأن النبي ﷺ بعث بعد الأربعين وهو المطلق من عمر الإنسان، قاله قتادة.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أني لم أدَّع ذلك بعد أن لبثت فيكم عمراً حتى أُوحِي إليّ، ولو كنت افتريته لقدمته.

---

(٥٣٧) جامع البيان (١٥/ ٤٠).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾

قوله عز وجل: ﴿... قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أتخبرونه بعبادة من لا يعلم ما في السموات ولا ما في الأرض.

الثاني: أتخبرونه بعبادة غيره وليس يعلم له شريكاً في السموات ولا في الأرض.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في الناس هاهنا أربعة أقاويل:

أحدها: انه آدم عليه السلام، قاله مجاهد والسدي.

الثاني: أنهم أهل السفينة، قاله الضحاك.

الثالث: أنهم من كان على عهد إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي.

الرابع: أنهم بنو آدم، قاله أُبي بن كعب.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: على الإسلام حتى[٥٣٨] اختلفوا، قاله ابن عباس وأُبي بن كعب.

الثاني: على الكفر حتى بعث الله تعالى الرسل، وهذا قول قد روي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: على دين واحد، قاله الضحاك.

﴿فَٱخْتَلَفُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فاختلفوا في الدين فمؤمن وكافر، قاله أبي بن كعب.

---

(٥٣٨) قال العلامة الآلوسي (١١/ ٨٩): أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وروي هذا عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه «وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى».

الثاني: هو اختلاف بني آدم حين قَتل قابيل أخاه هابيل، قاله مجاهد.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولولا كلمة سبقت من ربك في تأجيلهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم من تعجيل العذاب في الدنيا، قاله السدي.

الثاني: ولولا كلمة سبقت من ربك في أن لا يعاجل العصاة إنعاماً منه يبتليهم به لقضى بينهم فيما فيه يختلفون بأن يضطرهم إلى معرفة المحق من المبطل، قاله عليّ بن عيسى.

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟
إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ
إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: رخاء بعد شدة.

الثاني: عافية بعد سقم.

الثالث: خصباً بعد جدب، وهذا قول الضحاك.

الرابع: إسلاماً بعد كفر وهو المنافق، قاله الحسن.

﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المكر هاهنا الكفر والجحود، قاله ابن بحر(*).

الثاني: أنه الاستهزاء والتكذيب. قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون المكر ها هنا النفاق لأنه يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً﴾ يعني أسرع جزاء(٥٣٩) على المكر. وقيل إن سبب نزولها أن رسول الله ﷺ(٥٤٠) لما دعا على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين كسني يوسف إجابة لدعوته، أتاه أبو سفيان فقال يا محمد قد كنت دعوت بالجدب فأجدبنا فادع الله لنا بالخصب فإن أجابك وأخصبنا صدقناك وآمنا بك، فدعا لهم واستسقى فسقوا وأخصبوا، فنقضوا ما قالوه وأقاموا على كفرهم، وهو معنى قوله ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا﴾.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿... فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ذاهباً.

الثاني: يابساً.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: كأن لم تعمر بالأمس، قاله الكلبي.

الثاني: كأنه لم تعش بالأمس، قاله قتادة، ومنه قول لبيد(٥٤١):

(*) وفي نسخة المخطوطة «ابن إسحاق» بدلاً من ابن بحر.

(٥٣٩) تقدم الكلام على صفة المكر في سورة آل عمران فراجعه.

(٥٤٠) تقدم تخريج هذا الحديث في سورة البقرة. عند قوله «ولنبلونكم بشيء من الخوف».

(٥٤١) وفي فتح القدير «خنيت سنينا» (٢/٤٣٨)، انظر أيضاً شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص ٥١٧.

وغنيت سبتاً بعد مجرى داحس ... لو كان للنفس اللجوج خلود

الثالث: كأن لم تقم بالأمس، ومن قولهم غنى فلان بالمكان إذا أقام فيه، قاله عليّ بن عيسى.

الرابع: كأن لم تنعم بالأمس، قاله قتادة أيضاً.

قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها دار السلام وجهان:

أحدهما: لأن السلام هو الله، والجنة داره.

الثاني: لأنها دار السلامة من كل آفة، قاله الزجاج.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في هدايته وجهان:

أحدهما: بالتوفيق والمعونة (٥٤٢).

الثاني: بإظهار الأدلة وإقامة البراهين.

وفي الصراط المستقيم أربعة تأويلات:

أحدها: أنه كتاب الله تعالى، روى علي بن أبي طالب قال(*): سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ».

الثاني: أنه الإسلام، رواه النواس(٥٤٣) بن سمعان عن رسول الله ﷺ.

---

(٥٤٢) قال العلامة الألوسي (١١/١٠٢) وفي الآية دلالة على أن الهداية غير الدعوة إلى ذلك وعلى أن الأمر مغاير للإرادة حيث عمم سبحانه الدعوة إذ حذف مفعولها وخص الهداية بالمشيئة المساوية للإرادة على المشهور إذ قيدها بها وهو الذي ذهب إليه الجماعة (أي أهل السنة والجماعة] وقال المعتزلة إن المراد بالهداية التوفيق والالطاف ومغايرة الدعوة والأمر لذلك ظاهرة فإن الكافر مأمور وليس بموفق وإن من يشاء وهو من علم سبحانه أن اللطف ينفع فيه لأن مشيئته تعالى شأن تابعة للحكمة فمن علم أنه لا ينفع فيه اللطف لم يوفقه ولم يلطف به إذ التوفيق لمن علم الله تعالى أنه لا ينفعه عبث والحكمة منافية للعبث فهو جل وعلا يهدي من ينفعه اللطف وإن أراد اهتداء الكل اهـ.

(*) تقدم تخرجه في تفسير سورة الفاتحة.

(٥٤٣) رواه أحمد (٤/١٨٢ ـ ١٨٣) والطبري (١/١٧٦) والترمذي (٢٨٥٩) وقال غريب. وقال ابن كثير عن سند الترمذي واللسان وهو إسناد حسن صحيح وزاد السيوطي نسبة الحديث في الدر (١/١٥) لابن المنذر وابن الشيخ الحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقي في الشعب ونص الحديث «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيها أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يدعو يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعرجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله =

الثالث: أنه رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر، قاله الحسن وأبو العالية.
الرابع: أنه الحق، قاله مجاهد وقتادة.

روى جابر بن عبدالله قال: (٥٤٤) خرج علينا رسول الله يوماً فقال: «رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: أضرب له مثلاً، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل، عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل في الإسلام ومن دخل في الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل مما فيها» ثم تلا قتادة ومجاهد. ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)﴾

قوله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ يعني عبادة ربهم.
﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فيه خمسة تأويلات:
أحدها: أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه (٥٤٥) الله تعالى. وهذا قول

= والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم.

(٥٤٤) رواه الترمذي (٢٦٨٠) والطبري (١٥/٦١) واللفظ له.

وقال الترمذي هذا حديث مرسل سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله وقال: وقد روى هذا الحديث ـ غير وجه عن النبي ﷺ بإسناد أصح من هذا، قلت وقد رواه الحاكم (٢/٣٣٨) وصححه مبيناً الواسطة بين سعيد بن هلال وجابر قال عن سعيد بن أبي هلال سمعت أبا جعفر محمد بن علي... إلخ وزاد نسبته السيوطي في الدر ,٤/٣٥٥) لابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٥٤٥) هذا القول هو الصواب وقد وردت بذلك أحاديث تفوق الحصر في إثبات رؤية المؤمنين للرب تعالى في الجنة ولم يخالف في هذا إلا الشذاذ من المبتدعه كالمعتزلة والجهمية. راجع حادي الأرواح لابن القيم ص (٢٦٧ ـ ٣٢٠).

أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري.

والثاني: أن الحسنى واحدة من الحسنات، والزيادة مضاعفتها إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الحسنى حسنة مثل حسنة. والزيادة مغفرة ورضوان، قاله مجاهد.

والرابع: أن الحسنى الجزاء في الآخرة، والزيادة ما أعطوا في الدنيا، قاله ابن زيد.

والخامس: أن الحسنى الثواب، والزيادة الدوام، قاله ابن بحر.

ويحتمل سادساً: أن الحسنى ما يتمنونه، والزيادة ما يشتهونه.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ في معنى يرهق وجهان:

أحدهما: يعلو.

الثاني: يلحق، ومنه قيل غلام مراهق إذا لحق بالرجال.

وفي قوله تعالى: ﴿قَتَرٌ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه سواد الوجوه، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الحزن، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الدخان ومنه قتار اللحم وقتار العود وهو دخانه، قاله ابن بحر.

الرابع: أنه الغبار في محشرهم إلى الله تعالى، ومنه قول الشاعر(٥٤٦):

متوجٌ برداء الملك يتبعه ... موجٌ ترى فوقه الرايات والقترا

﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ فيها ها هنا وجهان:

أحدهما: الهوان.

الثاني: الخيبة.

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

(٥٤٦) هو الفرزدق والبيت في ديوانه: ٢٩٠ ومجاز القرآن لابن عبيدة ١: ٢٧٧ واللسان «قتر» ورواية الديوان متعصب برداء الملك.

إن كنا عن عبادتكم لغافلين ﴿٢٩﴾ هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا
إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴿٣٠﴾ قل من يرزقكم من
السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴿٣١﴾ فذلكم
الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴿٣٢﴾ كذلك حقت
كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ فيه قراءتان:

إحداهما: بتاءين قرأبها حمزة[٥٤٧] والكسائي، وفي تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا، قاله السدي، ومنه قول الشاعر:

إن المريب يتبع المريبا كما رأيت الذيب يتلو الذيبا

الثاني: تتلو كتاب حسناتها وكتاب سيئاتها، ومن التلاوة.

والثالث: تعاين كل نفس جزاء ما عملت.

والقراءة الثانية: وهي قراءة الباقين تتلو بالباء وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: تسلم كل نفس.

الثاني: تختبر كل نفس، قاله مجاهد.

﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ أي مالكهم، ووصف تعالى نفسه بالحق، لأن الحق منه، كما وصف نفسه بالعدل، لأن العدل منه.

فإن قيل فقد قال تعالى ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] فكيف صار هاهنا مولى لهم؟ قيل ليس بمولى في النصرة والمعونة، وهو مولى لهم في الملكية.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي بطل عنهم ما كانوا يكذبون.

قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى

(٥٤٧) وهي قراءة خلف أيضاً وروح عن يعقوب راجع المبسوط للأصبهاني ص ٢٣٣.

تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَناً﴾ هم رؤساؤهم.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً﴾ في الظن وجهان:

أحدهما: أنه منزلة بين اليقين والشك، ليست يقيناً وليست شكاً.

الثاني: إن الظن ما تردد بين الشك واليقين وكان مرة يقيناً ومرة شكاً.

وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟
بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني أنه يختلق ويكذب.

﴿وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شاهد بصدق ما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور.

الثاني: لما بين يديه من البعث والنشور والجزاء والحساب.

ويحتمل ثالثاً: أن يكون معناه ولكن يصدقه الذي بين يديه من الكتب السالفة بما فيها من ذكره فيزول عنه الافتراء.

قوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يعلموا ما عليهم بتكذيبهم لشكهم فيه(٥٤٨).

الثاني: لم يحيطوا بعلم ما فيه(٥٤٩) من وعد ووعيد لإعراضهم عنه.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: علم ما فيه من البرهان.

الثاني: ما يؤول إليه أمرهم من العقاب.

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يستمعون الكذب عليك فلا ينكرونه.

الثاني: يستمعون الحق منك فلا يَعُونه.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن من لا يعي ما يسمع فهو كمن لا يعقل.

الثاني: معناه أنه كما لا يعي من لا يسمع كذلك لا يفهم من لا يعقل.

والألف التي في قوله تعالى ﴿أَفَأَنتَ﴾ لفظها الاستفهام ومعناها معنى النفي.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

---

(٥٤٨) **فائدة**: قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٣) قيل لسفيان بن عيينة يقول الناس كل إنسان عدو ما جهل فقال هذا في كتاب الله قيل أين؟ فقال ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾. وقيل للحسين بن الفضل هل تجد في القرآن من جهل شيئاً عاداه؟ فقال نعم في موضعين قوله «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» وقوله ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ [الأحقاف: ١١].

(٥٤٩) قال الشوكاني في فتح القدير (٢/٤٤٦)، وهكذا صنع من تصلب في التقليد ولم يبال بما جاء به من دعا إلى الحق وتمسك بذيول الإنصاف بل يردّه مجرد كونه لم يوافق هواه ولا جاء على طبق دعواه قبل أن يعرف معناه ويعلم مبناه كما تراه عياناً وتعلمه وجداناً.

قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار.

الثاني: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من النهار لقربه.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعرف بعضهم بعضاً. قال الكلبي: يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة.

الثاني: يعرفون أن ما كانوا عليه باطل.

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يعني نبياً يدعوهم إلى الهدى ويأمرهم بالإيمان.

﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم ليكون رسولهم شاهداً عليهم، قاله مجاهد.

الثاني: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة وقد كذبوه في الدنيا قضى الله تعالى بينهم وبين رسولهم في الآخرة، قاله الكلبي.

الثالث: فإذا جاء رسولهم في الدنيا واعياً بعد الإذن له في الدعاء عليهم قضى الله بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ

إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ
ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ
بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ أي يستخبرونك، وهو طلب النبأ.

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: البعث، قاله الكلبي.

الثاني: العذاب في الآخرة.

﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ فأقسم مع إخباره انه حق تأكيداً.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بممتنعين.

الثاني: بسابقين، قاله ابن عباس.

قوله عز وجل: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم، وقيل بل كتمها الروساء عن أتباعهم.

الثاني: أظهروها وكشفوها لهم.

وذكر المبرد فيه وجهاً ثالثاً: أنه بدت بالندامة أَسِرَّةُ وجوههم وهي تكاسير الجبهة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قضي بينهم وبين رؤسائهم، قاله الكلبي.

الثاني: قضى عليهم بما يستحقونه من عذابهم.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا
وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ
إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن فضل الله معرفته، ورحمته توفيقه.

الثاني: أن فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك.

الثالث: أن فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن. قاله الحسن ومجاهد وقتادة(٥٥٠).

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يعني بالمغفرة والتوفيق على الوجه الأول، وبالإسلام والقرآن على الوجهين الآخرين.

وفيه ثالث: فلتفرح قريش بأن محمداً منهم، قاله ابن عباس.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني في الدنيا.

روى أبان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال(٥٥١): «**مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلإِسْلَامِ وَعَلَّمَهُ القُرءَآنَ ثُمَّ شَكَا الفَاقَةَ كَتَبَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ**»، ثم تلا ﴿قُلْ بِفَضْلِ

---

(٥٥٠) قال العلامة الشوكاني (٢/٢٥٤) «والأولى حمل الفضل والرحمة على العموم ويدخل في ذلك ما في القرآن فيها دخولاً أولياً».

(٥٥١) هذا الحديث رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه كما في الدر (٤/٣٦٨) وسنده ضعيف لضعف أبان بن أبي عياش وهو متروك الرواية راجع ترجمته في الميزان للذهبي (١/١٠).

﴿اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٥٥٢).

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى
ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا
كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في ﴿أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ﴾ ها هنا خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل ولايته والمستحقون لكرامته، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

الثاني: هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

الثالث: هم الراضون بالقضاء، والصابرون على البلاء، والشاكرون على النعماء.

---

(٥٥٢) بقيت جملة من الحديث لم يأت بها المؤلف هنا ونصها كما في الدر (٤/٣٦٨) «من عرض الدنيا من الأموال».

الرابع: هم من توالت أفعالهم على موافقة الحق.

الخامس: هم المتحابون في الله تعالى[٥٥٣].

روى جرير عن عمارة بن غزية عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال[٥٥٤]: قال رسول الله ﷺ **«إنَّ مِن عِبَادِ اللَّهِ أُناساً مَّا هُم بِأَنْبِيَآءٍ وَلاَ شُهَدَآءٍ يَغْبِطُهُم الأَنبِياءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِم مِّنَ اللَّهِ»**، قالوا: يا رسول الله خبّرنا من هم وما أعمالهم فإنا نحبهم لذلك، قال: **«هُمْ قَوْمٌ تَحَآبُّوا بِرُوحِ ٱللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُم وَلاَ أَمْوَالٍ يَتَعَاطَونَهَا. فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُم لَعَلَى مَنَابَرَ مِن نُورٍ لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ ٱلنَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»**، وقرأ **﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**.

وفيه وجهان:

أحدهما: لا يخافون على ذريتهم فإن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لأن الله تعالى يعوضهم عنها، وهو محتمل.

الثاني: لا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون عند الموت.

قوله عز وجل: **﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** فيه تأويلان:

أحدهما: أن البشرى في الحياة الدنيا هي البشارة عند الموت بأن يعلم أين هو من قبل أن يموت، وفي الآخرة الجنة، قاله قتادة والضحاك. وروى علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال[٥٥٥] **«إنّ لِخَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيلِدٍ بَيْتاً مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَب»**.

الثاني: أن البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى

(٥٥٣) ولا مانع من دخول هذه الأقوال كلها في صفات أولياء الله وقد توسع العلامة الشوكاني في كتابة قطر الولي وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية من قبله في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان في بيان صفات أولياء الله فراجعها.

(٥٥٤) رواه أبو داود (٣٥٢٧) وابن جرير (١١/١٢٣)، والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٤/٣٧٢) وقال الحافظ ابن كثير «إسناده جيد» إلا أنه منقطع بين أبو زرعة بن عمرو وعمر بن الخطاب. وقد رواه ابن حبان (٢٥٠٨) من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة وله شاهد أيضاً من حديث أبي مالك الأشعري عند أحمد (٥/٣٤١، ٣٤٢). والطبري (١١/١٣٢) وحسنه المنذري ورواه الحاكم أيضاً (٤/١٧٠، ١٧١)، وحديث أبي هريرة صححه الأرناؤوط في شرح السنة (١٣/٥١).

(٥٥٥) رواه البخاري (٧/١٠٤) ومسلم رقم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

له، وفي الآخرة الجنة، روى ذلك عن رسول الله ﷺ أبو الدرداء(٥٥٦) وأبو هريرة(٥٥٧) وعبادة(*) بن الصامت.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح، وفي الآخرة اعطاؤه كتابه بيمينه.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا خلف لوعده.

الثاني: لا نسخ لخيره.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

قوله عز وجل: ﴿. . فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لنصرتكم، قاله الفراء.

الثاني: فاجمعوا أمركم مع شركائكم على تناصركم، قاله الزجاج.

وفي هذا الإجماع وجهان:

أحدهما: أنه الإعداد.

---

(٥٥٦) حديث أبي الدرداء رواه الترمذي (٣١٠٦) وأحمد (٦/٤٤٧) وابن جرير (١٥/١٢٨) ونقل السيوطي في الدر (٤/٣٧٤) تحسين الترمذي له ونسبه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان. وفي سند الحديث رجل مجهول.

(٥٥٧) أما حديث أبي هريرة رواه ابن جرير (١٥/١٣٠) ونسبه السيوطي في الدر (٤/٣٧٤) لأبي الشيخ وابن مردويه وصحح سنده مخرِّج الطبري.

(*) أما حديث عبادة فقد رواه الطبري (١١/١٣٣) وغيره.

الثاني: أنه العزم.

﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الغم.

الثاني: أنه المغطى، من قولهم: قد غم الهلال إذا استتر.

وفي المراد بالأمر هاهنا وجهان:

أحدهما: من يدعونه من دون الله تعالى.

الثاني: ما هم عليه من عزم.

﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ثم انهضوا، قاله ابن عباس.

الثاني: ثم اقضوا إليّ ما أنتم قاضون، قاله قتادة.

الثالث: اقضوا إليّ ما في أنفسكم، قاله مجاهد.

﴿وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ قال ابن عباس. ولا تؤخروني.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يعني عن الإيمان.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فما سألتكم من أجر تستثقلونه فتمتنعون من الإجابة لأجله، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

والثاني: فما سألتكم من أجر إن انقطع عني ثقُل علي.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقد حصل بالدعاء لكم إن أجبتم أو أبيتم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي من المستسلمين لأمر الله بطاعته.

قوله عز وجل: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ قال ابن عباس: كان في سفينة نوح عليه السلام ثمانون رجلاً أحدهم جرهم وكان لسانه عربياً، وحمل فيها من كل زوجين اثنين، قال ابن عباس فكان أول ما حمل الذرة وآخر ما حمل الحمار ودخل معه إبليس(٥٥٨) يتعلق بذنبه.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ أي خلفاً لمن هلك بالغرق.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ حكى أبو زهير أن قوم نوح عاشوا في الطوفان

(٥٥٨) ولا شك في هذا القول أنه من الإسرائيليات التي تلقاها ابن عباس عن مسلمة أهل الكتاب

أربعين يوماً. وذكر محمد بن إسحاق أن الماء بقي بعد الغرق مائة وخمسين يوماً، فكان بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن غاض الماء ستة أشهر وعشرة أيام وذلك مائة وتسعون يوماً.

قال محمد بن إسحاق لما مضت على نوح أربعون ليلة فتح كوة السفينة ثم أرسل منها الغراب لينظر ما فعل الماء فلم يعد، فأرسل الحمامة فرجعت إليه ولم تجد لرجلها موضعاً، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فرجعت حيث أمست وفي فيها ورقة زيتونة فعلم أن الماء قد قل على الأرض، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فلم تعد فعلم أن الأرض قد برزت، وكان استواء السفينة على الجودي لسبع عشرة ليلة من الشهر السابع فيما ذكر والله أعلم(٥٥٩).

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لتلوينا، قاله قتادة.

الثاني: لتصدنا، قاله السدي.

الثالث: لتصرفنا، من قولهم لفته لفتاً إذا صرفه ومنه لفت عنقه أي لواها، قاله عليّ بن عيسى.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أوجه:

(٥٥٩) وهذا القول كسابقه فليس له مستند من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ.

أحدها: الملك، قاله مجاهد.

الثاني: العظمة، حكاه الأعمش.

الثالث: العلو، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

الرابع: الطاعة، قاله الضحاك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟
مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ
سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

قوله عز وجل: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الذرية القليل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم الغلمان من بني إسرائيل لأن فرعون كان يذبحهم فأسرعوا إلى الإيمان بموسى، قاله زيد بن أسلم.

الثالث: أنهم أولاد الزمن(٥٦٠) قاله مجاهد.

الرابع: أنهم قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وأباؤهم من القبط.

ويحتمل خامساً: أن ذرية قوم موسى نساؤهم وولدانهم.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ يعني وعظمائهم وأشرافهم.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ فيه وجهان:

(٥٦٠) والمراد بهم من أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل لطول الزمان لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء فقيل لهم الذرية لأنهم كانوا ذرية من هلك ومن أرسل إليهم موسى عليه السلام كما في الطبري (١٥/١٦٣).

تنبيه: وقع في المطبوعة هنا خطأ جسيم حيث كتب القول الثاني هكذا «أنهم أولاد الزمنى قاله مجاهد» أ هـ وهذا القول لا معنى له وقول مجاهد في الطبري (١٥/١٦٤) وغيره قال: «أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباؤهم»، والخلاصة أن المؤلف أورد قول مجاهد بمعناه وصوابه «أولاد الزمن» نسبة إلى أنهم ولدوا في زمن فرعون فلا أدري كيف خفي ذلك على محقق التفسير وسبحان الحي الذي لا يموت.

أحدهما: أن يعذبهم، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يكرههم على استدامة ما هم عليه.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي متجبر، قاله السدي.

الثاني: باغ طاغ، قاله ابن اسحاق.

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني في بغيه وطغيانه.

وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: في الإسلام إليه.

الثاني: في الثقة به.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تسلطهم علينا فيفتنوننا، قاله مجاهد.

الثاني: لا تسلطهم علينا فيفتتنون بنا لظنهم أنهم على حق، قاله أبو الضحى وأبو مجلز.

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَاْ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً﴾.

يعني تخيّرا واتخذا لهم بيوتاً يسكنونها، ومنه قول الراجز:(٥٦١)

نحن بنو عدنان ليس شك ... تبوأ المجد بنا والملك

وفي قوله ﴿بِمِصْرَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها الإسكندرية، وهو قول مجاهد.

الثاني: أنه البلد المسمى مصر، قاله الضحاك.

وفي قوله ﴿بُيُوتاً﴾ وجهان:

(٥٦١) فتح القدير (٢/٤٦٧).

أحدهما: قصوراً، قاله مجاهد.

الثاني: مساجد، قاله الضحاك.

﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: واجعلوها مساجد تصلون فيها، لأنهم كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم، قاله الضحاك وابن زيد والنخعي.

الثاني: واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثالث: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم قاله ابن بحر.

الرابع: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً، قاله سعيد بن جبير.

﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في بيوتكم لتأمنوا فرعون.

الثاني: إلى قبلة مكة لتصح صلاتكم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال سعيد بن جبير: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ
رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل: ﴿... رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها، قاله قتادة. فذكر لنا أن زروعهم وأموالهم صارت حجارة منقوشة، قاله الضحاك.

﴿وَٱشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالضلالة ليهلكوا كفاراً فينالهم عذاب الآخرة، قاله مجاهد.

الثاني : بإعمائها عن الرشد.

الثالث: بالموت، قاله ابن بحر.

الرابع : اجعلها قاسية.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ قال ابن عباس هو الغرق.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبت دَّعْوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية والربيع : دعا موسى وأمّن هارون فسمي هارون وقد أمّن على الدعاء داعياً، والتأمين على الدعاء أن يقول آمين.

واختلف في معنى آمين بعد الدعاء وبعد فاتحة الكتاب في الصلاة على ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه اللهم آستجب، قاله الحسن.

الثاني : أن آمين اسم(٥٦٢) من أسماء الله تعالى، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة وفيه حرف النداء مضمر وتقديره يا آمين استجب دعاءنا.

الثالث: ما رواه سعيد عن أبي(٥٦٣) هريرة أن رسول الله ﷺ قال «آمين خَاتَمُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ» يعني أنها تمنع من وصول الأذى والضرر كما يمنع الختم من الوصول إلى المختوم عليه.

وفرق ابن عباس في معنى آمين بين وروده بعد الدعاء وبين وروده بعد فاتحة الكتاب فقال: معناه بعد الدعاء: اللهم استجب، ومعناه بعد الفاتحة: كذلك فليكن.

قال محمد بن علي وابن جريج : وأخّر فرعون بعد إجابة دعوتهما أربعين سنة(*).

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فامضيا لأمري فخرجا في قومهم، قاله السدي.

الثاني : فاستقيما في دعوتكما على فرعون وقومه، وحكاه علي بن عيسى.

وقيل: إنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن لأن دعاءه موجب لحلول الانتقام وقد يجوز أن يكون فيهم من يتوب.

---

(٥٦٢) ولكن العلامة القرطبي قال (١٠/ ١٢٨)، «ولم يصح».

(*) وفي نسخة يوماً.

(٥٦٣) رواه الطبري في الدعاء وابن عدي وابن مردويه كما في الدر (١/ ٤٤) وقال السيوطي «بسند ضعيف».

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠
مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾
فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ
ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

قوله عزوجل: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ معنى ننجيك نلقيك على نجوة من الأرض، والنجوة المكان المرتفع وقوله تعالى ﴿بِبَدَنِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بجسدك من غير روح، قاله مجاهد.

الثاني: بدرعك، وكان له درع من حديد يعرف بها، قاله أبو صخر. وكان من تخلف من قوم فرعون ينكر غرقه.

وقرأ يزيد(٥٦٤) اليزيدي ﴿نُنَحِّيكَ﴾ بالحاء غير معجمة وحكاها علقمة عن ابن مسعود. أن يكون على ناحية من البحر حتى يراه بنو إسرائيل، وكان قصير أحمر كأنه ثور.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ يعني لمن بعدك عبرة وموعظة.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الشام وبيت المقدس، قاله قتادة.

الثاني: أنه مصر والشام: قاله الضحاك.

وفي قوله تعالى: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ تأويلان:

أحدهما: أنه كالصدق في الفضل.

والثاني: أنه تصدق به عليهم.

---

(٥٦٤) وفيها قراءة أخرى وهي قراءة يعقوب «نُنْجيك» بالجيم المخففة كما في زاد المسير (٤/ ٦٠).

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أنه وعدهم إياه فكان وَعْدُه وعْد صدق.

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني وأحللنا لهم من الخيرات الطيبة.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ يعني أن بني إسرائيل ما اختلفوا أن محمداً نبي.

﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ وفيه وجهان.

أحدهما: حتى جاءهم محمد ﷺ الذي كانوا يعلمون أنه نبي، وتقديره حتى جاءهم المعلوم، قاله ابن بحر وابن جرير الطبري(٥٦٥).

والثاني: حتى جاءهم القرآن، قاله ابن زيد.

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

قوله عزوجل: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا خطاب من الله لنبيه يقول: إن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك، وفيه وجهان:

أحدهما: في شك أنك رسول.

الثاني: في شك أنك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أراد مَنْ منهم مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه عنى أهل الصدق والتقوى منهم، قاله الضحاك.

فإن قيل: فهل كانَ النبي ﷺ شاكاً؟ قيل قد روي(٥٦٦) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ».

---

(٥٦٥) جامع البيان (١٥/١٩٨).

(٥٦٦) هذا الحديث مرسل من مرسلات قتادة رواه ابن جرير (١٥/٢٠٢)، وزاد السيوطي في الدر (٤/٣٨٩) نسبته لعبد الرزاق قال قتادة بلغنا أن رسول الله ﷺ قال فذكره...

وفي معنى الكلام وجهان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من أمته، كما قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ﴾ الآية [الطلاق: ١].

والثاني: أنه خطاب ورد على عادة العرب في توليد القبول والتنبيه على أسباب الطاعة. كقول الرجل لإبنه: إن كنت ابني فبرّني، ولعبده إن كنت مملوكي فامتثل أمري، ولا يدل ذلك على شك الولد في أنه ابن أبيه ولا أن العبد شاك في أنه ملك لسيده.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَـرِينَ﴾ أي من الشاكّين.

قوله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إن الذين وجبت عليهم كلمة ربك بالوعيد والغضب لا يؤمنون أبداً.

الثاني: إن الذين وقعت كلمته عليهم بنزول العذاب بهم لا يؤمنون أبداً.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

قوله عزوجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَآ﴾ والمراد بالقرية أهل القرية.

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ وهم أهل نينوى من بلاد الموصل فإن يونس عليه السلام وعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، فقالوا: انظروا يونس فإن خرج عنا فوعيده حق، فلما خرج عنهم تحققوه ففزعوا إلى شيخ منهم فقال: تـوبوا وادعوا وقولـوا يا حي حين لاحي، وياحي يا محيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل والدة وولدها، وخرجوا من قريتهم تائبين داعين فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالى:

﴿... كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أنهم تابوا قبل أن يروا العذاب فلذلك قبل توبتهم، ولو رأوه لم يقبلها كما لم يقبل من فرعون إيمانه لما أدركه الغرق.

الثاني: أنه تعالى خصهم بقبول التوبة بعد رؤية العذاب، قال قتادة: كشف

عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا ميل.

﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إلى أجلهم، قاله السدي.

الثاني: إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار، قاله ابن عباس.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن الحذر لا يرد القدر، وإن الدعاء يرد القدر، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ قال عليّ رضي الله عنه ذلك يوم عاشوراء.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ
يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ
ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ
أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ
(١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

قوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه إلا بأمر الله تعالى، قاله الحسن.

الثاني: إلا بمعونة الله.

الثالث: إلا بإعلام الله سبل الهدى والضلالات.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أن الرجس السخط، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه العذاب، قاله الفراء.

الثالث: أنه الإثم، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

الخامس: أنه الشيطان، قاله قتادة.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني لا يعقلون عن الله تعالى أمره ونهيه ويحتمل أنهم الذين لا يعتبرون بحججه ودلائله.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ
ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ أي استقم بإقبال وجهك على ما أمرت به من الدين حنيفاً، وقيل أنه أراد بالوجه النفس.

و ﴿حَنِيفاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أي حاجاً، قاله ابن عباس والحسن والضحاك وعطية والسدي.

الثاني: متبعاً، قاله مجاهد.

الثالث: مستقيماً، قاله محمد بن كعب.

الرابع: مخلصاً، قاله عطاء.

الخامس: مؤمناً بالرسل كلهم، قاله أبو قلابة قال حمزة بن عبد المطلب:

حمدت الله حين هدى فؤادي　　من الإشراك للدين الحنيف

السادس: سابقاً إلى الطاعة، مأخوذ من الحنف في الرجلين وهو أن تسبق إحداهما الأخرى.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ

﴿إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾

قوله عزوجل: ﴿قُلْ يَآ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: القرآن.

الثاني: الرسول ﷺ.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ فيه وجهان محتملان:

أحدهما: فمن اهتدى لقبول الحق فإنما يهتدي بخلاص نفسه.

الثاني: فمن اهتدى إلى معرفة الحق فإنما يهتدي بعقله.



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

وقال ابن عباس وقتادة(٥٦٧) إلا آية وهي قوله ﴿وأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ ٱللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ
إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قوله عزوجل: ﴿الٓر كِتَابٌ﴾ يعني القرآن.

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب، قاله الحسن.

الثاني: أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية، وهذا قول قتادة.

---

(٥٦٧) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١١/٢٠٢) قال الجلال السيوطي ودليله ما صح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر.

الثالث: أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت، وهذا معنى قول مجاهد.

الرابع: أحكمت آياته للمعتبرين، وفصلت آياته للمتقين.

الخامس: أحكمت آياته في القلوب، وفصلت أحكامه على الأبدان.

﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من عند حكيم في أفعاله، خبير بمصالح عباده.

الثاني: حكيم بما أنزل، خبير بمن يتقبل.

قوله عز وجل ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن كتبت في الكتاب ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

والثاني: أنه أمر رسوله أن يقول للناس ﴿أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا اللَّهَ﴾.

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ قال ابن عباس: نذير من النار، وبشير بالجنة.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: استغفروه من سالف ذنوبكم ثم توبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم. قال بعض العلماء: الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

الثاني: أنه قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها، فالمغفرة أولٌ في الطلب وآخر في السبب.

ويحتمل ثالثاً: أن المعنى استغفروه من الصغائر وتوبوا إليه من الكبائر ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً﴾ يعني في الدنيا وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه طيب النفس وسعة الرزق.

الثاني: أنه الرضا بالميسور، والصبر على المقدور.

الثالث: أنه ترْك الخلق والإقبال على الحق، قاله سهل بن عبدالله ويحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الحلال الكافي.

الثاني: أنه الذي لا كد فيه ولا طلب.

الثالث: أنه المقترن بالصحة والعافية.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إلى يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: إلى يوم الموت، قاله الحسن.

الثالث: إلى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى، قاله ابن عباس.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يهديه إلى العمل الصالح، قاله ابن عباس.

الثاني: يجازيه عليه في الآخرة، على قول قتادة. ويجوز أن يجازيه عليه في الدنيا، على قول مجاهد.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ يعني عما أُمرتم له.

﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وفيه إضمار وتقدير: فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه.

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

قوله عزوجل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: يثنون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله تعالى، قاله مجاهد.

الثاني: يثنونها على عداوة النبي ﷺ ليخفوها عنه، قاله الفراء والزجاج.

الثالث: يثنونها على ما أضمروه من حديث النفس ليخفوه عن الناس، قاله الحسن.

الرابع: أن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي ﷺ غطوا رؤوسهم وثنوا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم، قاله أبو رزين.

الخامس: أن رجلاً قال: إذا أغلقت بابي وضربت ستري وتغشيت ثوبي وثنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يعني يلبسون ثيابهم ويتغطون بها، ومنه قول الخنساء(٥٦٨):

---

(٥٦٨) ديوانها: ١٠٩، والطبري (١٥/٢٣٨).

أرعى النجـوم ومـا كُلِّفتُ رعيتهـا وتـارةً أتـغشّـى فـضـل أطـمـاري

وفي المراد بـ ﴿حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: الليل يقصدون فيه إخفاء أسرارهم فيما يثنون صدورهم عليه. والله تعالى لا يخفى عليه ما يسرونه في الليل ولا ما يخفونه في صدروهم، فكنى عن الليل باستغشاء ثيابهم لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون إذا استغشوا ثيابهم.

الثاني: أن قوماً من الكفار كانوا لشدة بغضتهم لرسول الله ﷺ يستغشون ثيابهم يغطون بها وجوههم ويصمون بها آذانهم حتى لا يروا شخصه ولا يسمعوا كلامه، وهو معنى قول قتادة.

الثالث: أن قوماً من المنافقين كانوا يظهرون لرسول الله ﷺ بألسنتهم أنهم على طاعته ومحبته، وتشتمل قلوبهم على بغضه ومعصيته، فجعل ما تشتمل عليه قلوبهم كالمستغشي بثيابه.

الرابع: أن قوماً من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا يكشفونها تحت السماء، فبين الله تعالى أن المنسك ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد وما أظهروه من قول وعمل.

ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بأفواههم.

الثاني: ما يسرون من الإيمان وما يعلنون من العبادات.

الثالث: ما يسرون من عمل الليل وما يعلنون من عمل النهار، قاله ابن عباس.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٥٦٩) قيل بأسرار الصدور.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾

(٥٦٩) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (٢١١/١١) «وفيه [أي في النص] دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها الخارجي وهذا مما لا ينكره أحد سوى شرذمة من المعتزلة»، أ هـ.

قوله عزوجل: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: مستقرها حيث تأوي، ومستودعها حيث تموت.

الثاني: مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة.

ويحتمل رابعاً: أن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾

قوله عز وجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أيكم أتم عقلاً، قاله قتادة.

الثاني: أيكم أزهد في الدنيا، وهو قول سفيان.

الثالث: أيكم أكثر شكراً، قاله الضحاك.

الرابع: ما روى كليب(٥٧٠) بن وائل عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال(٥٧١) ﴿أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

---

(٥٧٠) هو كليب بن وائل بن هبار التيمي اليشكري روى عن ابن عمر له ترجمة في تهذيب التهذيب (٨/٤٠١) والبخاري في التاريخ الكبير (٤/١/٢٢٩) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/٢/١٦٧).

(٥٧١) وهو حديث ضعيف جداً بل موضوع وهو من الأحاديث التي تتحدث عن فضل العقل ولم يصح في فضله حديث فرواه الطبري (١٥/٢٥٠ ـ ٢٥١) وفي سنده داود بن المحبر وهو ضعيف جداً صاحب مناكير قال الدارقطني كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر. . . الخ، وقال الحاكم حدثوا عن الحارث بن أبي أسامة عنه (أي عن داود بن المحبر) بكتاب العقل وأكثر ما أودع في ذلك الكتاب عن الحديث الموضوع على رسول الله ﷺ. وفي سند الحديث أيضاً عبد الواحد بن زيد وهو ضعيف منكر الحديث راجع الميزان (٢/١٥٧) وغيره. ونسب السيوطي الحديث في الدر (٤/٤٠٤) لداود بن المحبر في كتاب العقل وابن أبي حاتم والحاكم في التاريخ وابن مردويه.

قوله عز وجل: ﴿ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلى فناء أمة معلومة، ذكره علي بن عيسى.

الثاني: إلى أجل معدود، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين وتكون الأمة عبارة عن المدة، وأصلها الجماعة فعبر بها عن المدة لحلولها في مدة.

﴿ليقولن ما يحبسه﴾ يعني العذاب. وفي قولهم ذلك وجهان:

أحدهما: أنهم قالوا ذلك تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم.

الثاني: أنهم قالوا ذلك استعجالاً للعذاب واستهزاء، (٥٧٢) بمعنى ما الذي حبسه عنا؟

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ
﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ
إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ
أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ
وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا
يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟
فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ
شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن

(٥٧٢) وحكى الله تعالى الثاني عنهم في قوله ﴿ويستعجلونك بالعذاب وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾.

يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: محمد ﷺ، قاله مجاهد وعكرمة وأبو العالية وأبو صالح وقتادة والسري. والضحاك.

الثالث: الحجج الدالة على توحيد الله تعالى ووجوب طاعته، قاله ابن بحر.

وذكر بعض المتصوفة قولاً رابعاً: أن البينة هي الإشراف على القلوب والحكمة على الغيوب.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنه لسانه يشهد له بتلاوة القرآن، قاله الحسن وقتادة، ومنه قول الأعشى:(٥٧٣)

فلا تحسبنّي كافراً لك نعمةً ... على شاهدي يا شاهد الله فاشهد

الثاني: أنه محمد ﷺ شاهد من الله تعالى، قاله علي بن الحسين.

الثالث: أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس والنخعي وعكرمة والضحاك.

الرابع: أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى المنهال عن(٥٧٤) عباد بن عبد الله قال: قال عليّ: ما في(٥٧٥) قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك؟ قال ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

الخامس: أنه ملك يحفظه، قاله مجاهد وأبو العالية.

---

(٥٧٣) اللسان «شهد» ديوانه: ٦١ والشطر الثاني فيه عليّ شهيد شاهد الله فاشهد.

(٥٧٤) وفي روح المعاني (١٢/٢٨) وأخرج المنهال عن عبادة بن عبدالله.

(٥٧٥) وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يخالف هذا قال العلامة الآلوسي (١٢/٢٨) وأنت تعلم أن الخبر مما لا يكاد يصح... ويكذبه ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ والطبراني في الأوسط عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال قلت لأبي كرم الله وجهه إن الناس يزعمون في قول الله تعالى في «يتلوه شاهد منه» أنك أنت التالي؟ قال وددت أني هو ولكنه لسان محمد ﷺ على أن في تقرير الاستدلال ضعفاً وركاكة بلغت الغاية القصوى كما لا يخفى على من له أدنى فطنة.

ويحتمل قولاً سادساً: ويتلوه شاهد من نفسه بمعرفة حججه ودلائله وهو عقله ووحدته، قاله ابن بحر.

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة، قاله ابن زيد.

الثاني: ومن قبل محمد كتاب موسى، قاله مجاهد.

﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني متقدماً علينا ورحمة لهم.

الثاني: إماماً للمؤمنين لاقتدائهم بما فيه ورحمة لهم.

﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني من كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل الأديان كلها لأنهم يتحزبون: قاله سعيد بن جبير.

الثاني: هم المتحزبون على رسول الله ﷺ المجتمعون على محاربته.

وفي المراد بهم ثلاثة أوجه:

أحدها: قريش، قاله السدي.

الثاني: اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أهل الملل كلها.

﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ أي أنها مصيره، قال حسان بن ثابت(٥٧٦):

أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنار موعِدُها والموت لاقيها

﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ منه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في مرية من القرآن قاله مقاتل.

الثاني: في مرية من أن النار موعد الكفار، قاله الكلبي، وهذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ

(٥٧٦) ديوانه: ٤٢٤.

﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ معناه ومن أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذباً بأن يدعي إنزال ما لم ينزل عليه أو ينفي ما أنزل عليه.

﴿أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهو حشرهم إلى موقف الحساب كعرض الأمير لجيشه، إلا أن الأمير يعرضهم ليراهم وهذا لا يجوز على الله تعالى لرؤيته لهم قبل الحشر.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ والأشهاد جمع، وفيما هو جمع له وجهان:

أحدهما: أنه جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب.

والثاني: جمع شهيد مثل شريف وأشراف.

وفي الأشهاد أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم الأنبياء، قاله الضحاك.

الثاني: أنهم الملائكة، قاله مجاهد.

الثالث: الخلائق، قاله قتادة.

الرابع: أن الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد، قاله زيد بن أسلم.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني قريشاً.

وفي سبيل الله التي صدوا عنها وجهان:

أحدهما: أنه محمد ﷺ صدت قريش عنه الناس، قاله السدي.

والثاني: دين الله تعالى، قاله ابن عباس.

﴿وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني يؤمنون بملة غير الإسلام ديناً، قاله أبو مالك.

الثاني: يبغون محمداً هلاكاً، قاله السدي.

الثالث: أن يتأولوا القرآن تأويلاً باطلاً، قاله عليّ بن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معنى لا جرم: لا بد.

الثاني أن ﴿لا﴾ عائد على الكفار، أي لا دافع لعذابهم، ثم استأنف فقال: جرم، أي كسب بكفره استحقاق النار، ويكون معنى جرم: كسب، أي بما كسبت يداه، قال الشاعر:

نَصَبنا رأسه في جذع نخل ... بما جَرَمت يداه وما اعتدينا

أي بما كسبت يداه.

الثالث: أن ﴿لا﴾ زائدة دخلت توكيداً، يعني حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قال الشاعر: (٥٧٧)

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارةُ بعدها أن يغضبوا.

أي أحقتهم الطعنة بالغضب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾

قوله عزوجل: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني خافوا ربهم، قاله ابن عباس.

الثاني: يعني اطمأنوا، قاله مجاهد.

الثالث: أنابوا، قاله قتادة.

---

(٥٧٧) هو أبو أسماء بن الضريبة وقيل غيره. والبيت في مجاز القرآن (١/١٤٧) واللسان (جرم) والاقتضاب: ٣١٣ وسيبويه (١/٤١٨) ومعاني القرآن (٨٠) وشواهد الكشاف ٣٢.

الرابع: خشعوا وتواضعوا لربهم، رواه معمر.

الخامس: أخلصوا إلى ربهم، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ الأراذل جمع أرذل، وأرذل جمع رذل، والرذل الحقير، وعنوا بأراذلهم الفقراء وأصحاب المهن المتضعة.

﴿باديَ الرأي﴾ أي ظاهر الرأي، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إنك تعمل بأول الرأي من غير فكر، قاله الزجاج.

الثاني: أن ما في نفسك من الرأي ظاهر، تعجيزاً له، قاله ابن شجرة.

الثالث: يعني أن أراذلنا اتبعوك بأقل الرأي وهم إذا فكروا رجعوا عن اتباعك، حكاه ابن الأنباري.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من فضل تفضلون به علينا من دنياكم.

والثاني: من فضل تفضلون به علينا في أنفسكم.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَّبِّي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني على ثقة من ربي، قاله أبو عمران الجوني.(٥٧٨)

والثاني: على حجة من ربي، قاله عليّ بن عيسى.

---

(٥٧٨) وفيهاقراءة أخرى بتخفيف الميم وفتح العين هكذا «فَعَمِيت» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم زاد المسير (٤/٩٧).

﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الإيمان.

والثاني: النبوة، قاله ابن عباس.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني البينة في قوله **﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي﴾**.

وإنما قال **﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾** وهم الذين عموا عنها، لأنها خفيت عليهم بترك النظر فأعماهم الله عنها.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص **﴿فعميت عليكم﴾** بضم العين وتشديد الميم، وفي قراءة أُبي **﴿فعمّاها﴾** وهي موافقة لقراءة من قرأ بالضم(٥٧٩) على ما لم يسم فاعله.

وفي الذي عماها على هاتين القراءتين وجهان:

أحدهما: أن الله تعالى عماها عليهم.

الثاني: بوسوسة الشيطان. وما زينه لهم من الباطل حتى انصرفوا عن الحق.

وإنما قصد نبي الله نوح بهذا القول لقومه أن يرد عليهم قولهم **﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾** ليظهر فضله عليهم بأنه على بينة من ربه وآتاه رحمة من عنده وهم قد سلبوا ذلك، فأي فضل أعظم منه.

ثم قال تعالى: **﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾** فيها وجهان:

أنلزمكم الرحمة، قاله مقاتل.

الثاني: أنلزمكم البينة وأنتم لها كارهون، وقبولكم لها لا يصح مع الكراهة عليها.

قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

(٥٧٩) وهي قراءة الأعمش أيضاً زاد المسير (٤/٩٧).

قوله عزوجل: ﴿. . وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لأنهم سألوه طرد من اتبعه من أراذلهم، فقال جواباً لهم ورداً لسؤالهم: وما أنا بطارد الذين آمنوا.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون قال ذلك على وجه الإعظام لهم بلقاء الله تعالى.

الثاني: على وجه الاختصام، بأني لو فعلت ذلك لخاصموني عند الله.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تجهلون في استرذالكم لهم وسؤالكم طردهم.

الثاني: تجلون في أنهم خير منكم لإيمانهم وكفركم.

وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ
لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا
تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم
بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾

قوله عزوجل: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ احتمل هذا القول من نوح عليه السلام وجهين:

أحدهما: أن يكون جواباً لقومه على قولهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾.

الثاني: أن يكون جواباً لهم على قولهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ فقال الله تعالى له قل: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾.

وفيها وجهان:

أحدهما: أنها الرحمة أي ليس بيدي الرحمة فأسوقها إليكم، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها الأموال، أي ليس بيدي أموال فأعطيكم منها على إيمانكم. ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ فأخبركم بما في انفسكم. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ يعني فأباين جنسكم.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ والازدراء الإحتقار، يقال ازدريت عليه إذا عبته، وزريت عليه إذا حقرته.

وأنشد المبرد(٥٨٠):

يباعده الصديق وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾ أي ليس لاحتقاركم لهم يبطل أجرهم أو ينقص ثوابهم، وكذلك لستم لعلوكم في الدنيا تزدادون على أجوركم.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني أنه يجازيهم عليه ويؤاخذهم به.

﴿إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني إن قلت هذا الذي تقدم ذكره.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

قوله عزوجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يعني النبي ﷺ، افترى افتعل من قبل نفسه ما أخبر به عن نوح وقومه.

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ وفي الإجرام وجهان:

أحدهما: أنه الذنوب المكتسبة. حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنها الجنايات المقصودة، قاله ابن عباس ومنه قول الشاعر(٥٨١):

طريد عشيرةٍ ورهين جرم ... بما جرمت يدي وجنى لساني

ومعناه: فعليّ عقاب إجرامي.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي وعليكم من عقاب جرمكم في تكذيبي ما أنا بريء منه.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا

(٥٨٠) وأورد الشوكاني البيت في فتح القدير (٢/٤٩٥) وقال: وأنشد الفراء...

(٥٨١) هو الهَيْرُدان بني خطار بن حفص السعدي والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٨٨) واللسان (جرم) والطبري (١٥/٣٠٦).

مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

قوله عزوجل ﴿وأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أنه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ حقق الله تعالى استدامة كفرهم تحقيقاً لنزول الوعيد بهم، قال الضحاك: فدعا عليهم لما أُخبر بهذا فقال: ﴿ربِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ديَّاراً. إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا تأسف ومنه قول يزيد بن عبد المدان(٥٨٢):

فارسُ الخيل إذا ما ولولت ... ربّةُ الخِدر بصوتٍ مبتئس

الثاني: فلا تحزن، ومنه قول الشاعر(٥٨٣):

وكم من خليلٍ أو حميم رُزئته ... فلم أبتئس والرزءُ فيه جَليلُ

والابتئاس: الحزن في استكانة، وأصله من البؤس، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: فلا تحزن لهلاكهم.

الثاني: فلا تحزن لكفرهم المفضي إلى هلاكهم.

قوله عزوجل: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: بحيث نراك، فعبر عن الرؤية بالأعين لأن بها تكون الرؤية.

الثاني: بحفظنا إياك حفظ من يراك(٥٨٤).

---

(٥٨٢) هو يزيد بن عبدالله المدان من اليمن وهو شاعر أقبل مع خالد بن الوليد مع قومه الى رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة له ترجمة في الاصابة (٩٢٨٨) وفي سيرة ابن هشام (٤/ ٢٤٠).

(٥٨٣) فتح القدير (٢/ ٤٩٧).

(٥٨٤) اعلم أيها القارىء الكريم أن الرب تبارك وتعالى أخبر في كتابه أن له صفة العين وأخبر رسوله ﷺ كذلك في غير ما حديث صحيح وهذه الصفة نثبتها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل وعلى هذا الإثبات والنفي درج سلفنا الصالح رحمهم الله لإن السلف الصالح كانوا يمرون الآيات كما نزلت وكانوا يؤمنون بها إيماناً خالياً من التجسيم والتكيف وقد مر معك قول الشافعي رحمه الله تعالى حيث قال آمنت بما جاء عن الله بمراد الله وآمنت بما جاء عن رسول الله بمراد رسول الله ﷺ وكل عقائدهم تنسجم مع قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ومع قوله تعالى ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ فالله لا شبيه له ولا نظير ولا ند له في صفاته ولا في ذاته ولا في أفعاله فيثبت لله ما أثبت لنفسه وينفي =

الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة.

ويحتمل وجهاً رابعاً: بمعونتنا لك على صنعها.

﴿ووَحْيِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها.

الثاني: وتعليمنا لك كيف تصنعها.

﴿ولَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُون﴾ نهاه الله عن المراجعة فيهم فاحتمل نهيه أمرين:

أحدهما: ليصرفه عن سؤال ما لا يجاب إليه.

الثاني: ليصرف عنه مـأثم الممالأة للطغاة.

قوله عز وجل: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ قال زيد بن أسـلم: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ومائة سنة يعملها، واختلف في طولها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت مطبقة.

الثاني: ما قاله ابن عباس: كان طولها أربعمائة ذراع، وعلوها ثلاثون ذراعاً. وقال خصيف: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وكان في أعلاها الطير، وفي وسطها الناس وفي أسفلها السباع. ودفعت من عين وردة في يوم الجمعة لعشر مضين من رجب ورست بباقردي[٥٨٥] على الجودي يوم عاشوراء. قال قتادة وكان بابها في عرضها[٥٨٦].

= عنه الله ما نفاه عن نفسه ويثبت لله ما أثبته له رسوله وينفي عن الله ما نفاه عنه رسوله ﷺ. لذا فليحذر المسلم من آفات التجسيم والتمثيل فلقد ثبت في بعض الروايات عن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة أنه قال: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك» وهذه الرواية أيضاً رويت عن الزاهد الصالح الشهير ذي النون المصري ولقد قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى في رسالته الشهيرة المسماة بيان أهل السنة والجماعة قال: «من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

(٥٨٥) وهو موضع بالقرب من جبل الجودي ذكـره ياقوت في معجم البلدان بكسر القاف وفتح الدال.

(٥٨٦) ولا داعي للخوض في طول السفينة وعرضها ومن أي مادة هي لأن الله تعالى لم يبين لنا ذلك لم يثبت في السنة المطهره فالأولى الوقوف عند قول الله ورسوله ولا نتكلف علم ما غاب عنا ولقد أعجبني الامام =

﴿وكلّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ وفي سخريتهم منه قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً.

الثاني: أنهم لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح: ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشيْ على الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه.

﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن تسخروا من قولنا فسنسخر من غفلتكم.

الثاني: إن تسخروا من فِعلنا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غداً عند الغرق.

والمراد بالسخرية ها هنا الاستجهال. ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم.

قال ابن عباس: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه. قال: ومياه البحار بقية الطوفان.

فإن قيل: فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية؟ قيل: لأنه ذمٌّ جعله مجازاة على السخرية فجاء به على مزاوجة الكلام(٥٨٧)، وكان الزجاج لأجل هذا الاعتراض يتأوله على معنى إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلوننا.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

= الآلوسي رحمه الله حيث سرد هذه الإسرائيليات في تفسيره ثم كر عليها بالسخرية قائلاً (١٢/٥٠) وسفينة الأخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها إذ هي غير سالمة من عيب فالحري بحال من لا يميل الى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام صنع السفينة حسبما قضى الله في كتابه ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ومن أي خشب صنعها وبكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة اهـ وكذا تكلم على هذه الروايات الفخر الرازي والحافظ ابن كثير وغيرهما.

(٥٨٧) اقول: ولهذا قال العلامة الآلوسي (١٢/٥١) «وقيل لا مانع من أن يراد الظاهر ولا ضرر في ذلك الحديث الجزاء ومن هنا قال بعضهم إن في الآية دليلاً على جواز مقابلة نحو الجاهل والأحمق بمثل فعله ويشهد له قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ و ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾ ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى غير ذلك اهـ.

قوله عزوجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تَنُّوراً، قاله ابن عباس وقيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

الثاني: أن التنور العين إلتي بالجزيرة «عين وردة»، رواه عكرمة.

الثالث: أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الرابع: أن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها، قاله قتادة.

الخامس: أنه التنور الذي يخبز فيه، قيل له: إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك، قاله مجاهد.

قال الحسن: كان تنوراً من حجارة وكان لحواء ثم صار لنوح: وقال مقاتل: فارَ من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام، قال أمية بن الصلت:

فــار تنــورهم وجــاش بـمــاءٍ صار فوق الجبال حتى علاها

السادس: أن التنور هو تنوير الصبح، من قولهم: نور الصبح تنويراً، وهو مروي عن علي رضي الله عنه.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني من الآدميين والبهائم ذكراً وأنثى.

﴿وأهْلَكَ﴾ أي احمل أهلك.

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ من الله تعالى أنه يهلكهم وهو ابنه كنعان وامرأته كانا كافرين، قاله الضحاك وابن جريج.

﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي احمل من آمن.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ثمانون رجلاً منهم جرهم، قاله ابن عباس.

الثاني: ثمانين، قاله ابن جريج.

الثالث: سبعة[٥٨٨]، قاله الأعمش ومطر، وكان فيهم ثلاثة بنين: سام وحام

(٥٨٨) قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله (١٥/٣٢٧) «والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله» ﴿وما آمن من معه إلا قليل﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً ولم يحد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ =

ويافث، وثلاث بنات له ونوح معهم فصاروا سبعة.

وعلى القول الثاني: كانت فيهم امرأة نوح فصاروا ثمانية.

قال محمد بن عباد بن جعفر: فأصاب حام امرأته في السفينة، فدعا نوح أن يغير الله نطفته فجاء السودان.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال اركبوا فيها بِآسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيمٌ﴾ قال قتادة: ركب نوح عليه السلام في السفينة في اليوم العاشر من رجب، ونزل منها في اليوم العاشر من المحرم، وهو يوم عاشوراء، فقال لمن معه: من كان صائماً فليتم صومه، ومن لم يكن صائماً فليصمه.

وقوله ﴿بسم الله مجريها﴾ أي مسيرها، ﴿ومُرساها﴾ أي مثبتها، فكان إذا أراد السير قال: بسم الله مجريها، فتجري، وإذا أراد الوقوف قال: بسم الله مرساها. فتثبت واقفة.

قوله عز وجل: ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ قال ذلك لبقائه على كفره تكذيباً لأبيه، وقيل إن الجبل الذي أوى إليه طور زيتا.

﴿قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا من رحم الله وهم أهل السفينة.

الثاني: إلا من رحم نوح فحمله في سفينته وقوله ﴿لا عاصم﴾ يعنى لا معصوم. ﴿من أمر الله﴾ يعني الغرق.

= صحيح فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله اذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله ﷺ».

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**وقيل يا أرض ابلعي ماءك**﴾[٦٨٩] جعل نزول الماء فيها بمنزلة البلع، ومعناه ابلعي الماء الذي عليك، فروى الحسن والحسين عليهما السلام أن بعض البقاع امتنع أن يبلع ماءه فصار ماؤه مراً وترابه سبخا.

﴿**ويا سماء أقلعي**﴾ أي لا تمطري، من قولهم أقلع عن الشيء إذا تركه.

﴿**وغيض الماء**﴾ أي نقص حتى ذهبت زيادته عن الأرض.

﴿وقضي الأمر﴾ يعني بهلاك من غرق من قوم نوح.[٥٩٠].

﴿**واستوت**﴾ يعني السفينة.

﴿**على الجودي**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه جبل بالموصل، قاله الضحاك.

الثاني: أنه جبل بالجزيرة، قاله مجاهد. قال قتادة: هو بباقردى من أرض الجزيرة.

الثالث: أن الجودي اسم لكل جبل، ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل[٥٩١].

سبحانه ثم سُبحاناً يعود له   وقبلنا سبح الجوديُّ والجمد

وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا

(٦٨٩) قال العلامة الألوسي رحمه الله (٦٣/١٢) «اعلم أن هذه الآيات الكريمة قد بلغت من مراتب الإعجاز أقاصيها واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان وكانت من سهري البلاغة مكان البستان اهـ ثم شرع رحمه الله في بيان أوجه البلاغة قرابة ثلاث صفحات فراجعها.

(٥٩٠) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (١١٣/٤).
فإن قيل: ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال؟
فالجواب: ان آجالهم حضرت فأميتوا بالغرق قاله الضحاك وابن جريج.

(٥٩١) ذكره ايضاً في فتح القدير (٥٠٠/٢).

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: ﴿ونادى نوحٌ ربه فقال رَبِّ إنَّ ابني من أهلي﴾ وإنما قال ﴿من أهلي﴾ لأن الله تعالى وعده أن ينجي أهله معه.

﴿وإن وعدك الحق﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الذي يحق فلا يخلف.

الثاني: الذي يلزم كلزوم الحق.

﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ يعني بالحق. فاحتمل هذا من نوح أحد أمرين: إما أن يكون قبل علمه بغرق ابنه فسأل الله تعالى له النجاة، وإما أن يكون بعد(٥٩٢) علمه بغرقه فسأل الله تعالى له الرحمة.

قوله عزوجل: ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ فيه ثلاثة أقاويل:(٥٩٣)

أحدها: أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشدة، قاله الحسن ومجاهد.

الثاني: أنه ابن امرأته.

الثالث: أنه كان ابنه، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك. قال ابن عباس: ما بغت امرأةنبي قط(٥٩٤).

---

(٥٩٢) وهو قول الواحدي أيضاً قال العلامة الألوسي (٧١/١٢) «وزعم الواحدي أن السؤال قبل الغرق ومع العلم بكفره وذلك أن نوحاً عليه السلام لم يعلم أن سؤاله ربه نجاة ولده محظور عليه مع إصراره على الكفر حتى أعلمه الله تعالى ذلك واعترض بأنه إذا كان عالماً بكفره مع التصريح بأنه في أهله من يستحق العذاب كان طلب النجاة منكراً من المناكير فتدبر ا هـ.

(٥٩٣) اي لغير نكاح صحيح وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٤٤٨/٢) وقدنص غيرواحدمن الأئمة على تخطئة من ذهب الى تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه وانما كان ابن زنية ويحكي القول بأنه ليس بابنه وانما كان ابن امرأتـه عن مجاهدوالحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج.

(٥٩٤) قال الحافظ ابن كثير (٤٤٩/٢) وكذا روي عن مجاهد ايضاً وعكرمة والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج وهو اختيار أبي جعفر الطبري وهو الصواب الذي لا شك فيه ا هـ. قلت وإليه ذهب عدد كبير من المفسرين.

وقيل إن اسمه كان كنعان، وقيل بل كان اسمه يام.

قال الحسن: وكان منافقاً ولذلك استعجل نوح أن يناديه فعلى هذا يكون في تأويل قوله تعالى ﴿إنه ليس من أهلك﴾ وجهان:

أحدهما: ليس من أهل دينك وولايتك، وهو قول الجمهور.

الثاني: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، قاله سعيد بن جبير.

﴿إنه عملٌ غير صالحٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن مسألتك إياي أن أنجيه عمل غير صالح، قاله قتادة وإبراهيم وهو تأويل من قرأ عملٌ غير صالح بالتنوين.

والثاني: معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ، أي أنه لغير رشدة، قاله الحسن[٥٩٥].

والثالث: أنه عملَ غير صالحٍ، قاله ابن عباس، وهو تأويل من لم ينون.

﴿فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فيما نسبته إلى نفسك وليس منك.

الثاني: في دخوله في جملة من وعدتك بإنجائهم من أهلك وليس منهم.

﴿إني أعظُك أن تكون من الجاهلين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الجاهلين بنسبك.

الثاني: من الجاهلين بوعدي لك.

وفي قوله ﴿إني أعظك﴾ تأويلان:

أحدهما: معناه إني رافعك أن تكون من الجاهلين.

الثاني: معناه أني أحذرك ومنه قوله تعالى ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً﴾ أي يحذّركم.

قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ

(٥٩٥) راجع ما كتب في تعليق رقم ٢٧.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ
ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ
وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

قوله عز وجل: ﴿يُرْسِلِ السماء عليكم مدراراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه المطر في إبانه، قاله هارون التيمي(٥٩٦).

الثاني: المطر المتتابع، قاله ابن عباس.

ويحتمل وجهين آخرين:

أحدهما: يُدرُّه عند الحاجة.

والثاني: يُدرُّ به البركة، وهو مأخوذ من درور اللبن من الضرع.

﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني شدة إلى شدتكم، قاله مجاهد.

الثاني: خصباً إلى خصبكم، قاله الضحاك.

الثالث: عزاً إلى عزكم بكثرة عددكم وأموالكم، قاله علي بن عيسى.

الرابع: أنه ولد الولد، قاله عكرمة.

ويحتمل خامساً: يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوتكم في أبدانكم.

قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ

(٥٩٦) وقول هارون التيمي رواه أبو الشيخ كما في الدر (٤/٤٤٣) ونصه قال في قوله ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ قال يدر ذلك عليهم مطراً ومطـراً.. وإذا كان ذلك كذلك فلا فرق بين تفسير ابن عباس وهارون التيمي.

﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ
عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ
هُودٍ ﴿٦٠﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . إن ربي على صراط مستقيم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على الحق، قاله مجاهد.

الثاني: على تدبير محكم، قاله علي بن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: أنه على طريق الآخرة في مصيركم إليه للجزاء وفصل القضاء(٥٩٧).

۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . هو أنشأكم من الأرض﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: خلقكم من الأرض لأنكم من آدم وآدم من الأرض، قاله السدي.

والثاني: معناه أنشأكم في الأرض.

والثالث: أنشأكم بنبات الأرض(٥٩٨).

---

(٥٩٧) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢ / ٤٥٠) وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ولا توالى ولا تعادى وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك والتصرف وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله الا هو ولا رب سواه.

(٥٩٨) كما قال تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح: ١٧].

﴿واستعمركم فيها﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه أعمركم فيها بأن جعلكم فيها مدة أعماركم، قاله مجاهد، من قولهم أعمر فلان فلاناً داره فهي له عمرى(٥٩٩).

الثاني: أمركم بعمارة ما تحتاجون(٦٠٠) إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار، قاله علي بن عيسى.

الثالث: أطال فيها أعماركم، قال الضحاك، كانت أعماركم ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة.

قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

قوله عز وجل ﴿قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجُوّاً قَبل هذا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي مؤملاً برجاء خيرك.

الثاني: أي حقيراً من الإرجاء وهو التأخير، فيكون على الوجه الأول عتباً، وعلى الثاني زجراً.

قوله عزوجل: ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كُنْتُ على بينةٍ من ربي﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: على حق بيّن.

الثاني: على حجة ظاهرةٍ. وقال الكلبي على دين من ربي.

﴿وآتاني منه رحمة﴾ قال ابن جرير الطبري (٦٠١) يعني النبوة والحكمة.

---

(٥٩٩) بضم فسكون مقصور وهي كما قال الراغب الأصفهاني في العطية أن تجعل له شيئاً مدة عمرك أو عمره نقله في روح المعاني (١٢/٨٨).

(٦٠٠) قال العلامة الآلوسي رحمه الله (١٢/٨٨) واستدل بالآية على أن عمارة الأرض واجبة لهذا الطلب. وقسمها في الكشاف الى واجب كعمارة القناطر اللازمة والمسجد الجامع ومندوب كعمارة المساجد ومباح كعمارة المنازل وحرام كعمارة الحانات وما يبتنى للمباهاة أو من مال حرام كأبنية كثير من الظلمة.

(٦٠١) جامع البيان (١٥/٣٧٠).

﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾ أي فمن يدفع عني عذاب الله إن عصيته بطاعتكم.

﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني ما تزيدونني في احتجاجكم باتباع آبائكم إلا خساراً تخسرونه أنتم، قاله مجاهد.

الثاني: فما تزيدونني مع الرد والتكذيب إن أجبتم إلى ما سألتم إلا خساراً لاستبدال الثواب بالعقاب.

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ
ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن جبريل عليه السلام صاح بهم.

الثاني: أن الله تعالى أحدثها في حيوان صاح بهم.

الثالث: أن الله تعالى أحدثها من غير حيوان.

﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ لأن الصيحة أخذتهم ليلاً فأصبحوا منها هلكى.

﴿في ديارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في منازلهم وبلادهم، من قولهم هذه ديار بكر وديار ربيعة.

الثاني: في دار الدنيا لأنها دار لجميع الخلق.

وفي ﴿جاثمين﴾ وجهان:

أحدهما: مبيتين، لأن الصيحة كانت بياتاً في الليل، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثاني: هلكى بالجثوم.

وفي الجثوم تأويلان:

أحدهما: أنه السقوط على الوجه.

الثاني: أنه القعود على الرُّكب.

قوله عزوجل: ﴿**كأن لم يغنوا فيها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كأن لم يعيشوا فيها.

الثاني: كأن لم ينعموا فيها.

﴿**ألا إنَّ ثمود كفروا ربهم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كذبوا وعيد ربهم.

الثاني: كفروا بأمر ربهم.

﴿**ألا بُعْداً لثمود**﴾ فقضى عليهم بعذاب الاستئصال فهلكوا جميعاً إلا رجلاً منهم وهو أبو رمحان(٦٠٢) كان في حرم الله تعالى فمنعه الحرم من عذاب الله تعالى(٦٠٣).

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**﴾. أما إبراهيم ففيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي، قاله الأكثرون. وقيل معناه أب رحيم.

---

(٦٠٢) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب أبو رغال والتصويب من الطبري (١٥/ ٣٨٠).

(٦٠٣) وقد تقدم في سورة الأعراف نبأ هلاكهم وكيف حل عليهم غضب الله عز وجل.

الثاني: أنه عربي مشتق من البرهمة وهي إدامة النظر.

والرسل جبريل ومعه ملكان قيل إنهما ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان المرسل مع جبريل اثني عشر ملكاً.

وفي البشرى التي جاءوه بها أربعة أقاويل:

أحدها: بشروه بنبوّته، قاله عكرمة.

الثاني: بإسحاق[٦٠٤]، قاله الحسن.

الثالث: بشروه بإخراج محمد ﷺ من صلبه وأنه خاتم الأنبياء.

الرابع: بشروه بهلاك قوم لوط، قاله قتادة.

﴿قالوا سلاماً قال سلامٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تحية من الملائكة لإبراهيم عليه السلام فحياهم بمثله فدل على أن السلام تحية الملائكة والمسلمين جميعاً.

الثاني: سلمت أنت وأهلك من هلاك قوم لوط.

وقوله ﴿سلام﴾ أي الحمد لله الذي سلّمني، فمعنى سلام: سلمت.

وقرأ[٦٠٥] حمزة والكسائي ﴿سِلم﴾ بكسر السين وإسقاط الألف.

واختلف في السلم والسلام على وجهين:

أحدهما: أن السلم من المسالمة والسلام من السلامة.

الثاني: أنهما بمعنى واحد، قال الشاعر، وقد أنشده الفراء لبعض العرب[٦٠٦]:

وقفنا فقلنا إيه سِلْم فسَلَّمَتْ ... كما اكتلَّ بالبرْقِ الغمامُ اللوائحُ

﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ ظنَّ رُسُل ربه أضيافاً لأنهم جاؤوه في صورة الناس فعجل لهم الضيافة فجاءهم بعجل حنيذ.

وفي الحنيذ قولان:

---

(٦٠٤) وهذا القول أول الأقوال لدلالة سياق الآية عليه لأن الله تعالى قال في سورة الصافات ﴿وبشروه بغلام حليم﴾ راجع فتح القدير (٢/٥٩) وروح المعاني (١٢/٩٣).

(٦٠٥) راجع المبسوط في القراءات ص ٢٤١ وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٢٧).

(٦٠٦) وفي نسخه أخرى للمخطوطة نسب البيت لأبي الرمة غيلان بن عقبة. والبيت في اللسان (كلل) والطبري (١٥/٣٨٢) وحاشية الكشاف (٢/٢٢٤) وأول البيت في هذه المصادر «مررنا فقلنا» وأما ما ذكره المؤلف هنا فلعله رواية أخرى للبيت.

أحدهما: أنه الحار، حكاه أبان بن تغلب عن علقمة النحوي.

الثاني: هو المشوي نضيجاً وهو المحنوذ مثل طبيخ ومطبوخ وفيه قولان:

أحدهما: هو الذي حُفر له في الأرض ثم غُمَّ فيها، قال الشاعر:

اذا ما اعتبطنا اللحم للطالب القِرى   حنذناه حتى عَين اللحم آكله

الثاني: هو أن يوقد على الحجارة فإذا اشتد حرها ألقيت في جوفه ليسرع نضجه، قال طرفة بن العبد:

لهم راحٌ وكافور ومسكٌ   وعِقر الوحش شائلة حنوذ

قوله عز وجل: ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ في نكرهم وأنكرهُم وجهان:

أحدهما: أن معناهما مختلف، فنكرهم إذا لم يعرفهم وأنكرهم إذا وجدهم على منكر.

الثاني: أنهما بمعنى واحد، قال الأعشى(٦٠٧):

وأنكَرَتْني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصَّلَعا

واختلف في سبب إنكاره لهم على قولين:

أحدهما: أنهم لم يطعموا، ومن شأن العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا به سوءاً وخافوا منه شراً، فنكرهم إبراهيم لذلك، قاله قتادة.

والثاني: لأنه لم تكن لهم أيدي فنكرهم، قاله يزيد بن أبي حبيب.

وامتنعوا من طعامه لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أضمر في نفسه خوفاً منهم.

والثاني: أحسّ من نفسه تخوفاً منهم، كما قال يزيد بن معاوية(٦٠٨).

جاء البريد بقرطاس يُخَبُّ به   فأوجس القلبُ من قرطاسه جزعا

﴿قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط﴾ يعني بهلاكهم.

---

(٦٠٧) مجاز القرآن (١/٢٩٣) وشواهد الكشاف (١٦٩) واللسان «نكر» والطبري (١٥/٣٨٨) والتاج «نكر» ديوانه: ١٠٤.

(٦٠٨) وفي فتح القدير للشوكاني (٢/٥١٠) «جاء البريد بقرطاس يحث به»..

وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان:

أحدهما: ليزول خوفه منهم.

والثاني: لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول: ويحكم أينهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ وفي قيامها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب.

الثاني: أنها كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد.

الثالث: أنها كانت قائمة تُصَلّي، قاله محمد بن إسحاق.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني حاضت، قاله مجاهد والعرب تقول ضحكت المرأة إذا حاضت، والضحك الحيض في كلامهم، قال الشاعر(٦٠٩):

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دم الخوف يوم اللّقا

والثاني: أن معنى ضحكت: تعجبت، وقد يسمى التعجب ضحكاً لحدوث الضحك عنه، ومنه قول أبي ذؤيب(٦١٠):

فجاء بمزجٍ لم ير الناس مثله هو الضحك إلّا انه عمل النحل

الثالث: أنه الضحك المعروف في الوجه، وهو قول الجمهور.

فإن حمل تأويله على الحيض ففي سبب حيضها وجهان:

أحدهما: أنه وافق وقت عادتها فخافت ظهور دمها وأرادت شداده فتحيرت مع حضور الرسل.

والقول الثاني: ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن يكون الحيض بشيراً بالولادة لأن من لم تحض لا تلد.

وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجبت منه أربعة أقاويل:

---

(٦٠٩) اللسان ضحك والطبري (١٥/٣٩٣) وفتح القدير للشوكاني (٢/٥١٠).

(٦١٠) ديوانه (١/٤٢) واللسان (ضحك) والطبري (١٥/٣٩٣).

أحدها: أنها تعجبت من أنها وزوجها يخدمان الأضياف تكرمة لهم وهم لا يأكلون، قاله السدي.

الثاني: تعجبت من أن قوم لوط قد أتاهم العذاب وهم(٦١١) غافلون، قاله قتادة.

الثالث: أنها تعجبت من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، قاله وهب بن منبه.

الرابع: أنها تعجبت من إحياء العجل الحنيذ لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار، قاله عون بن أبي شداد.

وإن حمل تأويله على ضحك الوجه ففيما ضحكت منه أربعة أقاويل:

أحدها: ضحكت سروراً بالسلامة.

الثاني: سروراً بالولد.

الثالث: لما رأت ما بزوجها من الورع، قاله الكلبي.

الرابع: أنها ضحكت ظناً بأن الرسل يعملون عمل قوم لوط(٦١٢)، قاله محمد بن عيسى.

﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ وفي ﴿وراء﴾ ها هنا قولان:

أحدهما: أن الوراء ولد الولد، قاله ابن عباس والشعبي.

الثاني: أنه بمعنى بعد، قاله مقاتل، وقال النابغة الذبياني(٦١٣):

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

فعجلوا لها البشرى بالولدين مظاهرة للنعمة ومبالغة في التعجب، فاحتمل أن يكون البشارة بهما باسميهما فيكون الله تعالى هو المسمى لهما، واحتمل أن تكون البشارة بهما وسماها أبوهما.

فإن قيل: فلم خصت سارة بالبشرى من دون إبراهيم؟ قيل عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنها لما اختصت بالضحك خصت بالبشرى.

(٦١١) ورجحه الطبري (١٥/ ٣٩٤).

(٦١٢) واين الدليل على ما قاله محمد هنا.

(٦١٣) ديوانه: ٧٢.

الثاني: أنهم كافأوها بالبشرى مقابلة على استعظام خدمتها.

الثالث: لأن النساء في البشرى بالولد أعظم سروراً وأكثر فرحاً.

قال ابن عباس: سمي إسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به.

قوله عز وجل: ﴿**قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوزٌ وهذا بَعْلي شيخا**﴾ لم تقصد بقولها يا ويلتا الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تخفُّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه، وعجبت من ولادتها وهي عجوز وكون بعلها شيخاً لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر.

واختلف في سنها وسن إبراهيم حينئذ، فقال مجاهد: كان لسارة تسع وتسعون سنة وكان لإبراهيم مائة سنة.

وقال محمد بن إسحاق: كانت سارة بنت تسعين سنة وكان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة.

وقال قتادة: كان كل واحد منهما ابن تسعين سنة.

وقيل انها عرّضت بقولها ﴿**وهذا بعلي شيخاً**﴾ عن ترك غشيانه لها. والبعل هو الزوج في هذا الموضع، ومنه قوله تعالى ﴿**وبعولتهن أحق بردّهن في ذلك**﴾. [البقرة: ٢٢٨]

والبعل: المعبود، ومنه قوله تعالى ﴿**أتدعون بعلاً**﴾ [الصافات: ١٢٥] أي اليها معبوداً.

والبعل السيد، ومنه قول لبيد:

حاسري الديباج عن أذرعهم ... عند بعل حازم الرأي بَطل

فسمي الزوج بعلاً لتطاوله على الزوجة كتطاول السيد على المسود.

﴿**إن هذا لشيء عجيب**﴾ أي منكر، ومنه قوله تعالى ﴿**بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم**﴾ [ق: ٢] أي أنكروا. ولم يكن ذلك منها تكذيباً ولكن استغراباً له.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

قوله عز وجل: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرّوع﴾ يعني الفزع، والرُّوع بضم الراء النفس، ومنه قولهم ألقى في رُوعي أي في نفْسي.

﴿وجاءتْهُ البشرى﴾ أي بإسحاق ويعقوب.

﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جادل الملائكة بقوله ﴿إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ [العنكبوت: ٣٢] قاله الحسن.

الثاني: أنه سألهم أتعذبونهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها أربعون؟ قالوا: لا، إلى أن أنزلهم إلى عشرة، فقالوا لا، قاله قتادة.

الثالث: أنه سألهم عن عذابهم هل هو عذاب الاستئصال فيقع بهم لا محالة على سبيل التخويف ليؤمنوا، فكان هذا هو جداله لهم وإن كان سؤالاً لأنه خرج مخرج الكشف عن أمر غامض.

قال أبو مالك: ولم يؤمن بلوط إلا ابنتاه رقية وهي الكبرى وعروبة وهي الصغرى.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ
رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾

قوله عز وجل: ﴿ولما جاءَت رُسُلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ قال ابن عباس: ساء ظنه بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه.

ويحتمل وجهاً آخر أنه ساء ظنه برسل ربه، وضاق ذرعاً بخلاص نفسه لأنه نكرهم قبل معرفتهم.

﴿وقال هذا يومٌ عصيب﴾ أي شديد لأنه خاف على الرسل من قومه أن يفضحوهم على قول ابن عباس. وعلى الاحتمال الذي ذكرته خافهم على نفسه فوصف يومه بالعصيب وهو الشديد، قال الشاعر[٦١٤]:

(٦١٤) مجاز القرآن (١/٢٩٤) والطبري (١٥/٤١٠).

وإنــك إلّا تــرض بــكــر بــن وائــل يكن لــك يــومٌ بــالــعــراق عصيب

قال أبو عبيدة: وإنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر، قال الكلبي: كان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ.

قوله عزوجل: ﴿وجاءه قومُه يهرعون إليه﴾ أي يسرعون، والإهـراع بين الهرولة والحجزى. قال الكسائي والفراء: لا يكون الإهراع إلا سراعاً مع رعدة.

وكان سبب إسراعهم إليه أن أمرأة لوط أعلمتهم بأضيافه وجَمـالهم فأسـرعوا إليهم طلباً للفاحشة منهم.

﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من قبل إسراعهم اليه كانوا ينكحون الذكور، قاله السدي.

الثاني: أنه كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل الرجال بأربعين سنة، قاله عمر بن أبي زائدة.

﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هُنَّ أطهر لكم﴾ قال لهم لوط ذلك ليفتدي أضيافه منهم.

﴿هؤلاء بناتي﴾ فيهن قولان:

أحدهما: أنه أراد نساء أمته ولم يرد بنات نفسه. قال مجاهد وكـل نبي أبو أمّته وهم أولاده. وقال سعيد بن جبير: كان في بعض القرآن: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم.

الثاني: أنه أراد بنـات نفسه وأولاد صلبـه لأن أمره فيهن أنفـذ من أمره في غيرهن، وهو معنى قول حذيفة بن اليمان.

فإن قيل: كيف يزوجهم ببناته مع كفر قومه وإيمان بناته؟

قيل عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه كان في شريعة لوط يجوز تزويج الكافر بالمؤمنة، وكان هذا في صدر الإسلام جائزاً حتى نسخ، قاله الحسن.

الثاني: أنه يزوجهم على شرط الإيمان كما هو مشروط بعقد النكاح.

الثالث: أنه قال ذلك ترغيباً في الحلال وتنبيهاً على المباح ودفعاً للبادرة من غير بذل نكاحهن ولا تعريض بخطبتهن، قاله ابن أبي نجيح.

﴿هن أطهرلكم﴾ أي أحل لكم بالنكاح الصحيح . ،

﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا تذلوني بعار الفضيحة ، ويكون الخزي بمعنى الذل .

الثاني : لا تهلكوني بعواقب فسادكم ، ويكون الخزي بمعنى الهلاك .

الثالث : أن معنى الخزي ها هنا الاستحياء ، يقال خزي الرجل إذا استحى ، قال الشاعر[٦١٥] :

من البيض لا تخزى إذا الريح ألصقت بها مِرطها أو زايل الحلي جيدها

والضيف : الزائر المسترقد ، ينطلق على الواحد والجماعة ، قال الشاعر[٦١٦] :

لا تعدمي الدهر شفار الجازر للضيف والضيف أحق زائر

﴿أليس منكم رجلٌ رشيد﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي مؤمن ، قاله ابن عباس .

الثاني : آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر ، قاله أبو مالك .

ويعني : رجل رشيد ليدفع عن أضيافه ، وقال ذلك تعجباً من اجتماعهم على المنكر .

قوله عزوجل : ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما لنا فيهن حاجة ، قاله الكلبي .

الثاني : [٦١٧] ليس لنا بأزواج ، قاله محمد بن إسحق .

﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾ فيه وجهان :

أحدهما : تعلم أننا لا نتزوج إلا بامرأة واحدة وليس منا رجل إلا له امرأة ، قاله الكلبي .

الثاني : أننا نريد الرجال .

---

(٦١٥) انظر زاد المسير (٤/ ١٣٨) .

(٦١٦) انظر فتح القدير (٢/ ٥١٤) .

(٦١٧) كذا وفي المطبوعة والصواب لست لنا بأزواج والتصحيح من زاد المسير (٤/ ١٣٩) حيث نقل هذا القول بتمامه وزاد نسبته لابن قتيبة ولا يفوتن الى انين الى أن محقق المطبوعة قد نبه على ذلك فجزاه الله خيراً .

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن
يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا
ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

قوله عز وجل: **﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾** يعني أنصاراً. وقال ابن عباس: أراد الولد.

﴿أو آوي إلى رُكنٍ شديد﴾ يعني إلى عشيرة مانعة. وروى أبو سلمة عن أبي هريرة(٦١٨) أن رسول الله ﷺ قال «**يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**». يعني الله تعالى قال رسول الله ﷺ: «**فما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه**».

قال وهب بن منبه: لقد وجدت الرسل على لوط وقالوا: إن ركنك لشديد.

قوله عز وجل: **﴿قالوا يا لوط إنا رُسُل ربِّك لن يصلوا إليك﴾** وفي اسمه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي وهو قول الأكثرين.

الثاني: أنه اسم عربي مأخوذ من قولهم: لطتُ الحوض إذا ملسته بالطين.

وقيل إن لوطاً كان قائماً على بابه يمنع قومه من أضيافه، فلما أعلموه أنهم رسل ربه مكّن قومه من الدخول فطمس جبريل عليه السلام على أعينهم فعميت، وعلى أيديهم فجفت.

﴿فأسْرِ بأهلك﴾ أي فسِرْ بأهلك ليلاً، والسُرىٰ سير الليل، قال عبد الله بن رواحة:

عند الصباح يحمد القوم السُرَى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

يقال وأسرى وفيهما وجهان:

أحدهما: أن معناهما في سير الليل واحد.

الثاني: أن معناهما مختلف، فأسرى إذا سار من أول الليل، وسرى إذا سار في آخره، ولا يقال في النهار إلا سار، قال لبيد:

(٦١٨) رواه الطبري (١٥/٤١٦ ـ ٤٢٠) واللفظ له والترمذي (٢/١٣٩) وحسنه والحاكم (٢/٥٦١) وصححه على شرط مسلم ورواه البخاري (٦/٢٩٧) إلا قوله «وما بعث الله نبياً..» الخ.

إذا المرءُ أسرى ليلة ظن أنه قضى عملاً، والمرءُ ما عاش عامِلُ

﴿بقطعٍ من الليل﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه سواد الليل، قاله قتادة.

الثاني: أنه نصف الليل مأخوذ من قطعه نصفين، ومنه قول الشاعر(٦١٩):

ونائحةٍ تنوح بقطع ليل على رجلٍ بقارعة الصّعيد

الثالث: أنه الفجر الأول، قاله حميد بن زياد.

الرابع: أنه قطعة من الليل، قاله ابن عباس.

﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا ينظر وراءه منكم أحد، قاله مجاهد.

الثاني: يعني لا يتخلف منكم أحد، قاله ابن عباس:

الثالث: يعني لا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو امتناع، حكاه علي بن عيسى.

﴿إلا امرأتك إنّه مُصيبها ما أصابهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله ﴿إلا امرأتك﴾ استثناء من قوله ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك﴾ وهذا قول من قرأ ﴿إلا امرأتك﴾ بالنصب.

الثاني: أنه استثناء من قوله ﴿ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك﴾ وهو على معنى البدل إذا قرئ(٦٢٠) بالرفع.

﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾ فذكر قتادة أنها خرجت مع لوط من القرية فسمعت الصوت فالتفتت، فأرسل الله عليها حجراً فأهلكها.

﴿إنّ موعدهم الصبح أليْسَ الصُّبحُ بقريبٍ﴾ فروى(٦٢١) عن النبي ﷺ أنه قال «إن لوطاً لما علم أنهم رسل ربه قال: فالآن إذن فقال له جبريل عليه السلام ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقاتاً

(٦١٩) هو مالك بن كنانة والبيت أورده صاحب روح المعاني (١٢/١٠٩) والشطر الثاني فيه على رجل أهانته شعوب.

(٦٢٠) وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو المبسوط ص ٢٤١.

(٦٢١) وقد رواه الطبري (١٥/٤٢٥، ٤٢٦) عن حذيفة موقوفاً مطولاً وبنحوه رواه (١٥/٤٢٤) عن سعيد بن جبير وتصدير المؤلف للخبر بروى يشعر بضعفه والله أعلم.

لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

قوله عزوجل: ﴿فلمّا جاء أمرُنا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أمر الله تعالى للملائكة.

الثاني: أنه وقوع العذاب بهم.

الثالث: أنه القضاء بعذابهم.

﴿جعلنا عاليَها سافلَها﴾ قال محمد بن كعب القرظي إن الله تعالى بعث جبريل إلى مؤتفكات قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجّيل حتى أهلكها وما حولها، وكن خمساً: صبغة ومقرة وعمرة ودوما وسدوم وهي القرية العظمى(٨٢٢).

وقال قتادة: كانوا في ثلاث قرى يقال لها سدوم بين المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف(٦٢٣).

﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أنه فارسي معرب وهو «سنك وكيل» فالسنك: الحجر، والكيل الطين، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء، ذكره ابن عيسى.

الثالث: أنه الحجارة الصلبة الشديدة، قاله أبو عبيدة وأنشد قول ابن مقبل(٦٢٤):

---

(٨٢٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٥١٧/٢) وقد ذكر المفسرون روايات وقصصاً في كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة وليس في ذكرها فائدة لا سيما وبين من قال بشيء من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويل ولا يتيسر له في مثله إسناد صحيح وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب وحالهم في الرواية معروف وقد أُمرنا بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم.. اهـ.

(٦٢٣) وقيل في كل قرية مائة ألف وهو قول قتادة أيضاً وقد حدث اختلاف كبير في أسماء القرى الخمس راجع الطبري (٤٢٦/١٥).

(٦٢٤) مجاز القرآن (٢٩٦/١) والطبري (٤٣٤/١٥) واللسان «سجن» وجمهرة أشعار العرب ١٦٢، منتهى الطلب ٤٤ والمعاني الكبير، واللسان «سجيل» وروى الشطر الثاني ضرباً تواصى به الأبطال سجيلاً.

ورحلة يضربون البيض عن عَرَضٍ ضربا تواصى به الأبطال سجِّينا

إلا أن النون قلبت لاماً.

الرابع: من سجيل يعني من سماء اسمها سجيل، قاله ابن زيد[٦٢٥].

الخامس: من سجيل من جهنم واسمها سجين فقلبت النون لاماً.

السادس: أن السجيل من السجل وهو الكتاب وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها، وفي التنزيل ﴿**كلا إن كتاب الفجار لفي سجين. وما أدراك ما سجين. كتاب مرقوم**﴾ [المطففين: ٧ ـ ٩].

السابع: أنه فِعِّيل من السجل وهو الإرسال، يقال أسجلته أي أرسلته، ومنه سمي الدلو سجلاً لإرساله فكان السجيل هو المرسل عليهم.

الثامن: أنه مأخوذ من السجل الذي هو العطاء، يقال سجلت له سجلاً من العطاء، فكأنه قال سُجلوا البلاء أي أعطوه.

﴿**منضود**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: قد نُضِّد بعضه على بعض، قاله الربيع.

الثاني: مصفوف، قالة قتادة.

قوله عزوجل: ﴿**مسومة عند ربك**﴾ والمسومة: المعلّمة، مأخوذ من السيماء وهي العلامة، قال الشاعر[٦٢٦]:

غُلامٌ رماه الله بالحُسْن يافعا له سيمياءُ لا تشقُّ على البصر

وفي علامنها قولان:

أحدهما: أنها كانت مختمة، على كل حجر منها اسم صاحبه.

الثاني: معلمة ببياض في حمرة، على قول ابن عباس، وقال قتادة: مطوقة بسواد في حمرة.

﴿**عند ربك**﴾ فيه وجهان:

---

(٦٢٥) وقد تعقب هذا القول والذي يليه أبو حيان كما نقله عنه الألوسي في روح المعاني(١٢/١١٣)قال: قال أبو حيان: وهو ضعيف لوصفه بقوله سبحانه منضود أي نضد ووضع بعضه على بعض معداً لعذابهم أو نضد في الارسال يرسل بعضه إثر بعض كقطار الأمطار ولا يخفى أن هذه المعاني كما تأبى ما قال أبو العالية وابن زيد تأبى بحسب الظاهر ما قيل إن المراد بها جهنم».

(٦٢٦) هوأسيد بن عنقاء الفزاري والبيت في اللسان «سام».

أحدهما: في علم ربك، قاله ابن بحر.

الثاني: في خزائن ربك لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره.

﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ذلك وعيداً لظالمي قريش، قاله مجاهد.

الثاني: وعيد لظالمي العرب، قاله عكرمة.

الثالث: وعيد لظالمي هذه الأمة، قاله قتادة.

الرابع: وعيد لكل ظالم(٦٢٧)، قاله الربيع.

وفي الحجارة التي أمطرت قولان:

أحدهما: أنها أمطرت على المدن حين رفعها.

الثاني: أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها.

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

قوله عزوجل: **﴿وإلى مَدْين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبُدوا الله ما لكم من إلَه غيره﴾** ومدين هم قوم شعيب، وفي تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما: لأنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقيل مدين والمراد بنو مدين، كما يقال مضر والمراد بنو مضر.

الثاني: أن مدين اسم مدينتهم فنسبوا إليها ثم اقتصر على اسم المدينة تخفيفاً.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي.

الثاني: أنه اسم عربي وفي اشتقاقه وجهان:

أحدهما: أنه من قولهم مدن بالمكان إذا أقام فيه، والياء زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة.

---

(٦٢٧) وفي الطبري (١٥/ ٤٣٩) أن هذا قول قتادة وكذا نسبه اليه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٤٦).

الثاني : أنه مشتق من قولهم دَيْنت أي ملكت والميم زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل.

وأما شعيب فتصغير شعب وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الطريق في الجبل.

الثاني : أنه القبيلة العظيمة.

الثالث: أنه مأخوذ من شَعْب الإناء المكسور.

﴿**ولا تنقصوا المكيال والميزان**﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف.

﴿**إني أراكم بخير**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما : أنه رخص السعر، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني : أنه المال وزينة الدنيا، قاله قتادة وابن زيد.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً :أنه الخصب والكسب.

﴿**إني أخافُ عليكم عذاب يومٍ محيط**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: غلاء السعر، وهو مقتضى قول ابن عباس والحسن.

الثاني : عذاب الاستصال في الدنيا.

الثالث: عذاب النار في الآخرة.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ فيها ستة أقاويل:

أحدها: يعني طاعة الله تعالى خير لكم، قاله مجاهد.

الثاني : وصية من الله، قاله الربيع.

الثالث: رحمة الله، قاله ابن زيد.

الرابع : حظكم من ربكم خير لكم، قاله قتادة.

الخامس: رزق الله خير لكم، قاله ابن عباس.

السادس: ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان خير لكم، قاله ابن جرير الطبري[٦٢٨].

﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: حفيظ من عذاب الله تعالى أن ينالكم.

الثاني: حفيظ لنعم الله تعالى أن تزول عنكم.

الثالث: حفيظ من البخس والتطفيف إن لم تطيعوا فيه ربكم.

قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

قوله عزوجل: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ في ﴿صلاتك﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: قراءتك، قاله الأعمش.

الثاني: صلاتك التي تصليها للّه تعبّداً.

الثالث: دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع، ومنه أخذ المصلي في الخيل.

﴿تأمرك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تدعوك إلى أمرنا.

الثاني: فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الأوثان والأصنام.

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما كانوا عليه من البخس والتطفيف.

الثاني: الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها، قاله زيد بن أسلم وسفيان الثوري.

الثالث: قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه، قاله زيد بن أسلم.

﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك استهزاء به، قاله قتادة.

---

(٦٢٨) جامع البيان (١٥/٤٤٧).

الثاني : معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه النفي ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه الحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلِم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله، قال ابن بحر.

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل : ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كُنتُ على بيِّنةٍ من ربي﴾ قد ذكرنا تأويله .

﴿ورزقني منه رِزقاً حسناً﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه المال الحلال، قاله الضحاك .

قال ابن عباس وكان شعيب كثير المال.

الثاني : أنه النبوة، ذكره ابن عيسى ، وفي الكلام محذوف وتقديره : أفأعدل مع ذلك عن عبادته .

ثم قال ﴿وما أريدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أي لا أفعل ما نهيتكم عنه كما لا أترك ما أمرتكم به .

﴿إنْ أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ ومعناه ما أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت، لأن الاستطاعة من شرط الفعل دون الإرادة .

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلْتُ وإليه أُنيب﴾(٦٢٩) فيه وجهان :

أحدهما : أنّ الإنابة الرجوع ومعناه وإليه أرجع ، قاله مجاهد .

الثاني : أن الإنابة الدعاء، ومعناه وإليه أدعو، قاله عبيد الله بن يعلى .

(٦٢٩) فائدة : قال البيضاوي في انوار التنزيل ص «إن لأجوبته عليه السلام الثلاثة يعني ﴿يا قوم أرأيتم . .﴾ الخ . ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ الخ ﴿وإن أريد إلا الاصلاح﴾ على هذا النسق شأناً وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره ثلاثة حقوق أهمها وأعلاها حق الله تعالى فإن الجواب الأول متضمن بيان حق الله تعالى من شكر نعمته والاجتهاد في خدمته وثانيها حق النفس فإن الجواب الثاني قد ضمن بيان حق نفسه في كفها عما ينبغي أن ينتهي عنه غيره وثالثها حق الناس فإن الجواب الثالث متضمن للاشارة إلى أن حق الغير عليه اصلاحه وارشاده . . ونقله الألوسي في روح المعاني (١٢/١٢١).

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ
أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

قوله عزوجل: **﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾**

في **﴿يجرمنكم﴾** تأويلان:

أحدهما: معناه لا يحملنكم، قاله الحسن وقتادة.

والثاني: معناه لا يكسبنكم، قاله الزجاج.

وفي قوله **﴿شقاقي﴾** ثلاثة تأويلات:

أحدها: إضراري، قاله الحسن.

الثاني: عداوتي، قاله السدي ومنه قول الأخطل(٦٣٠):

ألا من مبلغ قيساً رسولاً ... فكيف وجدتم طعمَ الشقاق

الثالث: فراقي، قاله قتادة.

﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوحٍ﴾ وهم أول أمة أهلكوا بالعذاب.

﴿أو قوم هودٍ أو قوم صالحٍ وما قوم لوطٍ منكم ببعيدٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بعد الدار لقربهم منهم، قاله قتادة.

الثاني: بعد العهد لقرب الزمان.

ويحتمل أن يكون مراداً به قرب الدار وقرب العهد.

وقد أهلك قوم هود بالريح العاصف، وقوم صالح بالرجفة والصيحة، وقوم لوط بالرجم.

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾

(٦٣٠) وذكره الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٢٠) والشطر الأول فيه ألا من مبلغ عني رسولاً.

قوله عزوجل: ﴿قالوا يا شعيبُ ما نفقهُ كثيراً مما تقول﴾ أي ما نفهم، ومنه سمي عِلم الدين فقهاً لأنه مفهوم، وفيه وجهان:

أحدهما: ما نفقه صحة ما تقول من البعث والجزاء.

الثاني: أنهم قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه واحتقاراً لكلامه.

﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: ضعيف البصر، قاله سفيان.

الثاني: ضعيف البدن، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أعمى[٦٣١]، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

الرابع: قليل المعرفة وحيداً، قاله السدي.

الخامس: ذليلاً مهيناً، قاله الحسن.

السادس: قليل العقل.

السابع: قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها.

﴿ولولا رهطك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عشيرتك، وهو قول الجمهور.

الثاني: لولا شيعتك، حكاه النقاش.

﴿لرجمناك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لقتلناك بالرجم.

الثاني: لشتمناك بالكلام، ومنه قول الجعدي[٦٣٢].

---

(٦٣١) ولكن نقل الإمام الألوسي (١٢/١٢٣) عن بعض أهل العلم قوله «جوز بعض أصحابنا العمى على الأنبياء عليهم السلام لكن لا يحسن الحمل عليه هنا وأنت تعلم أن المصحح عند أهل السنة أن الأنبياء عليهم السلام ليس منهم أعمى وما حكاه الله تعالى عن يعقوب عليه السلام كان أمراً عارضاً وذهب ا هـ والأخبار المروية عمن ذكرنا في شعيب [أي من كونه ضعيف البصر وأعمى] لم نقف على تصحيح لها سوى ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما فإن الحاكم صحح بعض طرقه لكن تصحيح الحاكم كتضعيف ابن الجوزي غير معول عليه وربما يقال فيه ما قيل في يعقوب ا هـ.

قلت: ومن هنا نعلم أن القول الأول والثاني متعقبان والقول الأول تفسيره بلغة اليمن الأعمى والصواب في قوله تعالى ﴿إن لنراك فينا ضعيفاً﴾ أي لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع» راجع فتح القدير (٢/٥٢٠) وروح المعاني (١٢/١٢٣) والكشاف (٢/٢٣٣).

(٦٣٢) فتح القدير (٢/٥٢٠).

تـراجـمـنـا بـمُـرِّ الـقـول حـتـى ... نـصـيـر كـأنـنـا فَـرسَـا رِهـان

﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بكريم.

الثاني: بممتنع لولا رهطك.

قوله عز وجل: ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله﴾ أي تراعون رهطي فيّ ولا تراعون الله فيّ(٦٣٣).

﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: اطرحتم أمره وراء ظهوركم لا تلتفتون إليه ولا تعملون به، قاله السدي، ومنه قول الشاعر(٦٣٤):

... ... وجَـدْنا بني البـرصاءِ من وَلَـدِ الـظَّهْـرِ

أي ممن لا يلتفت إليهم ولا يعتد بهم.

الثاني: يعني أنكم حملتم أوزار مخالفته على ظهوركم، قاله السدي، من قولهم حملت فلاناً على ظهري اذا أظهرت عناده.

الثالث: يعني أنكم جعلتم الله ظهرياً إن احتجتم استعنتم به، وإن اكتفيتم تركتموه. كالذي يتخذه الجمّال من جماله ظهرياً إن احتاج إليها حمل عليها وإن استغنى عنها تركها، قاله عبد الرحمٰن بن زيد.

الرابع: إن الله تعالى جعلهم وراء ظهورهم ظهرياً، قاله مجاهد(٦٣٥).

﴿إنّ ربي بما تعملون محيط﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(٦٣٣) فائدة: قال الإمام الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢ / ٥٢٠) «انما قال أعز عليكم من الله ولم يقل أعز عليكم مني لأن نفي العزة عنه واثباتها لقومه كما يدل عليه ايلاء الضمير حرف النفي استهانة به والاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله عز وجل فقد تضمن كلامهم أن رهطه أعزّ عليه من الله فاستنكر ذلك عليهم وتعجب منهم وألزمهم ما لا مخلص لهم عنه ولا مخرج لهم منه بصورة الاستفهام وفي هذا من قوة المحاجة ووضوح المجادلة والقام الخصم الحجر مالا يخفى ولأمر ما سمي شعيب خطيب الأنبياء اهـ.

(٦٣٤) هو أرطاة بن سمية المري وما قاله هنا شطر من بيت صدره: فمن مبلغ أبناء مرة أننا والبيت في مجاز القرآن (١ / ٢٩٨) واللسان ظهر والطبري (١٥ / ٤٥٩).

(٦٣٥) وقول مجاهد في الطبري (١٥ / ٤٦١). . «تركتم ما جاء به شعيب وفي قول آخر نبذوا أمره وفي ثالث هم رهط شعيب بتركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهرياً اهـ. ولا أدري هنا ما معنى القول الذي أورده المؤلف لمجاهد.

أحدهما: حفيظ.
الثاني: خبير.
الثالث: مُجازٍ.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا
لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على ناحيتكم، قاله ابن عباس.

الثاني: على تمكنكم، قاله ابن عيسى.

وقوله ﴿اعملوا﴾ يريد ما وعدوه من إهلاكه، قال ذلك ثقة بربه.

ثم قال جواباً لهم فيه تهديد ووعيد ﴿إني عاملٌ سوف تعلمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعلمون الإجابة.

الثاني: عامل في أمر من يأتي بهلاككم ليطهر الأرض منكم، وسترون حلول العذاب بكم.

﴿من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ قال عكرمة: الغرق.

وفي ﴿يخزيه﴾. وجهان:

أحدهما: يذله.

الثاني: يفضحه.

﴿ومن هو كاذب﴾ فيه مضمر محذوف تقديره: ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله، فحذفه اكتفاء بفحوى الكلام.

﴿وارتقبوا﴾ أي انتظروا العذاب.

﴿إني معكم رقيب﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إني معكم شاهد.

الثاني: إني معكم كفيل.

وفيه وجه ثالث: إني منتظر، قاله الكلبي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن اللعنة في الدنيا من المؤمنين وفي الآخرة من الملائكة.

الثاني: أنه عنى بلعنة الدنيا الغرق، وبلعنة الآخرة النار، قاله الكلبي ومقاتل.

﴿بئس الرِّفد المرفود﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بئس العون المعان، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أن الرَّفد بفتح الراء: القدح، والرفد بكسرها ما في القدح من الشراب، حكي ذلك عن الأصمعي فكأنه ذم بذلك ما يُسقونه في النار.

الثالث: أن الرفد الزيادة، ومعناه بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار، قاله الكلبي.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ذلك من أنباء القُرى نقصُّه عليك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نخبرك.

الثاني: نتبع بعضه بعضاً.

﴿منها قائمٌ وحصيدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن القائم: العامرة، والحصيد: الخاوية، قاله ابن عباس.

الثاني: أن القائم: الآثار، والحصيد: الدارس، قاله قتادة، قال الشاعر(٦٣٦):

والناس في قسم المنية بينهم كالزرع منه قائم وحصيد

قوله عزوجل: ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن التتبيب الشر، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه الهلكة، قاله قتادة. قال لبيد:

فلقد بَليتُ وكلُّ صاحب جِدّةٍ لبِلىً يعودُ وذاكم التتبيب

ومنه قول جرير:

عرابة(٦٣٧) من بقية قوم لوطٍ ألا تباً لما فعلوا تبابا(٦٣٨)

الثالث: التخسير، وهو الخسران، قاله مجاهد وتأول قوله تعالى ﴿تبَّتْ يدا أبي لهب﴾ [المسد: ١] أي خسرت.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لا تشفع إلا بإذنه.

الثاني: لا تتكلم إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام لأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح.

الثالث: أن لهم في القيامة وقت يمنحون فيه من الكلام إلا بإذنه.

﴿فمنهم شقيٌ وسعيد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: محروم ومرزوق، قاله ابن بحر.

---

(٦٣٦) أورده في روح المعاني (١٢/١٣٥) وفتح القدير (٢/٥٢٤).

(٦٣٧) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب عَرادة والتصويب من الطبري (١٥/٤٧٢) وغيره.

(٦٣٨) والبيت في ديوانه: ٧٢ والطبري (١٥/٤٧٢).

الثاني: معذب ومكرم، قال لبيد.

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع

ثم في الشقاء والسعادة قولان:

أحدهما: أن الله تعالى جعل ذلك جزاء على عملهما فأسعد المطيع وأشقى العاصي، قاله ابن بحر.

الثاني: أن الله ابتدأهما بالشقاوة والسعادة من غير جزاء. وروى عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال: لما نزلت ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ قلت: يا رسول الله فعلام نعمل؟ أعلى شيء قد فرغ منه أم على ما لم يفرغ منه؟ فقال: «**بلى على شيء قد فرغ منه يا عمر، وجرت به الأقلام ولكن كل شيء ميسور لما خلق له**»(٦٣٩).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الزفير في الحلق من شدة الحزن، مأخوذ من الزفير، والشهيق في الصدر، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: أن الزفير تردد النفس من شدة الحزن، مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل، قاله ابن عيسى.

الرابع: أن الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخر نهيقه، قال الشاعر(٦٤٠):

---

(٦٣٩) رواه الطبري (١٥/ ٤٨٠) وفي سنده سليمان بن سفيان وهو ضعيف منكر الحديث ولكن للحديث شواهد تقويه وذكره السيوطي في الدر (٤/ ٤٧٥) وزاد نسبته للترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه. راجع لشواهد الحديث كتاب القدر لابن وهب ص

(٦٤٠) هو رؤبة بن العجاج والبيت في ديوانه ١٠٦ واللسان «حشرج» والطبري (١٥/ ٤٧٩) (٢٩/ ٤).

حشرج في الجوف سحيلاً أو شهق   حتى يقال ناهق وما نهق

﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: خالدين فيها ما دامت سماء الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها بعد فناء مدتها حكاه ابن عيسى.

الثاني: ما دامت سموات الآخرة وأرضها إلا ما شاء ربك من قدر وقوفهم في القيامة، قاله بعض المتأخرين.

الثالث: ما دامت السموات والأرض، أي مدة لبثهم في الدنيا، قاله ابن قتيبة.

الرابع: (٦٤١) خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من أهل التوحيد أن يخرجهم منها بعد إدخالهم إليها، قاله قتادة، فيكونون أشقياء في النار سعداء في الجنة، حكاه الضحاك عن ابن عباس، وروى يزيد بن أبي حبيب عن أنس بن مالك(٦٤٢) قال: قال رسول الله ﷺ **«يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحمحمة أخرجوا منها وأدخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجهنميون»**.

الخامس: إلا ما شاء من أهل التوحيد أن لا يدخلهم إليها، قاله أبو نضرة(٦٤٣) يرويه مأثوراً عن النبي ﷺ.

السادس: إلا ما شاء ربك من كل من دخل النار من موحد ومشرك أن يخرجه منها إذا شاء، قاله ابن عباس.

السابع: أن الاستثناء راجع إلى قولهم ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي ليست بزفير ولا شهيق مما لم يسم ولم يوصف ومما قد

---

(٦٤١) واختار هذا القول ابن جرير رحمه الله (١٥/٤٨٤) وقال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٢/٥٢٥) «وقد ثبت بالأحاديث المتواترة تواتراً يفيد العلم الضروري إلى أنه يخرج من النار أهل التوحيد فكان ذلك مخصصاً لكل عموم ا هـ.

قلت وقد رد الأقوال في هذا الانتقاد الإمام الشوكاني في تفسيره، (٢/٥٢٥) فراجعها وقد اشار هناك الى أنه جمع فيها رسالة.

(٦٤٢) رواه البخاري (١١/٣٧١)، (١٣/٤٣٤) وقد روى نحوه عن عمران بن حصين مرفوعاً البخاري (١١/٣٨٤) وابو داود (٤٧٤٠) والترمذي (٢٦٠٣).

(٦٤٣) لكن الذي في الطبري (١٥/٤٨٣) وغيره أن هذا القول رواه أبو نضرة عن جابر أو عن أبي سعيد الخدري أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وعلى هذا فالقول موقوف وليس بمرفوع.

سمّي ووصف، ثم استأنف ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ حكاه ابن الأنباري.

الثامن: أن الاستثناء واقع على معنى لو شاء ربك أن لا يخلدهم لفعل ولكن الذي يريده ويشاؤه ويحكم به تخليدُهم.

وفي تقدير خلودهم بمدة السموات والأرض وجهان:

أحدهما: أنها سموات الدنيا[٦٤٤] وأرضها، ولئن كانت فانية فهي عند العرب كالباقية على الأبد فذكر ذلك على عادتهم وعرفهم كما قال زهير:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

والوجه الثاني: أنها سموات الآخرة وأرضها لبقائها على الأبد[٦٤٥].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وأمّا الذين سُعدُوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾** فيها خمسة تأويلات:

أحدها: دامت سموات الدنيا وأرضها إلا ما شاء ربك من الزيادة عليها في الخلود فيها:

الثاني: إلا ما شاء ربك من مدة يوم القيامة.

الثالث: إلا ما شاء ربك من مدة مكثهم في النار إلى أن يخرجوا منها، قاله الضحاك.

---

(٦٤٤) واختار العلامة الألوسي أن السموات والأرض هي هي فقال (١٢/١٤٢) «والأولى أن تبقى على ظاهرها ويجعل الكلام خارجاً مخرج ما اعتادته العرب في محاوراتهم عند إرادة التبعيد والتأبيد وهو أكثر من أن يحصى ا هـ.

(٦٤٥) قال العلامة الألوسي (١٢/١٤٦): «وأنت تعلم أن خلود الكفار مما أجمع عليه المسلمون ولا عبرة بالمخالف والقواطع أكثر من أن تحصى ولا يقاوم واحداً منها كثير من الاخبار ولا دليل في الآية على ما يقوله المخالف ا هـ.

قلت: قال ذلك يرد على من استدل ببعض الاحاديث التي فيها أن جهنم سيأتي عليها يوم وتفنى وهذه الاحاديث لا تصح راجع رفع الأستار في إبطال أدلة القائلين بفناء النار.

الرابع: خالدين فيها يعني أهل التوحيد، إلا ما شاء ربك يعني أهل الشرك، وهو يشبه قول أبي نضرة.

الخامس: خالدين فيها إلا ما شاء ربك أي ما شاء من عطاء غير مجذوذ، فتكون ﴿إلا﴾ هنا بمعنى (٦٤٦) الواو كقول الشاعر:

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

أي والفرقدان.

﴿عطاءً غير مجذوذ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غير مقطوع.

الثاني: غير ممنوع.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ
وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ
مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

قوله عز وجل: ﴿... وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية.

الثاني: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد.

الثالث: ما وعدوا به من خير أو شر، قاله ابن عباس.

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾
وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

قوله عز وجل: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ فيه أربعة تأويلات:

(٦٤٦) قال العلامة الألوسي رحمه الله (١٢/ ١٤٤) عن بعض أهل العلم «إن هذا القول مردود عند النحاة».

أحدها: لا تميلوا(٦٤٧)، قاله ابن عباس.

الثاني: لا تدنوا، قاله سفيان.

الثالث: لا ترضوا أعمالهم، قاله أبو العالية.

الرابع: لا تدهنوا لهم في القول وهو أن يوافقهم في السر ولا ينكر عليهم في الجهر. ومنه قوله تعالى ﴿ودّوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم: ٩]، قاله عبد الرحمن بن زيد

﴿فتمسكم النار﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: فيمسكم عذاب النار لركونكم إليهم.

الثاني: فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها، ويكون ذكر النار على هذا الوجه استعارة وتشبيهاً، وعلى الوجه الأول خبراً ووعيداً.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ أما الطرف الأول فصلاة الصبح باتفاق وأما الطرف الثاني ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى صلاة الظهر والعصر، قاله مجاهد.

الثاني: صلاة العصر وحدها، قاله الحسن.

الثالث: صلاة المغرب، قاله ابن عباس.

﴿وزلفاً من الليل﴾ والزلف جمع زلفة، والزلفة المنزلة، فكأنه قال ومنازل من

(٦٤٧) وقال في روح المعاني (١٢/١٥٤) «وإذا كان حال الميــل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الإفضاء الى مساس الناس النار فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم كل الميل ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويتعب قلبه وقالبه من إدخال السرور عليهم ويستنهض الرجل والخيل في جلب المنافع لهم ويبتهج بالتزي بزيهم والمشاركة لهم في غيهم ويمد عينيه إلى ما قنعوا به من زهرة الدنيا الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية، غافلاً عن حقيقة ذلك ذاهلاً عن منتهى ما هنالك وينبغي أن يعدّ مثل ذلك من الذين ظلموا الا من الراكنين إليهم بناءآ على ما روي أن رجلاً قال لسفيان إني اخيط للظلمة فهل أعد من أعوانهم؟ فقال لا أنت منهم والذي يبيعك ألا الإبـرة من أعوانهم وماحسن ما كتبه بعض الناصحين للزهري حين خالط السلاطين.. راجعه فإنه كلام جميل.

الليل، أي ساعات من الليل، وقيل إنما سميت مزدلفة من ذلك لأنها منزل بعد عرفة، وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها،ومنه قول العجاج(٦٤٨) في صفة بعير:

ناجٍ طواه الأين مما وجفا طيَّ الليالي زُلَفاً فزلفا

وفي معنى ﴿زلفاً من الليل﴾ قولان:

أحدهما: صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثانية: صلاة المغرب والعشاء الآخرة، قاله الضحاك والحسن ورواه مرفوعاً(٦٤٩).

﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ في هذه الحسنات أربعة أقاويل:

أحدها: الصلوات الخمس، قاله ابن عباس والحسن وابن مسعود والضحاك.

الثاني: هي قول سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر، قاله مجاهد قال عطاء: وهن الباقيات الصالحات.

الثالث: أن الحسنات المقبولة يذهبن السيئات المغفورة.

الرابع: أن ثواب الطاعات يذهبن عقاب المعاصي.

﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: توبة للتائبين، قاله الكلبي.

الثاني: بيان للمتعظين، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: **«واتبع السيئة الحسنة تمحها»**(٦٥٠).

وسبب نزول هذه الآية ما روى الأسود عن ابن مسعود قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة فأصبت منها دون أن أمسّها وأنا هذا فاقض فيّ ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت على

(٦٨٤) ديوانه: ٨٤ ومجاز القرآن (١/٣٠٠) وسيبويه (١/١٨٠) واللسان (زلف) (حقف) (سما) (جف) والكامل للمبرد (١/١٢٩) (٣/٨٢٤).

(٦٤٩) رواه الطبري (١٥/٥٠٧) وهو مرسل من مرسلات الحسن وزاد في الدر (٤/٤٨١) نسبته لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦٥٠) جزء من حديث رواه أحمد (٥/٢٢٨) عن معاذ بن جبل ورواه (٥/١٥٣) عن أبي ذر الغفاري ورواه الترمذي (٢/٢٠) عن أبي ذر ومعاذ وصححه في السنن وحسنه في اخرى ولفظه «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

نفسك. ولم يردّ عليه النبي ﷺ شيئاً، فنزلت هذه الآية: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ فدعاه رسول الله ﷺ فقرأها عليه فقال عمر: يا رسول الله أله خاصة أم للناس كافة؟ فقال: «**بل للناس كافة**»(٦٥١).

قال أبو موسى طمحان: إن هذا الرجل أبو اليسر الأنصاري(٦٥٢). وقال ابن عباس هو عمرو بن غزية الأنصاري، وقال مقاتل: هو عامر بن قيس الأنصاري.

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿**فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أولو طاعة.

الثاني: أولو تمييز.

الثالث: أولو حذر من الله تعالى.

﴿**ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً(٦٥٣) ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين**﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أنهم اتبعوا على ظلمهم ما أترفوا فيه من استدامة نعمهم استدراجاً لهم.

الثاني: أنهم أخذوا بظلمهم فيما أترفوا فيه من نعمهم. والمترف: المنعّم.

وقال ابن عباس: أترفوا فيه: معناه انظروا فيه(٦٥٤).

---

(٦٥١) رواه الطبري (١٥/٥١٦) عن علقمة والأسود عن أبي مسعود واللفظ له ورواه أحمد رقم ٤٢٥٠، ٤٢٩٠ ومسلم (٤/٢١١٦) وابو داود (٤٤٦٨) والترمذي (٢/١٣٩).

(٦٥٢) وقد توسع الحافظ ابن حجر في الفتح في اسم هذا الرجل فراجعه (٨/٢٦٨، ٢٦٩).

(٦٥٣) قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٤/١٧٠) «استثناء منقطع أي لكن قليلاً ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد».

(٦٥٤) وقد أورد هذا القول صاحب فتح القدير (٢/٥٣٥) ولفظه عن ابن عباس «أنظروا فيه» قلت وما هنا=

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿ولو شاء ربُّك لجعل الناس أمّةً واحدةً﴾** فيه وجهان:

أحدهما: على ملة الإسلام وحدها، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أهل دين واحد، أهل ضلالة وأهل هدى، قاله الضحاك.

﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رَحِمَ ربّك﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: مختلفين في الأديان إلا من رحم ربك من أهل الحق، قاله مجاهد وعطاء.

الثاني: مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة، قاله ابن عباس.

الثالث: مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة. قاله الحسن.

الرابع: مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق(٦٥٥).

الخامس: مختلفين في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة.

السادس: أنه معنى مختلفين أي يخلف بعضهم بعضاً، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سوءاً في كل منهم خلف بعضهم بعضاً، فاقتتلوا ومنه قولهم: ما اختلف الجديدان، أي جاء هذا بعد ذاك، قاله ابن بحر.

﴿ولذلك خلقهم﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: للاختلاف خلقهم، قاله الحسن وعطاء.

الثاني: للرحمة خلقهم، قاله مجاهد.

الثالث: للشقاء والسعادة خلقهم(٦٥٦)، قاله ابن عباس.

= انظروا فيه فإذا كان هذا كذلك فإن تفسير ما أورده المؤلف هنا يكون بمعنى الإنظار والمراد أنهم تركوا مدة في ترفهم وفي التنزيل حكاية عن إبليس **﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾**.

(٦٥٥) واختاره ابن جرير (١٥/٥٣٧) وتبعه الزجاج كما في زاد المسير (١٧٢/٤).

(٦٥٦) وهو اختيار الطبري (١٥/٥٤٣).

الرابع: للجنة والنار خلقهم، قاله منصور بن عبد الرحمن.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢٠﴾

قوله عزوجل: ﴿وكلاًّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبتُ به فؤادك﴾ أي نقوّي به قلبك وتسكن إليه نفسك، لأنهم بُلُوا فصبروا، وجاهدوا فظفروا.

﴿وجاءك في هذه الحقُّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في هذه السورة، قاله ابن عباس وأبو موسى.

الثاني: في هذه الدنيا، قاله الحسن وقتادة.

الثالث: في هذه الأنباء، حكاه ابن عيسى.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝١٢١ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٢٢ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾

وفي هذا ﴿الحق﴾ وجهان:

أحدهما: صدق القصص وصحة الأنباء وهذا تأويل من جعل المراد السورة.

الثاني: النبوة، وهذا تأويل من جعل المراد الدنيا.

﴿وموعظةٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: القرآن الذي هو وعظ الله تعالى لخلقه.

الثاني: الاعتبار بأنباء من سلف من الأنبياء ولذلك قال النبي ﷺ «والسعيد من وعظ بغيره»(٦٥٧).

---

(٦٥٧) جزء من حديث رواه مسلم (٤/٢٠٣٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه ابن ماجة عن ابن مسعود (٤٦) بسياق آخر وفيه هذه الجملة.